هذا العدد

بقلم : الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

عزيزى القارىء :

هانحن نلتقى من جديد على صفحات العدد السابع من « الوثيقة » وهو العدد الذى كان من المقرر ان يصدر فى يوليو ١٩٨٥ ولكننا بكرنا به استجابة لرغبة الكثيرين . شاكرين هذا الاستقبال الطيب الذى قوبلت به « الوثيقة » مقدرين كل التقدير هذه الثقة الغالية فى المجلة الوليدة والتى ما كنا نتصور انها ستحظى بكل هذه الثقة ولا بكل هذا النجاح .

لقد أصبحت « الوثيقة » بعون الله وبفضل تشجيعك احدى الدوريات المتخصصة الراسخة القدم فى العالم العربى . كما أصبحت أحد المصادر الموثقة عن تاريخ البحرين والمنطقة لدى مراكز البحث العربية والاجنبية . وما ذلك الا لما حاولناه جاهدين خلال الاعداد السابقة من توفير أقصى ما يمكن توفيره من صدق ودقة . وهو الاسلوب الذى نعد بالحفاظ عليه وتعميقه قدر المستطاع .

إن بعض الفترات التاريخية التى مرت بالمنطقة ، مازال عصورا غامضة . وذلك لندرة المصادر أو غيابها او تضاربها . وهى بذلك تمثل امام الباحث . عوالم مجهولة خلف ابواب موصدة ونحن إذا كنا فى أعدادنا السابقة قد بدأنا طرق هذه الابواب بصبر واصرار . إلا ان الامر مازال يحتاج الى مزيد من طرق هذه الأبواب بصبر اكثر واصرار أكبر ، حتى ينجلى ما خلفها من غموض وحتى نتمكن بعون الله ـ من فتحها على مصراعيها امام الباحثين والدارسين .

إن المعالجات التى قمنا بها خلال الاعداد السابقة . والتى قمنا بها خلال هذا العدد . أكدت لنا وتؤكد مجموعة من الحقائق الهامة . نعرضها فيما يلى املين أن تكون محل الاعتبار من المهتمين بهذا القطاع من قطاعات النشاط الانسانى :

أولا : ان منطقة الخليج مثلت طوال التاريخ - وتمثل - منطقة ذات طابع متميز وملامح متميزة . واذا كانت بعض أجزاء هذه المنطقة قد شهدت فى التاريخ القديم نشاطا وازدهارا . الا ان التأثيرات المتبادلة بين هذه الاجزاء والاجزاء الأخرى كانت قائمة ومستمرة مما يقتضى من الباحث فى تاريخ منطقة ما ضرورة الالمام بظروف البيئة الخليجية ككل والتى كانت تأثيراتها العامة إطارا بارز الملامح لما جرى فوق بعض أجزائها من أحداث .

ثانيا : إن كل دولة من دول المنطقة الآن تعمل جاهدة على كتابة تاريخها وهو شيء جيد ومطلوب . فتتبع التاريخ فى منطقة ما وربط حلقاته بعضها ببعض وسد الفجوات التى ضاعت معالمها مع تقادم الزمن واجب وضرورة لأن من حق الأجيال الحالية والأجيال القادمة أن تعرف تاريخا متواصلا للوطن الذى تحيا فى رحابه حتى يمكنها بفضل دراسة هذا التاريخ وتحليل أحداثه واستعراض تجاربه والاحاطة بدروسه ، تحديد ملامح الدرب الذى تتجه اليه مسيرة المستقبل

ثالثا : بعض الكتابات السابقة التى تناولت الخليج ككل اتجهت فى معظمها نحو التسجيل لا التحليل فى أسلوب اعتمدت فيه الى درجة كبيرة على اعادة عرض الاحداث التى سجلتها سطور الكتابات السابقة عن المنطقة سواء فيما سجل من مراجع او ما حفظ من اتفاقيات او ما كتب بأقلام بعض الموظفين الأجانب وكانت النتيجة انها وقعت - دون قصد - فى بعض الأخطاء التى سبق أن وقعت فيها المصادر الأجنبية التى كتبت عن المنطقة والتى نظرت إلى الأحداث من زاوية معينة ليست بالضرورة زاوية محايدة او موضوعية .

رابعا : إن الجهود الحالية التى تقوم بها كل دولة من دول المنطقة لاعادة كتابة تاريخها يجب أن تعتمد بالدرجة الأولى على تتبع الحدث المجرد ثم اعادة تحليله على ضوء الظروف التاريخية التى وقع فيها وعلى ضوء تأثيرات البيئة والظروف السياسية التى كانت قائمة مستخدمة فى ذلك ما تتيحه الوسائل الحديثة للبحث العلمي فذلك هو الأسلوب الأمثل للوصول الى أفضل النتائج خاصة والنتيجة السليمة التى يخرج بها المؤرخ من تحليل حدث ما تعتبر المقدمة السليمة والصادقة لما تبع ذلك الحدث من أحداث .

خامسا : إنه اذا كانت منطقة الخليج قد شكلت - ومازالت - ساحة عريضة واحدة متميزة الملامح - كما قلنا - مترابطة فيما دار فوقها من أحداث ،

متعرضة لنفس التأثيرات سواء القديمة او الحديثة ، واذا كان هذا الوعى بحقائق التاريخ كان وراء الخطوات المباركة لاقامة مجلس التعاون لدول الخليج العربية فانه قد يكون من المفيد أن تنبثق من الأمانة العامة لدول المجلس لجنة تضم نخبة من أشهر المؤرخين تتولى اعداد موسوعة لتاريخ الخليج ككل مستفيدة فى ذلك بالجهود القائمة حاليا فى كل دولة من دول المجلس ، مستهدفة اعداد سجل واحد وشامل لتاريخ موثق ودقيق ومحايد وموضوعى . لهذه المنطقة من العالم .

عزيزى القارىء :

كانت هذه شذرات عابرة ، فرضتها ، نتائج بعض المعالجات التاريخية التى قمنا بها فيما سقناه اليك من أبحاث حول تاريخ البحرين خاصة والمنطقة عامة . وهى نتائج سوف نعمل باذن الله على الاستفادة منها فيما نتجه اليه او فيما نعرضه من دراسات . راجين دائما أن نحقق المزيد فيما بدأناه من عمل .

والله ولى التوفيق

عبدالله بن خالد آل خليفة

ملامح من حياة

الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان بن أحمد آل خليفة

الحاكم الرابع

١٨٤٣م - ١٨٦٩م

إعداد : الدكتورة أمل ابراهيم الزيانى

يدور الحديث فى الصفحات التالية حول الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان بن أحمد آل خليفة حفيد الشيخ سلمان بن الشيخ أحمد الفاتح ، واحمد بن محمد (الفاتح) هو الذى انشأ حكمه فى جزر البحرين ، حينما دخلها فاتحا منتصرا من مركزه المواجه للبحرين فى الزبارة (ساحل قطر) وذلك عام ١٧٨٣م .

ان دراسة الموضوع من خلال الاحداث التى مر بها وعاصرها ولعب دورها المباشر ، على المسرح السياسى انذاك ، لابد وان تكون اثرت بشكل او بآخر ليس فقط على المستوى المحلي اداريا وعسكريا واجتماعيا ، وانما على المستوى الاقليمى ممتزجا بالعلاقات السائدة بين المجتمعات السياسية الكبيرة منها والصغيرة كما سنرى من علاقاته بفارس والدولة العثمانية من جهة اضافة الى علاقاته بسلطان عمان والسعوديين انذاك من جهة اخرى .

وعلى المستوى الدولى فان علاقته ومواجهاته للوجود البريطانى فى ذلك الوقت شكلت علاقته الخاصة مع ممثلى بريطانيا فى المنطقة . انطلاقا مما سيتضح من

خلال اوضاعه المحلية والمحيطة ، وتفاعلها بالمتغيرات فى ذلك العصر .

من هذا التدرج فى متابعة خطوات الشيخ محمد منذ خرج على المسرح السياسى باحثا وراء السلطة والحكم كان الوضع يتعلق فى البداية بتوطيد سلطة عمه عبدالله بن أحمد الى ان تطور الوضع نحو البحث عن فرض وجوده الشخصى فى قمة الحكم والذى حاول جاهدا الاحتفاظ به بمختلف السبل والوسائل عسكرية كانت ام دبلوماسية حتى وان بدت ذات مراهنات ووقائع قد تكون محسوبة فى بعض الاحيان وقد تخطىء الحساب فى احيان اخرى بالرغم من صفات الموهبة التى تميز بها الشيخ محمد بن خليفة والتى جعلت الباحثين القدماء يصفونه بالدهاء والرؤية الواضحة للامور المستقبلية التى تكون اقرب الى التنبؤ بالحدث قبل حصوله .

ان الكتابات القديمة التى تناولت سيرة الشيخ محمد بن خليفة من خلال الاحداث الدائرة فى البحرين ومنطقة الخليج فى منتصف القرن التاسع عشر كانت باقلام اوروبية كما جاء فى كتابات (لوريمار) (وفيلكس جينز) وهما من البريطانيين الذين عملوا فى المنطقة او باقلام رحالة ومتابعين من المؤرخين العرب ، كالريحانى ، والشيخ النبهانى هذا الى جانب الرسائل العلمية التى اطلت على المكتبات فى النصف التالى من القرن العشرين ، باقلام عربية ككتابات الدكتور جمال زكريا قاسم والدكتور صلاح العقاد وغيرهما اضافة الى بعض الكتابات الايرانية التى تصدى كاتبوها فى رسائل أكاديمية مبررين وجهة النظر الايرانية بالنسبة للعديد من الامور المطروحة على الساحة الخليجية بأسلوب يختلف كثيرا عما الفناه وتعودنا عليه من الرحالة والمسجلين والمؤرخين سواء أكانوا عربا أم اوروبيين . وابرز ما اريد ان اشير اليه كتاب الدكتور عباس فاروغى وكتاب الدكتور فريدون ادميات والاخير يتناول الشيخ محمد بأسلوب وبطريقة تبعد كثيرا عما سبقها ولحقها من كتابات . هذه المؤلفات السابقة فى البحرين والاجتهادات المطروحة تؤلف فى مجملها اساسا وترسم صورة شكلية للشيخ محمد بن خليفة تخرج واضحة من خلال شخصية الشيخ ذاته والذى يعتبر المفتاح الحقيقى الذى يضىء الضوء الاخضر لتتبلور من انعكاساته المراحل الرئيسية الثلاث التى ترتكز عليها رحلته الطويلة والشاقة المبتدئة بقطر والمنتهية فى مكة ، وما صاحبها من احداث لها مدلولاتها الايجابية والسلبية التى تترك بصماتها دون شك على مجمل الاحداث اللاحقة .

المرحلة الاولى :

ظهور الشيخ محمد بن خليفة على المسرح العسكرى ـ السياسى

تبدو لأول وهلة الملامح الرئيسية التى تحدد المرحلة الاولى من حياة الشيخ محمد بن خليفة منذ بداية التاريخ الحديث للبحرين بعد ان دخلها آل خليفة عام ١٧٨٣ بقيادة الشيخ/ أحمد الفاتح والذى آثر ان يتخذ من الزبارة مركزا لحكمه ،

غير ان ابنه الشيخ/سلمان الذى خلفه فى الحكم واجه اطماعا وصعوبات جمة من الدول المحيطة .

وقد مرت البحرين بفترة عصيبة من ١٢١٧هـ/١٨٠٢م الى ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م حيث سادت الاضطرابات فى الخليج نتيجة اطماع الدول المجاورة والاجنبية وقد انتهت تلك الصعوبات باستقرار الشيخ سلمان بن احمد آل خليفة واستعادة حكمه فى البحرين معتمدا على اسطول شراعي استطاع ان يقف بواسطته فى وجه الطامعين فى جزر البحرين وقد اتيحت الفرصة للشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة ان يستقل بالامر بعد موت شقيقه وشريكه فى الحكم الشيخ سلمان بن احمد . وكان يساعده ابنا اخيه الشيخ احمد والشيخ خليفة ابنا الشيخ سلمان بن احمد آل خليفة . وبعد وفاتهما اصبح الشيخ عبدالله بن احمد هو الحاكم المطلق فى البحرين خصوصا وقد اعتمد على اسطوله الشراعى فى ملاحقة ابن عفيصان وارحمة بن جابر الجلاهمة فى الساحل القطرى ملحقا بهما هزيمة كبرى ، كل ذلك جعل نشوة النصر تأخذ مأخذها من الشيخ عبدالله ، فحببت اليه الفتح وكان قد تجدد بينه وبين أمير نجد الخلاف فجهز ، جيشا بحريا وسار به الى « دارين » ففتحها ثم الى « تاروت » ، فاستولى عليها ثم الى « سيهات » فى القطيف فحاصرها فجاءت جيوش نجد توقفه حيث تراجع عن القطيف ، الا ان الشيخ عبدالله لم يهدأ له بال بعد مجموعة الانتصارات التى ابهجته ، وقد خرج عليه بعض اولاده ، يطالبون بالامارة وقصدوا الحويلة (قرية فى الطرف الشمالى من قطر) يستنجدون بأخوالهم فيها ، فأرسل الأب جيشا بقيادة حفيد أخيه محمد بن خليفة بن سلمان اوقع بهم هزيمة شديدة فروا على أثرها وعفا الشيخ عبدالله عنهم فعادوا الى البحرين طائعين وقد سميت الموقعة « موقعة الحويلة »

ويبدو ان فكرة النصر اختمرت وتمكنت من الشيخ محمد بن خليفة مما أدى الى وضوح تطلعاته الشديدة للاستئثار بالسلطة والحكم من عم ابيه المسن بعد ثماني سنوات من معركة الحويلة ولعل تلك الفترة الزمنية بحد ذاتها تطرح بعض التساؤلات في الموقف الجديد لدى الشيخ محمد .

لماذا تباطأ الشيخ محمد طيلة السنوات الثمان قبل ان يحدد موقفه المتحدى تجاه عمه ؟ ـ هل هناك ظروف استجدت فى علاقة العم الكبير وحفيد أخيه ؟ هذا ما سنحاول ان نستخلصه من عرض الرجلين فى الصراع الذى دار بينهما .

تشير الوقائع المسجلة فى تلك الفترة أن الشيخ عبدالله واجه اطماعا وتدخلات على المستوى المحلى والاقليمى من اقربائه والقبائل المناوئة لحكمه فى قطر ، ومن منافسيه العتوب فى تلك المناطق ، اضافة الى اطماع الدول المحيطة بالبحرين ، كسلطان مسقط والامير النجدى ، وتدخلاتهما المكوكية فى البحرين ، هذا اضافة الى الدور الذى لعبته بريطانيا فى المنازعات بين الاطراف من جهة والتدخل وربط هذا الطرف او ذاك باتفاقيات مكتوبة تلزم الشيخ التمسك بها والا فان التدخل

البريطانى السريع بمختلف البوارج والقوارب على استعداد لوضع الامور فى نصابها من جهة اخرى .

كل هذه الامور اتضحت فى الخطوات التالية التى اتخذها الشيخ عبدالله وأثارت عليه بريطانيا ، اضافة الى تقدمه فى السن بما يتركه ذلك من تبعات على مسيرته :-

١ ـ حاول الشيخ عبدالله ، استمالة السعوديين للدفاع عنه ضد احتلال سلطان مسقط (سلطان بن أحمد) للبحرين واستمالة سلطان مسقط للدفاع عنه ضد السعوديين الى ان توصل بعد المحاولة الثالثة لسلطان مسقط لعقد صلح معه ودفع جزية سنوية ، خصوصا ان السلطان سعيد بن سلطان كان متشوقا للوصول الى زنجبار .

٢ ـ عقد مع الأمير السعودي فيصل بن تركي صلحا حينما علم بوصول القوات المصرية الى الاحساء والتي بدأت بضغط على الجبهة الغربية من دولة السعوديين وذلك بدفع مبلغ ٢٠٠٠ روبية للامير مقابل تعهد الامير بصد اي هجوم على البحرين . حيث أعيد فتح طريق المواصلات بين والبحرين وموانىء القطيف والعقير وتعتبر هذه أول اتفاقية أمنية من نوعها بين حاكم البحرين والسلطة في نجد عام ١٨٣٦م .

٣ ـ حاول الشيخ عبدالله ، ان يستصدر من بريطانيا وعدا مكتوبا وصريحا لحفظ ممتلكاته من تعرضها للتجاوزات التى يقوم بها خورشيد باشا قائد الحملة المصرية على المنطقة ، الا ان الكابتن هينل المقيم السياسى ابلغ الشيخ فى مارس ١٨٣٩ انه لا يستطيع ان يقدم له رأيا محددا بشأن ما يقترحه من ارسال أحد اقربائه لمقابلة خورشيد باشا فى الاحساء وابلغه بأنه يجب ان يكون الفيصل فى مثل هذه الامور .

٤ ـ لقد فزع الشيخ عبدالله من تقدم القوات المصرية ، خصوصا بعد تردد الانباء عن تآمر سيد عمان مع القوات المصرية على ممتلكاته ، مما دعا الشيخ الى استمالة حاكم شيراز الذى كان فى واقع الامر أشد الناس تلهفا لدعوة الشيخ فأرسل له مبعوثا يقيم فى البحرين هو حاجى قاسم ، كما وعد بالمحافظة على ممتلكات الشيخ . غير ان حكومة الهند البريطانية وجدت نفسها مضطرة عام ١٨٣٩م للتدخل وذلك ، تجاه زحف وتقدم القوات المصرية ، وصدور تعليمات حكومة لندن ، بالسماح لقائد الاسطول البريطانى فى الخليج سير ميترلاند بأن يستخدم كل امكانياته ، لمنع قائد القوات المصرية من التقدم ، وقد توفر للشيخ عبدالله تعهد كتابى من جانبه ، بالا يضع نفسه تحت سلطة او حماية اى دولة أجنبية قبل استشارة المقيم السياسى البريطانى .

٥ ـ فى يوليو ١٨٣٩ ، اتفق الشيخ عبدالله مع المصريين وتعهد بأن يدفع جزية سنوية قدرها (٢٠٠٠) روبية شريطة ان تبقى السلطة الداخلية كلها فى يد الشيخ ، وارسل خورشيد باشا ممثلا عنه فى البحرين .

الموقف البريطاني من تصرف الشيخ عبدالله :

لقد خرج الانطباع البريطاني بموقف جديد تجاه الشيخ عبدالله يمكن وصفه بالسلبية خصوصا في عقد الصلح والاتفاق مع مختلف الاطراف وبالأخص خورشيد باشا ، محاولا بذلك خلق الاستقرار ودفع اي تدخلات خارجية تؤثر على حكمه في البحرين ، اضافة الى عدم الثقة الكاملة تجاه المواقف البريطانية في رد اية اعتداءات عليه حيث لم يكن امام الشيخ الا هذه السبيل لاجتهاداته ، الا ان بريطانيا اساءت الفهم وبدأت في تبرير سياسة الشيخ بأنها نتيجة لكبر سنه ووهن قوته . وان نجاح خورشيد باشا جعله يشك في قدرة البريطانيين وناقشت اللجنة السرية التابعة لشركة الهند الشرقية امكانية استبداله بشيخ آخر اكثر استعدادا للتفاهم وقررت الا تقف في وجه سيد عمان اذا حاول غزو البحرين كما منحت الاذن (لعيسى بن طريف البنعلي) زعيم البنعلي (وبشر بن رحمة الجلاهمة) ان يتحدا مع الشيخ محمد بن خليفة لاسقاط حكم الشيخ عبدالله منذ عام ١٨٣٨ ، ١٨٤٣

إذن نستطيع القول أن هذه العوامل المجتمعة شكلت اساسا لنهاية مرحلة عبدالله بن احمد وبداية مرحلة محمد بن خليفة اضافة الى خروج ابناء الشيخ عبدالله* على أبيهم بين الحين والاخر مطالبين بالسلطة التي كان الشيخ محمد يعتبرها من حقوقه الاساسية التي كان يجب ان يتقلدها بعد وفاة ابيه وشريك عمه الكبير في الحكم وكرد فعل لموقف الشيخ عبدالله المعارض لطلب اهالي الاحساء باشراف الشيخ محمد بن خليفة على منطقتهم تحدد الموقف الجريء للشيخ محمد بالمواجهة الصريحة مع عم أبيه الكبير .

المواجهات الحربية المباشرة بين الشيخ محمد وعم ابيه حاكم البحرين الشيخ عبدالله

انبرى الشيخ محمد نحو عم ابيه في المحرق وحاول حصاره بعد ان لزم العم جانب ابنه الشيخ احمد تجاه بعض القضايا الخاصة التي رفضها الشيخ محمد وبعدها بدأ كل فريق يحشد جيشه ، فالشيخ عبدالله في المحرق والشيخ محمد في المنامة وفي يونيو ١٨٤٢م ، استطاع الشيخ عبدالله ايقاع الهزيمة الكاملة بالشيخ

هوامش

* كان للشيخ عبدالله عشرة اولاد منهم ثلاثة من ام تنتمي الى قبيلة البنعلي ، وهؤلاء خرجوا عليه طمعا في الحكم .

الشاب آنذاك لما كان له من قوة بحرية وبرية اضافة الى مساندة ابناء اخيه سلمان ضد ابن اخيهم محمد بن خليفة الذى ذهب الى قطر باحثا عن انصار يستطيع بمساعدتهم تحقيق هدفه وفي قطر بقى من يناير ١٨٤٣ حتى ابريل ١٨٤٣ حيث ان سكانها كانوا يتعاطفون معه ونجح الشيخ محمد فى احتلال حصن مرير ، ومن هناك بدأ بمراسلة اصدقائه فى جزيرة قيس .

واخيرا ارسل الشيخ محمد قوة كبيرة من الفويرط التى كان يتخذها قاعدة له تحملها خمس سفن كبيرة الى الساحل الشرقى لجزيرة البحرين ، وبدأ نزول الجند فى نقطة مقابلة للرفاع الشرقى ، وأرسل الشيخ عبدالله على عجل قوات يقودها ابنه ناصر استطاعت احتلال الرفاع الشرقي قبل جنود الشيخ محمد ، ودارت بين الطرفين معركة صغيرة قتل فيها وجرح عدة رجال من الجانبين . ويبدو ان الشيخ عبدالله لم يوفق فى محاولة تطويق الغزاة من البحر وقطع خطوط امداداتهم .

وفى مارس او ابريل سنة ١٨٤٣ أصبحت مدينة المنامة تحت حكم شقيق الشيخ محمد وهو الشيخ على بن خليفة ـ بموافقة اهلها ثم وصل عيسى بن طريف وبشر بن رحمة الى البحرين ومعهما قوات كبيرة من المناهضين للشيخ عبدالله .

وفى أبريل هاجم الحلفاء مدينة المحرق وهى مقر الشيخ عبدالله ، وأرغموه على ان يحتمى بحصن ، لا يبعد كثيرا عن المدينة » يحتمل انه حصن ابو ماهر . كذلك استسلمت بالتالى قلعة عراد التى كان يحتلها ابناؤه . وظل ابناء الشيخ عبدالله ـ الذين أسروا فى قلعة عراد ـ وبموافقة الشيخ المنتصر ـ يقيمون فى البحرين ، اما الشيخ نفسه فقد سمح له المنتصرون بسفينة كبيرة واخرى صغيرة فقط كى ينتقل بهما مع عائلته وأقاربه وممتلكاته جميعا الى الدمام وكان هذا المكان ـ هو الوحيد الذى بقى له وكان يحكمه فى ذلك الوقت مبارك ابن الشيخ عبدالله .

وسيتضح للقارىء فى المرحلة الثانية من حياة الشيخ محمد المواجهات التى جابهها من ابناء الشيخ عبدالله فى الدمام ومن القبائل الموالية لهم فى قطر .

اما الرواة المحليون لاحداث البحرين فانهم الى حد كبير يتفقون مع ما رواه النبهانى فى كتابه عن الاحداث اذ انه استشهد تفصيلا بالمواقع الموجودة فى البحرين وما دار حولها من معارك ، على خلاف ما سبق ان بينه لوريمار مختصرا من الاحداث ليصل الى النتائج ، لذلك أفضل ان اصف الاحداث بالتفصيل الذى رواه القدماء او الرواة المسنون كما وصلتهم التفاصيل من ابائهم .

وهى كمايلى تباعا

- موقعة الناصفة
- موقعة سوق الخميس
- موقعة الحنينية
- موقعة المحرق او موقعة الساية

موقعة الناصفة

سجل محمد بن خليفة اول انتصاراته بعد ان عزل جيش عم ابيه المتجه الى الرفاع والمكون من بنى هاجر لكى ينضم تحت قيادة الشيخين محمد وحمود ابنى سلمان بن احمد اى ابنى اخ الحاكم وعمى محمد بن خليفة .

فالتقى محمد بهذا الجيش في منتصف الطريق عند سند « الناصفة » ودارت الدائرة على الجيش الاول للشيخ عبدالله الذى انسحب الى الحورة . ليواصل القتال فيما بعد بقيادة الشيخ عبدالله نفسه بعد الانضمام الى جيشه الثانى تحت قيادته ويحقق هذه المرة انتصاراته على محمد بن خليفة فى موقعة سوق الخميس .

تقول هذه التفاصيل فى عرض النبهانى للاحداث .. وعلى اثر ذلك جهز الشيخ عبدالله جيشين احدهما ارسله الى ابنى اخيه محمد وحمود ابنى سلمان فى الرفاع وقد تألف الجيش المذكور من بنى هاجر لقتال محمد بن خليفة .

اما الجيش الثانى فقد قاده بنفسه متوجها به نحو سوق الخميس .

اما محمد بن خليفة فقد توجه مسرعا حينما سمع بالخبر وجرد جيشا ليصد جيش الشيخ عبدالله الاول عن الوصول الى الرفاع فى منتصف الطريق اى فى سند ، حيث نجحت محاولته هذه وانسحب الجيش الاول الى الحورة فى المنامة ثم تابع مسيرته حيث انضم الى الجيش الثانى فى الخميس الذى يقوده الحاكم بنفسه ، الا ان الحظ لم يوافق الشيخ محمد فى محاولته الثانية بالرغم من ثباته وشجاعته ، فكانت المعركة لصالح الحاكم ، حيث قتل اخوه دعيج بن خليفة وقتل للشيخ عبدالله احد احفاده فى « سوق الخميس » عام « ١٢٥٨ » هـ .

موقعة الحنينية

حاول محمد بن خليفة التوجه الى نجد ، بعد ان وجه أخاه الشيخ على بن خليفة للعمل على حشد جيشه سرا فى انتظار تعليمات من قبل اخيه بعد ان تتم مقابلته مع امير الرياض عبدالله بن ثنيان الا ان هذا الاخير لم يقدم المساعدة للشيخ محمد مما اضطره للعودة الى قطر ، واستنجد بقبيلة البنعلى القاطنة « جـزيرة قيس » فهبوا لنجدته برئاسة عيسى بن طريف وانضمت لها قبائـل أخرى كقبيلة النعيم تحت قيادة جبر بن ناصر ، وآل بوكواره برئاسة محمد بن سعد وقبيلة الجلاهمة ورئيسها بشر بن رحمة بن جابر .

تقدمت قبيلة النعيم اولا الى البحرين لتنضم الى جيش الشيخ على بن خليفة الذى توجه بها الى منطقة « الحنينية فى الرفاع » ليلتقى هناك بجيش عمه الشيخ عبدالله حيث انتصر بعد قتال شديد واحتل الرفاع فى نفس الوقت هب الشيخ محمد بن خليفة مع القبائل المساندة له والقادمة من قطر محاولا الزحف بهـا لاحتلال المنامة ، بينما بقى الشيخ عبدالله محتفظا فقط بقوته فى المحرق وقد نزل الشيخ

محمد بجيوشه فى المحرق عند السابة « ينبوع ماء » ولم يستطع عمه مبارزته وانما تحصن مع بعض رجاله فى « قلعة ابى ماهر » جنوب المحرق وتركهم الشيخ محمد لاجئين فى القلعة وبعدها ارادوا الذهاب الى بلدة الدمام ، ثم ساروا الى فارس وبعدها توجه الشيخ عبدالله الى الكويت مستنجدا بحكامها . « آل صباح » ثم الى نجد للغرض ذاته وبعدها الى مسقط للاستنجاد بسلطانها السيد سعيد الا انه توفى هناك بعد ان حكم لمدة اثنين وعشرين عاما ليستتب الامر للشيخ محمد بن خليفة .

ومن الجدير بالذكر ان الشيخ محمد اشتهر بالعديد من الصفات التى ميزته من الناحية الشخصية واضافت اليه ابعادا « وتبصرا » من الناحية السياسية وقدرة وجرأة فى النواحي العسكرية •

واذا كانت هذه الاحداث التى ادت الى استيلاء الشيخ محمد على السلطة فى البحرين تعتبر الفصل الاول او المرحلة الاولى من حياته ، فان المرحلة الثانية / تبدأ منذ توليه السلطة وما تبعها من مشكلات وظروف محلية واقليمية جعلته يواجهها بصلابة وجرأة نادرتين .

المرحلة الثانية من حياة الشيخ محمد بن خليفة

تبدأ المرحلة الثانية من حياة الشيخ محمد بن خليفة مرتكزة على ركيزتين اساسيتين وفى نفس الوقت مكملتين لبعضهما البعض ، حيث ان الشيخ حاول ان يركز حكمه فى الداخل متخذا مختلف السبل والوسائل المؤدية الى المحافظة على حكمه من الدسائس والمجابهات الخارجية .

فعلى المستوى العائلى ، حاول عم ابيه الشيخ عبدالله بن احمد ان يستعيد حكم البحرين من مقره فى فارس مما اتاح الفرصة للتدخل البريطانى فى شئون البحرين ، كما أثار فترة جدل عنيف مع الحكومة الفارسية وتطلعاتها فى البحرين .

التطلع الفارسى فى البحرين :

يبدو ان فارس استغلت الخلافات العائلية على الحكم فى البحرين والوساطات التى كان يقوم بها المقيم السياسى فى بوشهر ، بين الفئات المتنازعة بطرق متفاوتة

• لقد كان شجاعا شديد البأس ، جمع بن الحلم والوقار والمهابة والبشاشة وكان له من صدق الفراسة والاصابة والذكاء ، لاسيما فى تفسير رؤياه المنامية مايكاد يجعله ملهما .
انظر النبهانى ، تاريخ البحرين ، ص ٦٣ ، كما يروى النبهانى فى نفس المكان ان للشيخ محمد ١٣ إبنا هم خليفة واحمد وعلى وجابر وسلمان وناصر وعبدالله وعبدالرحمن والشيخ راشد وصقر وعبدالعزيز والشيخ ابراهيم والشيخ فارس .

بين اللين والقسوة فقد أبدى المقيم السياسى نصيحته للشيخ محمد بمنعه من القيام بأى عمل رادع ضد منافسيه فى الخارج ، لئلا يترك الباب مفتوحا « للتدخل الفارسى » فى شئون الجزيرة الا ان فارس لم تترك الامور تمضى دون ان تبدى احتجاجها الى وزير الخارجية البريطاني على تصرفات المقيم السياسى .

غير ان بريطانيا لم يثرها الامر ولم ترسل ردها الى رئيس وزراء فارس الا بعد مضى ثلاث سنوات تحاشيا للمواجهات الساخنة ويبدو ان الاخير اصابته الدهشة من الموقف البريطانى وحاول ان يؤيد ادعاءات فارس فى البحرين بمختلف الاساليب وقد احتج وزير خارجية بريطانيا على موقف فارس وادعاءاتها فى البحرين و التدخل بين الاسرة ، لايجاد موقع قدم بمناصرة هذا او ذاك ، خصوصا حينما اتصل قنصل فارس فى بغداد بالشيخ عبدالله وقدم له استعداد بلاده لمساعدته عسكريا ضد الشيخ محمد وبريطانيا الا ان الشيخ عبدالله توفى عام ١٨٤٨ وقيل ١٨٤٩م فى ميناء مسقط .

التأثيرات العثمانية على الاوضاع فى البحرين

لم تكن فارس هى الدولة الوحيدة التى أرادت ان تتدخل بين الحاكم الشيخ محمد وعم أبيه الشيخ عبدالله بن احمد فقد حاول الاخير الالتجاء الى قبائل عربية فى جزيرة قيس فى الخليج مطالبا اياهم بمد يد المساعدة لنصرته وحينما تأكد الشيخ محمد من خطورة الموقف اتصل بالدولة العثمانية كما تشير بعض المصادر ورحب الباب العالى بمساعدته وارسال سفن للخليج مقابل اعتراف من الشيخ بسيادة السلطان ولم يوافق الشيخ على بسط السياد كما ارادتها الدولة العثمانية وتحاشيا للمواقف المتأزمة والتى قد تنشأ فى تلك الظروف فقد استخدم قدراته الدبلوماسية فى لعبة التوازن بين الدولتين الاقليميتين آنذاك فلجأ لرفع العلم العثمانى لدى وصول وكيل الدولة العثمانية والعلم الفارسى لدى وصول وكيل فارس مما دعا بريطانيا الى الاعتراض على الدولة العثمانية وفارس لما سبق ان وقعته من معاهدة صداقة مع الشيخ محمد وادى ذلك الى اختفاء كل من هذين الوكيلين خارج البحرين . كما استمر اولاد الشيخ عبدالله بن احمد الذين لجأوا الى الاحساء فى انتهاج نفس الطريق الشائك الذى سار عليه والدهم فى متابعة الشيخ محمد ومحاولته الاستيلاء على البحرين ففى عام ١٨٥٢ حاول محمد بن عبدالله احتلال البحرين ، الا انه لم يوفق فى ذلك

تتمة المرحلة الثانية

استمالت فارس الشيخ محمد بن خليفة بعد وفاة عم أبيه واظهرت له حسن النية وطلبت منه أن يعطيها مكانة خاصة وقد ارسلت له مندوبا ومعه بعض الهدايا المميزة.

وقد اتخذت بريطانيا من هذا الموقف ذريعة لتدخلها في شئـون البحرين رغم علمها بأن هذه الأمور لا تبدل شيئا من واقع البحرين بقدر ما تعطى فارس والشاه بعض الفرص للتعبير عن الهيبة الامبراطورية. ومع ذلك فقد تدخلت بريطانيا في الأمر بعنف معتبرة ذلك تحديا من الشيخ لنصائح المقيم السياسي.

وازاء الخطوات الحربية التى قام بها المقيم السياسي البريطاني جـونس من بوشهر وذلك بمحاصرة المنامة اضطر الشيخ لتوقيع معـاهدة ١٨٦١ التى تعلن انضمام البحرين الى معاهدة السلام العامة التى وقعتها دول الساحل فيما سبق والتى تشير في مقدمتها الى انه : نظرا للاضطرابات التى احدثتها القبائل العربية فانني انا محمد بن خليفة اعلن انضمامي الى معاهدة الصداقة والسلم الدائم التي تهدف الى تقدم التجارة وسلامة جميع الشعوب التى تستعمل هذا البحر لملاحتها وتتكون هذه المعاهدة من خمس مواد وقعت في ٣١ مايو ١٨٦١.

تجدد المنازعات بين الشيخ محمد وابناء عمه :

استنجد آل عبدالله في القطيف بآل البنعلي وزعيمهم عيسى بن طريف لمساعدتهم في دخول البحرين، وجاءوا جميعا الى قطر لشن الحرب على الشيخ محمد بن خليفة الا انه ارسل لهم أخاه الشيخ علي بن خليفة على رأس جيش حاربهم في واقعة «أم سوية» وقتل في تلك الواقعة عيسى بن طريف وأحد ابناء الشيـخ عبدالله فـاتجه الباقون الى القطيف ثم لجأوا ثانية الى أمير نجد فيصل بن تركى الذي امـدهـم بجيش جرار، وعندما ابحر هؤلاء وانصارهم كان جيش الشيخ محمد مستعدا برا وبحرا لمقاومة أي تدخل في شئون البحرين، مما اتاح له الغلبة في موقعة بحرية قتل فيها الشيخ مبارك بن الشيخ عبدالله، وحاول هؤلاء مرة ثالثة الا ان الشيخ علي بن خليفة حاصرهم أحد عشر شهرا مما اضعف قوتهم وطلبوا وساطة فيصل بن تركى لدى ابن عمهم حاكم البحرين محمد بن خليفة الذي عفا عنهم واجاب طلبهم في العودة الى البحرين.

المواجهات بين الشيخ محمد بن خليفة والقبائل في قطر :

حدثت مواجهات بين الشيخ محمد بن خليفة والقبائل في قطر التي كانت انذاك تابعة للبحرين فقامت بعض القبائل يترأسها قاسم بن ثاني لمقاومة نفوذ الشيخ محمد في قطر، فارسل حاكم البحرين أخاه الشيخ عـلي على رأس جيش لوضـع الأمور في نصابها. وقد وصل الى قطر سرا حيث تم تدمير قطر تدميرا شاملا، مما دعا قاسم بن ثاني على اثر تلك الاحداث الى التقدم طالبا العفو من الشيخ محمد في البحرين حيث اودع السجن، وعاد الشيخ محمد ليشتبك مع القبائل ثانية ولكن عندما وصلت الانباء الى شبه جزيرة قطر، بسجن قاسم بن ثاني، فرت هذه القبائل الى البحرين تتقدمهم قبيلة النعيم، وقد استعد الشيخ محمد واخوه الشيخ علي

لجميع تلك الاحتمالات فاشتبك الفريقان في مكان اسمه دامسة في معركة ضارية عام ١٨٦٧ اسفرت عن خسائر فادحة في القتلى من الجانبين وكان من نتائجها فوز البحرين في المعركة وتشير بعض المصادر الى ان حرب «دامسة» شكلت احد المبررات الرئيسية للتدخل البريطاني المباشر في شئون البحرين.

التدخل البريطاني المباشر في الخلاف

مع ان المصادر والرواة يؤكدون دائما على ما تميز به الشيخ محمد من تفوق في بداهته الى درجة تصبح البداهة فيها ضربا من الرؤية الا انه حاول بهذه النظرة الابتعاد عما يبديه المقيم البريطاني من تقرب في صداقته فقد تقدم المقيم من بوشهر يطلب صداقة الشيخ محمد ويعرض عليه المعاهدة التى أسماها معاهدة صداقة والتى سبق تفصيلها في سياق البحث وتضمن للشيخ حدوده وممتلكاته من الاخطار المحيطة به، وتريث الشيخ محمد في قبول هذا العرض وذلك لما ينطوى عليه من امتيازات لصالح الوجود البريطاني ورعاياه، اضافة الى ان معظم بنود تلك الاتفاقية تقيد من تحركات الشيخ محمد وما اتصف به من مواقف حربية تميزت بالنجاح في مجملها، الا ان الشيخ حاول ان يستفيد من الاتفاقية في مواجهة اعدائه وفي نفس الوقت احتفظ بحريته في التحرك ومجابهة مختلف الظروف ومعالجتها بالشكل الذي يراه، وهذا ما جعل المقيم السياسي يحتد في تصرفه تجاه موقف الشيخ من القبائل في قطر ومحاولة صدهم في معركة «دامسة» بعد ست سنوات فقط من اتفاقية الصداقة مع بريطانيا وكانت وجهة نظر الجماعة التى كانت تمثل السلطة في البحرين آنذاك، أن القبائل في قطر هاجمت البحرين بغته بحيث لم يكن هناك متسع من الوقت لاخذ رأى المقيم السياسي في بوشهر وكان رد الشيخ محمد بايقافهم نابعا من محافظته على الأمن والحكم في البحرين الا أن المقيم السياسي رغم ذلك اعتبر هذا العمل خرقا للاتفاقية وجاء على بارجته لمقابلة الحاكم الا ان الشيخ محمد توجه في نفس الوقت الى قطر للتفاوض في ايقاف القتال وفوض اخاه الشيخ علي متابعة الموضوع المطروح للمناقشة مع المقيم.. غير ان المقيم لم يأت مسالما للتفاوض وانما واصل اسلوبه باتباع السبل العنيفة حيث حاصر قلعة ابى ماهر، واطلقت بارجته مدافعها على القلعة التى كانت ترفع العلم العثماني والعلم الفارسى كما احرق اسطول البحرين الشراعي في غياب الشيخ محمد، ثم طلب المقيم من الشيخ علي بن خليفة ان يتقلد الحكم محل اخيه واضطر الشيخ علي في هذا الجو الساخن ان يهادن المقيم ويوقع مع وجهاء البلاد اتفاقية ٦ سبتمبر ١٨٦٨ والتى تعتبر بمثابة، السند الرئيسى في اعطاء بريطانيا سلطات اوسع في الشئون الداخلية ونظام الحكم والادارة مما يتنافى مع ما سبق ان وقعته من اتفاقية صداقة لها جوانبها السلبية والايجابية في نفس الوقت. غير ان الاتفاقية الجديدة كانت تنطوى على غرامات تدفعها البحرين للمقيم اضافة الى ما انطوت عليه المادة

الخامسة التى تقضى بتعيين وكيل دائم لحاكم البحرين في بوشهر لكى يكون على صلة وثيقة بتعليمات المقيم.

لقد تدخلت بريطانيا بين الاخوين في نص الاتفاقية وبذرت الشقاق بينهما بالرغم من ان الشيخ محمد حكم طيلة ستة وعشرين عاما، كان فيها أخوه الشيخ علي بن خليفة العضد والساعد الايمن له في حروبه ومفاوضاتها وانتصاراتها اضافة الى ادارة شئون البلاد، واليه يعود الفضل فيى استمرار الحكم بينهما طيلة تلك الفترة، وعلى اثر ذلك لجأ الشيخ محمد الى الكويت يطلب وساطة أميرها في العودة الى حكم البحرين ومن هنا تبدأ المرحلة الثالثة من حياته.

المرحلة الثالثة من حياة الشيخ محمد بن خليفة

اذا كانت المرحلة الاولى من حياة محمد بن خليفة مثلت التحديات الكبيرة التى واجهته في الوصول الى دفة الحكم واذا كانت المرحلة الثانية تمثل محاولاته العديدة في الاحتفاظ بالحكم والادارة والدفاع عن هذا المبدأ بالوسائل الحربية والسلمية والمفاوضات والتعاون والاتفاقيات سلبا أو ايجابا الا أن المرحلة الثالثة تمثل مرحلة حرجة من حياته وهى مرحلة ابتعاده عن الحكم الذي طالما دافع عنه وبذل من اجله كل ما يملك من نفوذ ومال ورجال لذلك يواصل محمد بن خليفة في تلك المرحلة محاولات العودة الى البحرين بمختلف السبل التى بدا معظمها شبه مسدود تجاه محاولاته المتكررة لاسترجاع الحكم.. ففي الكويت المحط الاول للشيخ محمد طلب من حاكمها الشيخ مبارك ان يبدى وساطته لدى اخيه الشيخ علي للقدوم الى البحرين واستلام الحكم، وتشير المصادر بأن الشيخ الحاكم وافق على هذا الأمر بناء على طلب أخيه، وحينما استعد محمد للسفر الى البحرين، حاول البريطانيون بكل الوسائل التأثير على الشيخ علي للعدول عن تنفيذ طلب أخيه، مما اضطره الى العدول فعلا فغضب محمد بن خليفة، ولجأ الى دارين ومن هناك بدأ يجمع قواته من قبيلة بنى هاجر من الاحساء وابناء الشيخ عبدالله الذين نازعوه الحكم في السابق من الدمام، وفي اغسطس ١٨٦٩م عبر محمد بن خليفة وناصر بن مبارك الى البحرين في تسعة قوارب تحمل ٥٠٠ مسلح من بنى هاجر، وسارت تلك القوات الى الرفاع الشرقي الذي كان يسيطر عليه محمد بن عبدالله وهو الشيخ الذي كانت السلطات البريطانية قد طلبت باسم الشيخ علي بن خليفة إعادته من الدمام، ١٨٦١، وحدثت معركة انتهت بسبب مواقف محمد بن عبدالله ومناصرية بقتل الشيخ علي بن خليفة واحد ابنائه، واحتل هؤلاء اي محمد بن عبدالله والذي كان اشدهم سطوة ونفوذا مدن المنامة والمحرق.

الموقف البريطاني تجاه احداث البحرين

حينما وصلت انباء الخلافات العائلية على الحكم في البحرين وما أدت اليه بسبب التدخل البريطاني في شئون الحكم. وصل الرائد بيلي من بوشهر على ظهر السفينة البريطانية دافني ومعه الكابتن دوجلاس يقود السفينة نيف، والقاربين المسلحين «كلايد وهيوروز»، كما يذكر ذلك لوريمار مسجل احداث المنطقة في ذلك العصر. وبدأت العمليات العسكرية في ١٩ نوفمبر وانتهت في ٢ ديسمبر ١٨٦٩ حيث هوجمت قلعة ابي ماهر بالقوارب وهزمت حاميتها، وكان الشيخ محمد بن خليفة في خضم هذه الاحداث قد اتفق مع أبناء عمه عبدالله الذين خرجوا عليه في السابق بعد ان شاطرهم السلطة، الا انهم خرجوا عليه وسجنوه في قلعة ابى ماهر، لذلك قدمت السلطات البريطانية الى البحرين لابعاد محمد بن عبدالله الذي استلم مقاليد الحكم بعد قتل الشيخ علي ومحمد بن خليفة الحاكم الذي اختلف مع السلطات البريطانية والذي نحن بصدد الحديث عنه. وقد نقل الشيخ محمد بن خليفة مع ابنى عمومته محمد بن عبدالله وعلي بن ناصر بن مبارك آل عبدالله والذي اسر في قلعته بالمنامة، والتى من المحتمل، ان تكون قلعة البحرين بعد تدميرها غير ان علي بن ناصر بن مبارك ذهب الى الاحساء، وبقى محمد بن عبدالله ومحمد بن خليفة في يد السلطات البريطانية التى نفتهما الى الهند حيث أودعا قلعة شونارد ثم الى عدن، وبوساطة كبيرة من السلطان العثماني، نقل محمد بن خليفة الى مكة، وقد تم ذلك بعد مصادرة املاكهما في البحرين، وتروى الحكايات المحلية الدور الكبير الذي قامت به زوجة الشيخ محمد بن خليفة واتصالاتها المباشرة مع السلطان في اسطنبول، من اجل زوجها واعادته الى مكة ليستطيع استقبال ابنائه واحفاده هناك وظل في المنفى واحدا وعشرين عاما. اما فيما يتعلق بالحكم في البحرين، فقد رأت السلطات البريطانية بعد عام ١٨٦٩ وبعد خلو السلطة بمقتل علي بن خليفة وتولى محمد بن عبدالله زمام الامور بعد مواجهته مع الشيخ محمد بن خليفة وقتل الشيخ علي بن خليفة انه من الافضل ان يستطلع رأى العائلة والاعيان والوجهاء في البحرين وبعد عدة مداولات اتفقت الاراء على استقدام الشيخ عيسى بن علي بن خليفة من قطر الى البحرين ليحكمها وهو انذاك في الواحدة والعشرين من عمره، واستمر حكمه طيلة ما يقارب النصف قرن، اهتم خلاله بوضع بداية الأسس لتنظيم الحكم والادارة واشتهر بمجالسه المفتوحة للرواد والزوار والادباء.

وقد استفاد الشيخ عيسى بن علي من المحن والدروس التى قاسى منها والده وعمه، فاتفق على تنصيب ابنه الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة وليا لعهده في الثلاثينات من هذا القرن.

خلاصة الملامح العامة لشخصية الشيخ محمد

لقد دار الحديث حول الشيخ محمد بن خليفة من خلال المراحل الرئيسية التى مرت بها حياته، ففي جميع الظروف التى صاحبت سيرته، يتلمس الباحث بعض الصفات التى لازمته في مرحلة تلو اخرى، وانعكست بطبيعتها على الظروف التى فرضها الواقع المحلى والاقليمي والدولي في ذلك الوقت لقد حاول دائما الاعتماد على القوة العسكرية حينما تتوفر امكانياتها لتحقيق مطلبه، أما اذا كانت القوة التى يتعامل معها تفوق قدراته العسكرية فانه في هذه الحالة يعتمد على الدهاء والدبلوماسية وبالرغم من اصالة هذه الصفات الى جانب صفات شخصية اخرى اشرت اليها في مكان آخر. فان تلك الظروف التى واجهت الشيخ محمد لم تكن بالمرونة والسهولة التى تتيح للشيخ ان يغامر بالصداقات والتعاون من جهة، والاستقلال وفرض وجوده وصلابة موافقه مع الاخرين من جهة اخرى.

فالواقع الدولي في المنطقة والحقبة البريطانية التى اشتدت في مواقفها واتفاقياتها في عهد الشيخ محمد، كانت بحد ذاتها عاملا للتدخل بين الأسرة والقبائل العربية حول الخليج، لفرض سياستها التى أسمتها في فترة لاحقة سياسة الوضع القائم او الراهن، واعطت لنفسها حق التدخل ضمن هذا المبدأ، لاستمرار الوجود البريطاني تجاريا وعسكريا في المنطقة وعبر المحيط الهندي.

المراجع

أولا : المؤلفات العربية :

١ ـ ابو حاكمة، احمد مصطفى، تاريخ شرق الجزيرة العربية في العصر الحديث، (مطبعة النهضة) القاهرة، ١٩٦٨.

٢ ـ الداود، الدكتور محمود علي، الخليج العربي والعلاقات الدولية، معهد الدراسات العربية والبحوث، القاهرة ١٩٦١.

٣ ـ صبحي محمود، البحرين ودعوى ايران، (مطبعة عوف) اسكندرية، ١٩٦٢.

٤ ـ عباس اقبال، مطالعات درباب بحرين وسواحل خليج فارس، القاهرة ١٩٥٦.

٥ ـ العقاد، الدكتور صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي، (مكتبة الانجلو) القاهرة، ١٩٦٥.

٦ ـ قاسم، الدكتور جمال، الخليج العربي (مطبعة جامعة عين شمس) القاهرة ١٩٦٧.

٧ ـ النبهاني، محمد خليفة بن موسى، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، الجزء السادس، خاص بالبحرين (المطبعة المحمودية) القاهرة ١٩٣٤.

ثانيا : المصادر البريطانية القديمة :

1— Aitchison, C.U. A collection of Treaties Engagement and Sanads, Relating to India and Neighbouring Countries, VOL XI (Calcutta, 1933).

2— Feiix Jines, Lieutienant.
Selection from the Record of Bombay Government (Education Society Press).

3— Lorhner J.G.
Gazetter of the Persian Gulf, Official Publication of the Government of India, Calcutta, VOL III, Historical, 1915.

ثالثا : المؤلفات الاجنبية :

1— Adamyiat, Erydom, (P.H.D)
Bahrain Islands — Legal and Diplomatic (Study of the British Iranian Controvers — (Frederick A Praeger). New York, 1955.

2— Ballard, Sir Reader,
Britain and the Middle East from the earliest times to.

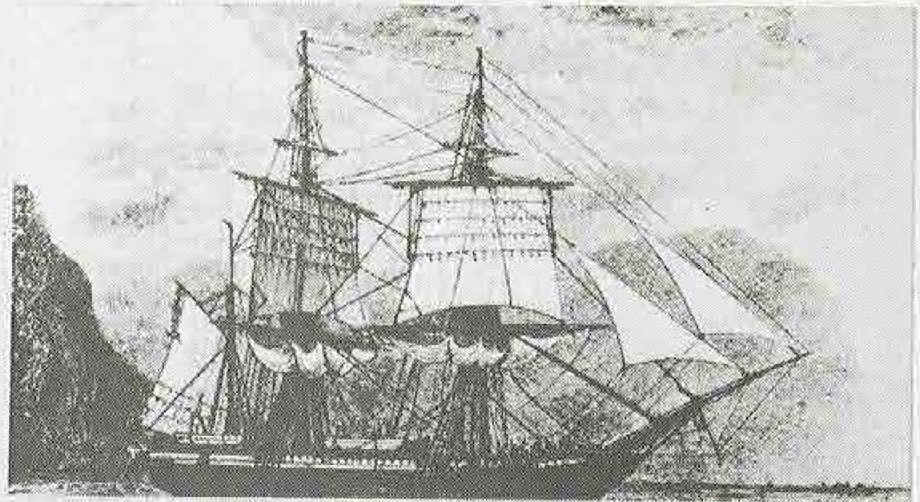
3— Faroughy, Abbas (P.H.D)
The Bahrain Islands, (1950 — 1951) A contribution to the study of power politics in the Persian Gulf (Very and Fisher) N.Y 1951.

تجارة البحرين

منذ فتح العتوب

تقع البحرين، وهى عبارة عن ارخبيل مكون من ٣٣ جزيرة، في قلب الخليج العربي على خط عرض ٢٦° شمالا بمحاذاة الساحل العربي وتبعد عنه بحوالي ١٥ ميلا، وتشكل هذه المسافة طريقا بحريا نشطا للحركة التجارية وللتفاعل الحضاري منذ اقدم العصور[١] . وقد لعبت البحرين دورا رئيسيا في عصور ما قبل التاريخ وفي العصر التاريخي كمركز حضاري هام، فكانت تتوسط الطرق البحرية التي تسير عبرها تجارة السومريين وذلك حوالي عام ٣٦٠٠ ق.م[٢] . وخلال الالف الثاني قبل الميلاد تميزت منطقة الخليج العربي بقيام دولة دلمون ، والتي اعتبرت من اهم مراكز الخليج التجارية كما كانت حلقة الوصل بين بلاد الرافدين ووادي السند . ويجدر بنا ان نذكر بعض الشيء عن الحقيقة التاريخية التى تربط البحرين بدلمون .

بقلم : خالد خليفة الخليفة



وحتى ظهور النفط

لقد تناول العديد من الباحثين تحديد موقع دلمون وتفاوت هذا التحديد، فمنهم من يرى ان دلمون هى البحرين، ومنهم من يضعها في افريقيا او في وادي السند، واغلبية الباحثين يحددون دلمون بالبحرين الحديثة[٣]. وهناك بعض الحقائق التى تثبت لنا بأن البحرين هي دلمون ومنها الدلائل الاثرية، فتعد اعمال الكابتن ديوراند (Durand) التى نفذها في البحرين في عام ١٨٧٩ م اولى النشاطات الاثرية، وقد توج اعماله بأكتشاف حجر اسود من البازلت كتب عليه بالخط المسماري في اربعة أسطر.. «قصر، ديموم، الآله انزاك، رجل (قبيلة أو مدينة) أكادوم»[٤]. والاله انزاك يقدر له ان يكون الاها وسيدا لتلمون (دلمون) كما جاء في اسطورة «انكى وننخرساك»[٥] كما يتضح من الكتابات والنصوص السومرية اوصافه لدلمون، وبدراسة هذه الاوصاف التى وردت لأرض دلمون في النصوص القديمة نجد انها اوصاف تنطبق انطباقا تاما على جزيرة البحرين فهى تبعد عن مصب نهر الفرات حوالي ٣٢٠ كيلو مترا وهى نفس المسافة التى تذكرها النصوص بخصوص بعد جزيرة دلمون عن بلاد الرافدين[٦] (٣٠ بيرو وهى وحدة زمنية بابلية تقدر بضعف الساعة الحالية اي ٦٠ ساعة تقريبا) وتميزت دلمون بظاهرة تقديس الماء واعتباره إلها وظاهرة وجود موانىء بحرية ساعدت على النشاط التجاري فيها، وهما ظاهرتان

تدعوان الرائي الواعي الى تحديد دلمون بالبحرين فقد اثبتت الابحاث الاثرية في البحرين ان معابد باربار كانت تضم ابارا مقدسة ربما كانت لها علاقات بالطقوس الدينية كما ان هذه المنطقة ظلت طوال العصور القديمة ولا تزال تمارس نشاطا بحريا في المجال الاقتصادي[٧] . ويرى البعض ايضا ان اسم تايلوس (وهو الاسم اليوناني للبحرين) مشتق من اسم تلمون او دلمون[٨]، وقد ذكر اريان اليوناني تايلوس بقوله : «يقال عنها انها تبعد عن فم الفرات بحوالي يوم وليلة بسفينة تجري مع النسيم. هذا الى جانب ماذكرته الوثائق الآشورية عن طبيعة دلمون بأنها جزيرة في وسط البحر[٩] .

ان ارتباط البحرين بدلمون، وبجانب الدور الحضاري، يبرز مكانة البحرين التجارية خلال العصور القديمة . فأن حجم التجارة الخارجية والواقع بين اور ودلمون في فترة العصر البابلي القديم (٢٠٠٠ ق.م) يجعل من تجارة اور الخارجية وكأنها مقتصرة على دلمون[١٠] .

وقد كان تجار دلمون يأتون بسفنهم الى اور يحملون ما استوردوه من تجارات من الهند او افريقيا او جزيرة العرب لبيعه في اسواق اور ثم يعودون بسلع اسواق اور من حاصل العراق وما جلب الى اور من الخارج[١١] وأما اهم المواد التي دخلت ضمن التبادل التجاري بصفة عامة الحبوب والصوف والمنتجات الصوفية والفضية والذهب والنحاس سواء كمادة خام او كمواد مصنعة كالدروع والتماثيل، والاحجار الكريمة (مثل العقيق الاحمر والعوهق (اللازورد واليشب والزبرجد) والاحجار (مثل الرخام والبازلت والاستاييت) واللؤلؤ والتمور والبصل والاخشاب الجيدة، والعاج سواء كمادة خام او مصنعة وكذا مواد تجارية لم يتعرف عليها الباحثون بعد[١٢] . وهناك الكثير من نصوص بلاد الرافدين القديمة التى احتوت على ذكر انواع السلع المتجر بها، والطرق المتبعة في التعامل كضريبة العشر التى كان يدفعها تجار دلمون للاتجار مع بلاد الرافدين .

وقد وردت في بعض نصوص اور (Ure) انها صدرت الصوف في السفن الى دلمون، كما اشير الى قوافل كانت تذهب من (اور) الى هذا الموضع، وقد عادت بارباح كبيرة . ويظهر من هذه النصوص ونصوص اخرى ان الاتجار بين دلمون وأور كان متصلا مستمرا، وان جماعة من تجار اور كانوا يرسلون قوافل من السفن الى دلمون للاتجار، تحمل الى هذا الموضع ما هو في حاجة اليه من حاصلات العراق ومن الاموال الواردة الى العراق من الاسواق الخارجية مثل ايران وبلاد الشام وآسيا الصغرى وربما من اليونان واسواق اوروبا، فتبيعها هناك، وربما يشتريها تجار دلمون او غيرهم لتصديرها الى اماكن اخرى بعيدة مثل الهند، او افريقيا او قلب جزيرة العرب . فاذا انتهى هؤلاء التجار من بيع تجارتهم، عادوا ببضائع من البحرين، هى في الغالب من تجارة الهند او افريقيا في جملتها المعادن والاخشاب والعطور والاشياء النفيسة الاخرى التى كانت تباع بأثمان باهظة، فيربح هؤلاء التجار من هذه التجارة ربحا كبيرا . وقد كانوا يدفعون العشر، ضريبة على هذا الاتجار .[١٣]

ويتضح من العديد من الدراسات ان مكانة البحرين التجارية والتي تمثلت في دلمون قد ازدهرت خلال الثلاثة الآلاف سنة قبل الميلاد حتى اصبحت البحرين من

الممرات الرئيسية لتجارة بلاد الرافدين، ولعبت دورا اساسيا في الصلات الاقتصادية المباشرة بين منطقة الخليج وكل من بلاد الرافدين ووادي السند وغير المباشرة بين بلاد الرافدين ووادى السند .

ومن النصف الثاني من الالف الاول ق. م. اختلفت الطبيعة السياسية والاقتصادية لمنطقة الخليج العربي بشكل عام وذلك بقيام الامبراطورية الفارسية الاكمينية وظهور الاسكندر الاكبر (٣٣٠ ق.م)[١٤] وحتى القرون الميلادية الاولى فلم تتوفر المواد لذكر ما يتعلق بالتجارة في الخليج العربي. وخلال الحقبة الفارسية الثانية يذكر لنا الدكتور جواد على ورود بعض النصوص التى تبرز اهمية البحرين[١٥] كأحد الطرق التجارية لبلاد فارس فيذكر .. «ان وهرز (وهو معد يكرب الذي توجه كسرى على اليمن) كان يبعث الى كسرى بالطيوب والاموال فتمر عن طريق البحرين تارة وعن طريق الحجاز تارة اخرى[١٦] . فورود مثل هذه النصوص يؤكد استمرار دور البحرين كأحد الطرق التجارية الهامة والآمنة في الخليج بشكل عام وكأحد الطرق التجارية للامبراطورية الفارسية بشكل خاص .

وخلال العصر الجاهلي لمعت البحرين كأهم المناطق التجارية واكثرها ثراء وجدير بالذكر ان حديثنا هنا عن البحرين، (وخلال الفترة الاسلامية) يدور حول البحرين كما عرفها الحموى كأسم جامع لبلاد ـ «بين البصرة وعمان»[١٧] فشهدت هذه المنطقة تاريخا حافلا للهجرات العربية من الموطن الاصل، وقد وجدت مُتنفسا في عالم الخليج وتجولت في ارجائه وبخاصة نحو منافذه التجارية على امتداد دجلة والفرات وكانت البحرين نقطة تلاقي الموجات البشرية[١٨]

ويذكر الدكتور جواد على ان لليمامة ونجد والبحرين اهمية كبيرة بالنسبة للتجارة في جزيرة العرب، وكان سادات اليمامة والبحرين من الاثرياء الثقال في بلادهم، وكانوا اصحاب تجارات، وكان تجار البحرين يحملون تجاراتهم من اقمشة ومن تجارة البحر الى مكة[١٩] وكان سوق هجر (وهى قصبة بلاد البحرين) من اشهر الاسواق العربية، وكان الذي يتولى تعشير التجارة بسوق هجر المنذر بن ساوى، وهو ملك البحرين[٢٠] . وكانت اسواق البحرين[٢١] وبقية الاسواق العربية الشرقية تشتري الرقيق الوارد عليها من الهند، فلا يستبعد وصول رقيق السند وغيرها من بلاد الهند الى اليمامة والى اماكن اخرى من جزيرة العرب قبل الاسلام[٢٢] عن طريق البحرين .

وبظهور الاسلام صارت اقتصاديات عرب الخليج قوة تخدم الدولة الاسلامية الناشئة، وذلك ان اعتناقهم للاسلام فرض عليهم اداء الزكاة التى كانت قدرا عظيما بسبب الثروات التي تدفقت عليهم من التجارة. وذكر البلاذرى ان اعظم دخل للدولة الاسلامية على عهد الرسول جاء من البحرين، فقال : «بعث العلاء بن الحضرمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا من البحرين يكون ثمانين الفا، ما اتاه اكثر منه قبله ولا بعده[٢٣] وروى عن ابى هريرة، وكان واليا على البحرين في عهد عمر بن الخطاب ـ «انه قدم على عمر من البحرين، فقال : فلقيته في صلاة العشاء الاخيرة، فسلمت عليه، فسألني عن الناس، ثم قال لي : ما جئت به، قلت : جئت بخمسمائة الف . قال : اتدري ما تقول ؟ قلت جئت بخمسمائة الف، قال : ماذا تقول ؟ قلت :

مائة الف ومائة الف ومائة الف ومائة الف ومائة الف، فعددت خمسا. فقال : انك ناعس، فارجع الى اهلك فنم، فاذا اصبحت فأتني .. قال ابوهريرة، فغدوت اليه فقال : ما جئت به ؟ قلت : خمسمائة الف، قال : أطيب ؟ قلت : نعم، لا اعلم الا ذاك[٢٤]

فيتضح ان موارد البحرين المالية من التجارة واللؤلؤ اصبحت من اهم موارد الدولة الاسلامية وكانت السبب المباشر في نشأة الديوان كنظام لتدوين الداخل والخارج من المال .

وكانت مجموعة الجزر التى نعرفها اليوم بأسم البحرين هي القاعدة الاساسية للتجارة في الساحل الشرقي للجزيرة العربية. واشتهرت في العصر العباسي بأسم (أوال) نسبة الى اكبرها وامتد اهتمام العباسيين الى تلك القاعدة لاعادة نشاطها الاقتصادي والملاحي في عالم تجارة الخليج والجزيرة العربية ، ولكن البحرين ظلت تستمد ثراءها من المصدر الاقتصادي المجاور لها وهو اللؤلؤ[٢٥].فاستحدثت مهمة الاشراف على الغوص للولاة على مناطق الخليج. فعلى سبيل المثال، تم في خلافة هارون الرشيد تولية المعلى على البصرة وفارس والاهواز واليمامة والبحرين والغوص[٢٦] .

وخلال هذه الحقبة اشتهر تجار البحرين بالنشاط الواسع حيث تعدوا حدود الهند ووصلوا للاتجار مع الصين ـ ولقد اطلقت المراجع الصينية، على من وصل الى الصين من المسلمين اسم «تاشي» وهو تحريف لكلمة طيء، القبيلة العربية التى استقرت من اقدم الازمان في بلاد البحرين والخليج العربي واشتهرت باحتراف الملاحة والتجارة[٢٧] حتى اصبحت كلمة طيء عند هؤلاء الاهالي تعني كلمة عربي، ودلالة على نشاطه التجاري[٢٨] .

ومنذ العصر العباسي الثاني وحوالي النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي تحولت البحرين لمركز لحركات المعارضة ضد العباسيين، فشهدت تغيرات سياسية سريعة ومتعددة كظهور حركة صاحب الزنج ، والقرامطة[٢٩] وتملك بعض الاشخاص للامور في البحرين كأبي البهلول وابن العياش والعيونيين. كما استولى الفرس على البحرين في فترات متقطعة حتى جاء البرتغاليون مع بداية القرن السادس عشر الميلادي وفرضوا سيطرتهم على الخليج بما فيه البحرين، وبعد طرد البرتغاليين حكمت البحرين بعض القبائل العربية من الحولة تحت السيادة الفارسية حتى مجيء العتوب مع نهاية القرن الثامن عشر. فبالنسبة لتاريخ البحرين التجاري خلال هذه الفترة، أي منذ نهاية العصر العباسي وحتى مجيء العتوب، تندر المصادر بهذا الصدد .

تجارة البحرين في السنوات الأولى من حكم آل خليفة :

استطاع آل خليفة، من العتوب، فتح البحرين في عام ١٧٨٣م، وفي غضون العشرين أو الثلاثين سنة الأولى من حكم آل خليفة حققت البحرين تقدما سريعا ، في النواحي التجارية، وكان مقدرا لها في وقت من الاوقات ان تنتزع من مسقط اهميتها كمركز تجاري في الخليج[٣٠] الا ان هناك اسبابا حالت دون ذلك واهمها الاخطار الخارجية

المباشرة التى استمرت حتى مطلع القرن التاسع عشر ثم الاضطرابات الداخلية التى بدات مع العقد الاخير من النصف الاول من القرن المذكور . الا انها استعادت النشاط التجاري الفعلي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى اصبحت مع نهاية هذا القرن اكبر مركز تجاري في الخليج حيث شكل حجم التجارة في البحرين حوالي ٤٥.٧ من مائة من مجموع حجم التجارة في موانيء الخليج العربي المختلفة .

وكان هناك عوامل ساعدت على هذا التطور التجاري الملحوظ للبحرين يمكن حصرها في ثلاثة عوامل، بالاضافة الى العامل التاريخي الذي اسلفنا ذكره، وهى الموقع الجغرافي، ومقدرة العتوب التجارية والاستقرار السياسي .

(١) الموقع الجغرافي :

تقع جزر البحرين في الخليج العربي بين خطي عرض ٤٥ ـ ٢٥ و ٢٥ ـ ٢٦ وبين خطي طول ٢٥ ـ ٥٠ و٤٥ ـ ٥٠ شرقا . ومركزها في الخليج متوسط، لأن بعد مينائها وعاصمتها عن مدخل الخليج اكثر قليلا من بعدها عن مصب شط العرب . وفي الجانب العربي من الخليج ليس للبحرين منافس في الاهمية السياسية سوى امارة الكويت، والمنطقة التركية من اقليم الاحساء، وان كانت احسن واقصر الطرق الى نجد الا انها تعتمد تجاريا على البحرين[٣١] ويصف موقع البحرين امين الريحاني بقوله : «ليس بين مسقط والبصرة اجمل من مركز هذه الجزيرة وليس اصلح منه للتجارة او الحرب، فهى تتوسط الخليج في زاوية معينة منه كأنها بارجة راسية في جون متسع بين قطر والقطيف، بل كأنها عند مهد اللؤلؤ جوهرة كبيرة[٣٢] .

ان موقع البحرين الجغرافي الممتاز ساعد على جعلها مركزا تجاريا هاما عبر العصور حيث مثلت حلقة الوصل بين الهند وبلاد الرافدين ومن ثم توزيع بضائع المنطقتين بين موانىء الخليج المختلفة، وفي العصر الحديث اصبحت مركزا هاما تتجمع فيه البضائع القادمة من اوروبة والهند، لاعادة تصديرها الى المناطق الداخلية في الجزيرة العربية وتصدر البضائع الهندية الى اوروبا والبضائع الاوروبية الى الهند .

كما ان مناخها الحار المشبع بالرطوبة صيفا والمعتدل قليل الامطار شتاء ساعد على نشاط السكان التجاري ففي الصيف يكون الطقس مناسبا للغوص على اللؤلؤ وفي الشتاء يكون الطقس مناسبا للاتجار مع الهند اذ ان طقس الهند شتاء يكون حسنا بينما في الصيف يتعرض لموجات شديدة من الامطار والزوابع .

ومن ناحية اخرى تتميز البحرين بمظاهر طبيعية فريدة في نوعها فهى تتكون من ارخبيل من الجزر تنتشر بينها ينابيع من المياه العذبة في قاع البحر تقدر بحوالي مائتي ينبوع وعلى ظهر الجزر بحوالي خمسة وعشرين ينبوعا ساعدت على صفاء وجودة اللؤلؤ. كما ان ضحالة المياه بين هذه الجزر وحولها وشدة الحرارة ساعدا البحر المحيط بالبحرين على تكوين اللؤلؤ .

(٢) مقدرة العتوب التجارية :

ان خبرة العتوب التجارية والبحرية قد اضافت الى مركز البحرين التجاري قوة ادارية جديدة، فآل خليفة، من العتوب،

العتوب حققوا الاستقرار السياسى اللازم لنمو التجارة وازدهارها

اكتسبوا اكبر الخبرات التجارية وخاصة انهم استطاعوا ان ينشئوا الزبارة التى اصبحت بعد منتصف القرن الثامن عشر من اهم المراكز التجارية في الخليج . وقبل تحول آل خليفة الى الزبارة سكنوا الكويت مع ابناء عمومتهم من آل الصباح والجلاهمة .

ويحلل فرانسيس واردن هجرة آل خليفة من الكويت واستقرارهم في الزبارة بقوله : «ان الوضع القائم في الكويت من ازدهار وتكدس الثروة دفع آل خليفة ـ الطرف المسئول عن التجارة ـ بزعامة الشيخ محمد بن خليفة الى الانفصال عن جماعتهم لتحقيق الاهداف التى كانوا يسعون الى تحقيقها وقد ابلغ خليفة آل صباح والجلاهمة بنية الهجرة كما حثهم على الهجرة مع آل خليفة الى شواطىء الخليج حيث مصائد اللؤلؤ والثروة وان يكرسوا جهودهم لهذه المهنة[٣٣]) كما ان اختيار آل خليفة للزبارة لم يأت اعتباطا، فلقد عرف العتوب هذا المكان منذ امد بعيد خلال اقامتهم في قطر قبل هجرتهم الى الكويت . ثم عرفوا هذا المكان جيدا خلال تجوالهم في الخليج لنقل تجارتهم بحرا بين قطر والاحساء. وقد وقع اختيارهم على هذا المكان لموقعه التجاري اولا ثم لقربه من مغاصات اللؤلؤ ثانيا[٣٤] وبالرغم من توفر المياه في شبه جزيرة قطر الا ان مصادر المياه والحطب اللازم للوقود يبعدان فرسخا ونصف فرسخ عن الزبارة، وهذا دليل على ان شيخ آل خليفة اهتم بالدرجة الاولى بالموقع التجاري والبحري[٣٥] .

وقبل استقرار آل خليفة في الزبارة لم يعرف شيء عن تاريخ هذه المنطقة بل من المحتمل ان تكون في الاصل احد المراكز الصغيرة لصيد الاسماك. وحال وصولهم، عمل آل خليفة في صيد اللؤلؤ، ونمت تجارتهم وتطورت مدينتهم بسرعة حتى جذبت اليها عددا من القبائل الاخرى من العتوب في الكويت[٣٦] ومما ساعد على ازدهار ميناء الزبارة وانتعاش التجارة فيه اتباع آل خليفة سياسة التجارة الحرة فلم يتقاضوا شيئا من الضرائب والمكوس، فاستوردوا البضائع من كافة الجهات لأستهلاكهم واعادوا تصدير الفائض منها الى الاحساء ونجد مما شجع التجار على التعامل معهم[٣٧] كما ادى احتلال فارس للبصرة الذي استمر من ١٧٧٦ الى ١٧٧٩ الى سرعة نمو الزبارة، فخلال هذه الفترة هاجر اليها عدد كبير من تجار البصرة الى جانب الهاربين اليها من الكويت ممن استقروا فيها بصورة مؤقتة، وتركزت في الزبارة وحدها تقريبا تجارة اللؤلؤ والتجارة

عامة بين شرق الجزيرة العربية والهند[٣٨] فيبدو ان آل خليفة انشأوا علاقات تجارية مع الساحل العربي من الخليج وسمعة طيبة في التجارة مع الهند ثم ان الخطوط التجارية التي استخدموها هي نفس الخطوط التي تميزت بها تجارة البحرين خلال القرن التاسع عشر، حيث يعتبر خط الهند التجاري مارا ببعض موانيء افريقيا الشرقية ومسقط الى الزبارة (او البحرين بعد فتح العتوب) ومن هناك تبدأ الخطوط الفرعية لتوصيل البضائع الى موانيء الخليج المختلفة وخاصة الى المنطقة الشرقية لشبه الجزيرة العربية. فبهذا الدور الذي لعبه العتوب في الزبارة يتضح انهم لابد قد افادوا منه في ادارتهم في البحرين .

(٣) الاستقرار السياسي :

لقد ظل تاريخ البحرين على امتداد القرن الثامن عشر حافلا بالاضطرابات، اما من الذي كان يحكم الجزيرة في مطلع القرن فغير معروف، ومن عام ١٧١٨ م استولى الامام اليعربي سلطان بن سيف على الجزيرة ولكنه لم يستمر فيها فقد عادت الى الفرس في عهد نادر شاه سنة ١٧٣٧ م، غير ان الحاكم الفارسي كان حكمه قصيرا حيث انتقلت السلطة في منتصف القرن الى عرب الحوله الذين كان زعيمهم في ذلك الوقت شيخ منطقة اسالو على الساحل الايراني، ثم انتهى حكم هذا الشيخ عام ١٧٥٥ م عندما هاجمتها قوة كبيرة خرجت من الموانيء الشمالية لفارس، وهي بوشهر وبندريق بقيادة الشيخ ناصر شيخ ابوشهر واخضعت الجزيرة لسلطانها . وقد ظل هذا الشيخ يحكم البحرين زهاء ثلاثين عاما بأسم فارس حتى اقصى منها مرة والى الابد من جانب آل خليفة حكام الزبارة[٣٩] ويقال ان البحرين ضمت ٣٦٥ مدينة وقرية الا انها مع مطلع القرن التاسع عشر كان يوجد بها مدينة عامرة فقط على الجزيرة الرئيسية (أوال) كما كان عدد القرى لا يزيد على الاربعين او الخمسين، ولا شك ان باقي القرى والمدن قد دمرت او هجرت نتيجة للحروب والاضطرابات المستمرة أو ان الرقم اصلا مبالغ فيه أو ان بعض المؤرخين تصور اكواخ البوص الكثيرة التي كان اهل البحرين يقيمونها على الشاطىء خلال الصيف للاقامة فيها ـ تصورها ـ قرى وهو ما يراه الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة[٤٠] .

ومنذ عام ١٧٨٣ م استقر الامر في البحرين لآل خليفة الا انه خلال السنوات الاولى من حكمهم تطورت الاخطار الخارجية المحيطة بالبحرين حيث تركزت في رغبة شيخ ابوشهر بمساعدة الشاه على استرجاع البحرين، الا ان حكام البحرين الجدد حالوا دون ذلك وسرعان ما بدأت فارس في المعاناة من المشاكل الداخلية والاخطار الخارجية في الشمال ومع مطلع القرن التاسع عشر تبلورت قوى محلية تنافست فيما بينها وشكلت تأثيرات على الدول الناشئة في الخليج بما فيها البحرين ومن هذه القوى الحركة الوهابية وعمان وفارس بالاضافة الى بعض القوى الخارجية كالدولة العثمانية وبريطانيا. فأمتازت منطقة الخليج خلال العقدين الاولين من القرن التاسع عشر بحالة عدم الاستقرار حتى تمت السيطرة البريطانية عندما فرضت اتفاقية ١٨٢٠ م على الساحل العماني وبالتالي بدات بريطانيا تتدخل في الشئون الداخلية تحت ستار الامن الملاحي .

جدول رقم ١

جدول يبين صادرات البحرين والموانيء المصدر لها خلال عام ١٨٢٤ بالريال النمسوى (الكراون الجرمانى)

السلع	المواني المصدر اليها	القيمة بالريال النمسوى (الكراون الجرمانى)
لآلىء	الهند	١,٢٠٠,٠٠
=	الجزيرة العربية، تركيا والبصرة	٣٠٠,٠٠٠
=	فارس	١٠٠,٠٠٠
بلح مجفف	الهند والسند	١٥,٠٠٠
بلح مجفف	فارس	١,٢٠٠
قماش القنب البحريني	الهند	٣,٠٠٠
=	البصرة	٥,٠٠٠
=	الكويت (القرين)	٥,٠٠٠
=	فارس	٣,٠٠٠
الحصران	فارس	١,٢٠٠
=	البصرة	١,٢٠٠
=	الكويت (القرين)	٨٠٠
زعاف سمك القرش	الهند	٢,٠٠٠
ذبّل	الهند	٣,٥٠٠
عصار البلح (الدبس)	فارس	٢,٠٠٠
الخام الملون	البصرة	١,٠٠٠
نثريات	مناطق مختلفة	٥,٠٠٠
	المجمـــوع	١,٦٤٨,٩٠٠

التجارة

ادى فتح العتوب للبحرين الى تنشيط التجارة في هذه الجزر (١٧٨٣ ـ ١٧٩٠)، لأن المهاجرين العرب سرعان ما اصبح لديهم اسطول تجاري واصبحوا هم الذين يقومون بعملية نقل البضائع ما بين مسقط ـ والتي كانت في ذلك الوقت القاعدة التجارية الرئيسية ـ والبصرة وغيرها من الساحل الغربي للخليج، ولم يكن شيوخ العتوب يتقاضون رسوما على الاستيراد في بداية الامر، وكانت مصالح التجار تلقى من جانبهم الرعاية الكاملة[٤١] كما احجموا عن المعارك البحرية ومناهضة السفن الوطنية والاجنبية وذلك لما للجزيرة من ثراء نسبي، واكتفوا بما عندهم ولم يدخلوا الجزيرة في صراع مع الاخرين[٤٢] ونتيجة لهذه السياسة التى اتبعها آل خليفة في غضون السنوات الاولى من حكمهم حققت البحرين تقدما سريعا في النواحي التجارية .

لقد كانت تجارة اللؤلؤ هى التجارة الرئيسية في البلاد قبل احتلال العتوب لها، الا انه في الفترة التى تلت ذلك فقد كانت التجارة من نوعين صيد الاسماك وتسويق اللؤلؤ وتجارة النقل البحري بين الهند ومسقط وموانىء الخليج[٤٣] والتي تعتبر المصدر الثاني الذي زاد من ثراء البحرين واهميتها[٤٤] وبالحصول من الهند على سفن ذات احجام اكبر اخذ عتوب البحرين في الثمانينات من القرن الثامن عشر يبحرون الى موانىء الهند لاستيراد المواد الضرورية لحياة سكانهم اليومية والى تصدير بعضها الى بغداد وحلب وكانت هذه السلع والمواد تجد طريقها الى الاسواق عن طريق البصرة تارة وعن طريق الكويت تارة اخرى .

وبالرغم من تعذر معرفة حجم تجارة الواردات من البضائع الهندية الى البحرين، فقد كانت اثمانها تصل الى مئات الآلاف من الروبيات الهندية سنويا والمعروف لدينا ايضا ان المعدل السنوي لأرقام الواردات كان يتعادل مع ارقام صادرات المنطقة من اللؤلؤ[٤٥] في السنوات الاولى من القرن التاسع عشر.

وخلال عمليات مسح الخليج التى قامت بها شركة الهند الشرقية وردت تقديرات اولية لتجارة البحرين خلال عام ١٨٢٤، اوردها سمسار الشركة حيث يمكن الاستفادة من هذه الارقام لتحديد صادرات وواردات البحرين والموانىء التى كانت تتاجر البحرين معها . ويوضح لنا الجدول (رقم ١) صادرات البحرين بينما يشمل الجدول (رقم ٢) واردات البحرين في نفس العام المذكور .

يتضح من الجدول (رقم ١) أن صادرات البحرين كانت تعتمد اعتمادا اساسيا على تصدير اللؤلؤ حيث بلغ مجموع ما صدر من لآلىء البحرين لمناطق مختلفة خلال عام ١٨٢٤ حوالى ١،٦٠٠،٠٠٠ ريال نمسوى (ما يساوى ٣٢٠،٠٠٠ جنيه استرليني) ويشكل هذا الرقم حوالى ٩٧،٠٣٪ من مجموع الصادرات ، ويلى اللؤلؤ البلح بـ ١٦،٢٠٠ ريال (٠،٩٨٪) ثم القنب البحريني بـ ١٦،٠٠٠ ريال (٩٧٪) ويشكل حجم باقى السلع حوالى ١،٠٢٪ من مجموع الصادرات .

كما يوضح الجدول السابق الموانىء التى كانت تصدر اليها السلع البحرينية ويبين ان حوالي ٤٧،٢٠٪ من مجموع الصادرات كان يصدر الى الهند ثم فارس بحوالي ٦،٥١٪ ، والبصرة بحوالى ٦،٥٠٪

جدول رقم ٢

جدول تقديرى لواردات البحرين خلال عام ١٨٢٤ والموانىء المستوردة منها

السلع	الموانىء المستورد منها	القيمة بالريال النمسوى
ارز	مانجلور (الهند)	٦٠,٠٠٠
ارز	البنغال (الهند)	٢٤,٠٠٠
سكر	الهند	١٢,٠٠٠
قصب سكر	الهند	٥,٠٠٠
توابل	الهند	١٠,٠٠٠
سبائك اللحام	الهند	٢,٠٠٠
حديد	الهند	١٠,٠٠٠
قصدير	الهند	٢,٤٠٠
فولاذ	الهند	١,٠٠٠
اخشاب	الهند	١٧,٠٠٠
الياف جوز الهند	الهند	٥,٠٠٠
اقمشة	الهند	١٠٠,٠٠٠
قرفة	الهند	٦٠٠
بهارات اخرى	الهند	٤,٠٠٠
مسك	الهند	٢,٠٠٠
اصباغ	الهند	٥,٠٠٠
كركم	الهند	٤,٥٠٠٠
كافور	الهند	٤,٠٠٠
خشب الصندل	الهند	٢,٠٠٠
مخدرات مختلفة	الهند	٥,٠٠٠
تمر الهند	الهند	٢,٠٠٠
نثريات	الهند	١,٨٠٠
قهوة	البحر الاحمر ومسقط	٩٣,٠٠٠
فاكهة مجففة وحبوب وبعض صادرات الهند	مسقط والساحل الفارسى	٢٠٠,٠٠٠
بلح وحبوب	البصرة	٢٠٠,٠٠٠
نثريات	مناطق مختلفة عدا الهند	٣٠,٠٠٠
المجـــوع		٨٠٧,٣٠٠

والكويت ٣٥ ,٠٪ ثم الجزيرة العربية وتركيا بحوالى ١٢,١٢٪ .

ويوضح الجدول (رقم ٢) حجم واردات البحرين خلال نفس الفترة المذكورة واهم الموانىء المصدرة لهذه السلع حيث يتبين أن صادرات الهند تمثل حوالى ٣٥,٢١٪ من مجموع الواردات ثم البصرة بحوالى ٢٤,٧٧٪ وفارس بأقل من ٢٤,٧٧٪ ، والبحر الأحمر ومسقط بأكثر من ١١,٥١٪ ومناطق مختلفة بحوالى ٣,٧١٪ ومن الجدير بالذكر أن معظم واردات البصرة وفارس كان يعاد تصديرها الى الهند .

ونستنتج من ذلك أن حجم تجارة البحرين العام لعام ١٨٢٤ كان يساوى تقريبا ٢,٤٥٦,٢٠٠ ريال نمسوى ، بما يعادل (٤٩٠,٠٠٠ جنيه استرلينى)[٤٦] وتكون الصادرات منه حوالى ١,٦٤٨,٩٠٠ ريال نمسوى والواردات حوالى ٨٠٧,٣٠٠ ريال نمسوى (نحو ٣٣٠,٠٠٠ جنيه استرلينى) وتكون النسبة المئوية للصادرات حوالى ٦٧,١٣٪ والواردات حوالى ٣٢,٨٦٪ وبالطبع تدل هذه النسبة على الازدهار التجارى للبحرين خلال هذه الحقبة من الزمن .

وكانت تجارة البحرين بجميع أنواعها بحرية ، وكانت البحرين خلال العشرينات من القرن التاسع عشر تملك حوالى ٢٠ من السفن ذات الأحجام الكبيرة وتتراوح حمولة كل منها بين ٣٥٠ و ١٤٠ طنا ، ومعظمها كان يستخدم فى الاتجار مع الهند ، كما كان هناك مائة قارب يتراوح حمولة كل منها بين ٤٠ و ١٢٠ طنا تستخدم فى الاتجار مع موانىء الخليج المختلفة[٤٧] وهناك أنواع كثيرة من هذه السفن فمنها المستخدم للتجارة وأخرى للغوص على اللؤلؤ وكانت السفن المستخدمة للتجارة هى البغلة ، والبوم ، والشوعى والبقارة ، اما قوارب صيد اللؤلؤ فهى اصلا البقارة والشوعى والسنبوك والبتيل علما بأن البعض منها كان يمكن تحويله من نوع من الخدمة الى أخر[٤٨] .

ومعظم واردات البحرين كانت تصل الى ميناء المنامة ، حيث قدرت الضريبة الجمركية بحوالى ٥٪ فى عام ١٨٢٦ على الواردات من الهند ومعظم المواد من الساحل الفارسى والبصرة[٤٩] ومن مجموع الواردات كان يستهلك حوالى الربع محليا ويعاد تصدير المتبقى الى موانىء مختلفة فى الخليج[٥٠] وكان القسم الأكبر منها لشبه الجزيرة العربية .

انتعاش التجارة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ومطلع العشرين :

فى أواخر الثلاثينات من القرن التاسع عشر حدثت بعض المشاكل الداخلية فى البحرين وازدادت الحالة توترا خلال أوائل الأربعينات واستمرت حتى استقرار الشيخ عيسى بن على حاكما على البحرين فى عام ١٨٦٩ م ، ونتيجة لهذه الاضطرابات بدأت تجارة البحرين تهبط هبوطا سريعا الى نصف ما كانت عليه قبل عدة سنين[٥١] وتفيد تقارير الكابتن هينيل أن مجموع صادرات البحرين فى عام ١٨٣٩ بلغ حوالى ٨٠٠,٠٠٠ ريال نمسوى بينما بلغت الواردات ٦٠٠,٠٠٠ ريال نمسوى تقريبا[٥٢] اي أن مجمل حجم التجارة لعام ١٨٣٩ كان حوالى ١,٤٠٠,٠٠٠ ريال وبالمقارنة مع حجم تجارة البحرين لعام

١٨٢٤ نجد أن التجارة قد هبطت بحوالى ٤٣,٠١٪ .

وبعد عام ١٨٦٩ بدأت تجارة البحرين بالانتعاش مرة أخرى وذلك بفضل الهدوء النسبى الذى ساد المنطقة ، ويرى المقيم الانجليزى فى أبوشهر (عام ١٨٩٩) - « ان التجارة البريطانية قد ازدهرت فى البحرين فى العقدين السابقين ازدهارا كبيرا وان تعيين موظف بريطانى فى البحرين سيزيد فى ازدهار هذه التجارة حيث ستتجه الكثير من الشركات البريطانية الى البحرين » ، فأصبحت البحرين منذ هذه الفترة احدى الركائز التى تبنى عليها حكومة الهند استراتيجيتها فى منطقة الخليج .(٥٣) كما ان الشركة البحرية الهندية البريطانية اتخذت من البحرين مركزا لتصريف البضائع التى تجلبها من الهند البريطانية وغيرها من الموانىء الرئيسية ومن ثم توزع على مناطق الخليج العربى .(٥٤) ومن الطبيعى أن هذه الاجراءات من حكومة الهند البريطانية تعكس الازدهار التجارى للبحرين مع نهاية القرن التاسع عشر ، ولكن لنا كلمة هنا ، فان اجراء الشركة باستخدام البحرين كمركز تجارى لتصريف بضائعها على الموانىء المختلفة فى الخليج لم يكن مستحدثا فهذا هو الدور الذى لعبته البحرين منذ اقدم العصور . وتصورنا هنا أن القوى الأوربية دخلت الخليج مع القرن السادس عشر واستخدمت الخطوط التجارية العربية مع الهند وغيرها من الموانىء الهامة ثم بدأت تتصرف وكأنها المستحدثة لهذه الخطوط .

فازدهرت التجارة ازدهارا غير طبيعى حتى بلغت قيمتها فى سنة ١٩٠٥ - ١٩٠٦ اكثر من ثلاثة ملايين جنيه استرلينى(٥٥) اي زادت بنسبة ٥٧,٥٪ عن افضل سنة ازدهرت فيها من قبل وفى العام نفسه زادت بنسبة ٥,٥٪ عن السنة السابقة وبلغ حجم الأموال المستثمرة فيها حوالى٤٧,٣٨٨,٢٠٢ روبية هندية(٥٦) وكان هذا التطور السريع نتيجة لاهتمام الحكومة بالشئون التجارية ، ففى عام ١٩٠٤ بنى الشيخ عيسى بن على رصيفا تكلف حوالى ٣٠ الف روبية هندية ، وتم فرض ضريبة معتدلة على استخدام هذا الرصيف(٥٧) .

وكان اول تنظيم جمركى انشىء فى البحرين فى عام ١٨٦٠ ، حيث كانت الجمارك تدار من قبل الحاكم مباشرة ، وبقيت كذلك حتى عام ١٨٨٨ عندما خول بعض المقيمين ادارة الجمارك كملتزمين .

وكانت موانىء البحرين تدار من قبل الهنود المقيمين فى البلاد مقابل دفع مبالغ معينة للاحتفاظ بهذا الامتياز . وانتشار الجالية الهندية فى موانىء الخليج يعد مظهرا من مظاهر النفوذ الاقتصادى البريطانى ، فقد استقر الرأى على اعتبار هؤلاء رعايا انجليز يتمتعون بالامتيازات القنصلية ، فكانوا يعرفون فى هذه الاقطار بالبونيان ووصل كثير منهم الى مراكز عالية فى مسقط وفارس وقد اداروا الجمرك لحكومة مسقط فى كثير من الاحيان(٥٨) .

لقد استطعنا الحصول على جدول يوضح حجم التجارة العام لأهم موانىء الخليج من ١٨٩٤ الى ١٩١٤(٥٩) ورغم ان المصدر لم يذكر لنا ما اذا كان هذا الحجم للتجارة العامة فى الخليج الا اننا نتصور بأنه حجم تجارة الهند البريطانية فى الخليج . ونستفيد من هذا الجدول لتوضيح مركز البحرين التجارى مع مطلع القرن العشرين وحتى الحرب الأولى .

الجدول رقم ٣

حجم التجارة فى أهم موانىء الخليج ١٨٩٤ ـ ١٩١٤
(بالآف الجنيهات الاسترلينية)

السنة	لنجة	المحمرة (كارون)	البحرين	بندر عباس	الساحل المتصالح	بوشهر	المجموع
١٨٩٤ ـ ١٨٩٥	٦٥٦		٣٨٧٩٨	٥٤٥	٢٧٠	١,٠٠٤	٣,٠٠١
١٨٩٥ ـ ١٨٩٦	٥٧٨	١١١	٣٨٧	٤٧٨	٣٠٤	٩٩٩	٢,٨٦٦
١٨٩٦ ـ ١٨٩٧	٤٢٥	١٤٤	٤٧٩	٣٦٤	٣٦١	٧٨٧	٢,٥٦٢
١٨٩٧ ـ ١٨٩٨	٥٨٢	١٢١	٥٠٣	٣٨٢	٣٥٢	١,١٤٥	٣,٠٨٥
١٨٩٨ ـ ١٨٩٩	٦٤١	١٥٧	٥٥٢	٤٤٩	٣٢٥	٨٤٣	٢,٩٦٧
١٨٩٩ ـ ١٩٠٠	٦١٢	٢٠٨	٦٤٢	٥٤٦	٣٤٣	٩١٧	٣,٢٦٦
١٩٠٠ ـ ١٩٠١	٥٠١	٣٤١	٤٥١	٣٣٩	٢٥٩	١,٣٢٣	٣,٢١٤
١٩٠١ ـ ١٩٠٢	٦٥٧	٢٣٢	٦٣٦	٤٢٣	٢٧٠	١,٦٣٢	٣,٨٥٠
١٩٠٢ ـ ١٩٠٣	٨٧٣	١٢٣	٨٨٨	٣٩٩	٢٧١	١,١٠٠	٣,٦٥٤
١٩٠٣ ـ ١٩٠٤	٦٨٥	١٦٨	١,٠٢٧	٤٤٩	٣٠٤	٩٤٩	٣,٥٨٢
١٩٠٤ ـ ١٩٠٥	٣٠٨	٢٦٤	٩٩٢	٣١٨	٢٨٠	٨٩٠	٣,٠٥٢
١٩٠٥ ـ ١٩٠٦	١٠٣(ا)	٢٢٤(ب)	١,٦٢٠	٤٠٠	(ج)	٧٦٢	٣,١٠٩
١٩٠٦ ـ ١٩٠٧	١٦٣	٢٨٧	١,٦٣٧	٣٥٢		٨٦٤	٣,٣٠٣
١٩٠٧ ـ ١٩٠٨	١٢٤	٢٨٦	١,٠٣٣	٤١٦		١,٠٥٢	٢,٩٠٠
١٩٠٨ ـ ١٩٠٩	١٢٨	٢٦٢	٧٩٠	٣٢٦		٧٩٣	٢,٢٩٩
١٩٠٩ ـ ١٩١٠	١١٧	٩١٧	١,٨٩٥	٣٤٠		٧١٧	٣,٩٨٦
١٩١٠ ـ ١٩١١	١٣٢	٦١٧	١,٧٧٧	٤٣٦		٦٧٦	٣,٦٣٨
١٩١١ ـ ١٩١٢	١٤٤	٥٩٩	٢,٠٦٦	٤٢٦	٣٤٨(د)	٩٣٣	٤,٥١٦
١٩١٢ ـ ١٩١٣	١٦٤	٦٠٧	٢,٢٤٠	٣١٥	٤٣٩(د)	١,٠٦٤	٤,٨١١
١٩١٣ ـ ١٩١٤	١٨٠	٨١٢	١,٨٧٨	٤٥٩	٣٧١(د)	٨٢٦	٤,٥٢٦

(ا) استثنيت السفن المتحولة من لنجة بعد عام ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦

(ب) حجم تجارة كارون ـ المحمرة بعد ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ تغطى جميع منطقة عربستان .

(ج) لم تتوفر الأرقام لساحل الامارات بعد ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ .

(د) الكويت .

يتضح من الجدول (رقم ٣) والذى يوضح حجم التجارة فى أهم موانىء الخليج خلال العشرين سنة الأخيرة قبل الحرب العالمية الأولى ، ان تجارة البحرين بدأت تزدهر بشكل ملحوظ مع بداية القرن العشرين حيث بدت منذ عام ١٩٠٣ - ١٩٠٤ كأكبر موانىء الخليج تجاريا وذلك لبلوغ حجم تجارتها حوالى ١,٠٢٧,٠٠٠ جنيه استرليني وبمقارنتها مع اكبر الأرقام (لأبو شهر على الساحل الفارسى) وهو ٩٤٩,٠٠٠ جنيه استرلينى يتضح أن البحرين تفوقت على الموانىء الأخرى تجاريا خلال هذه الحقبة وحتى الحرب الأولى . وتظهر لنا الأرقام استمرار هذا الازدهار التجارى حتى بلغ حجم تجارة البحرين لعام ١٩١٢ حوالى ٢,٠٦٦,٠٠٠ جنيه استرلينى وهو رقم قياسي حيث يشكل ٤٥,٧٪ من مجموع التجارة فى أهم موانىء الخليج (٤,٥١٦,٠٠٠ جنيه استرلينى) ، وارتفعت النسبة الى ٤٦,٥٪ من الحجم العام فى السنة التالية (١٩١٣) .

اما بالنسبة للسلع المصدرة والمستوردة من والى البحرين ونوعيتها فقد راينا أن نذكر ما جاء فى دليل الخليج للوريمر لاعطاء فكرة مبسطة عن المواد المتداولة تجاريا مع بداية القرن العشرين وخاصة بعد ذكر مثل هذه المواد خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ... فيذكر لوريمر - « ان الواردات كانت هى الأرز والبضائع القطنية والبضائع الحريرية والمطرزات والتوابل والبن والسكر والشاى والحبال الليفية والخشب والمعادن والحدايد والخردوات وكلها من الهند ، والشعير والقمح والدهون الحيوانية والسجاد وزر الورد وماء الورد وخشب الوقود واللوز والزبيب والعشب والجوز والماشية الحية والأغنام والماعز والحنة وكلها من ايران ، والفاكهة والحلويات من سلطنة عمان ، والعباءات والبلح والدهون الحيوانية والجلود المدبوغة من الاحساء ، والبلح والفواكه وبعض الاغنام والدهون الحيوانية من القطيف ، وقليل من العباءات وقليل من الصوف من الكويت ، والبلح والدهون الحيوانية والقمح والشعير والدخان وحصر البوص الخشنة لأسقف المنازل من العراق ، وخشب السقوف وجوز الهند من شرق افريقيا » وكانت قيمة هذه المواد كالآتي - الأرز (٢٦,٥ لكا) ومصنوعات من القطن (٩,٥ لكا) والبلح (٩,٢٥ لكا) والبن (٤,٧٥ لكا) والقمح (٤,٥ لكا) والدهون الحيوانية (٢,٧٥ لكا) والسكر والدخان (كل منهما ٢,٥ لكا) والعباءات (١,٧٥ لكا) والمصنوعات الحريرية (١,٥ لكا) والحيوانات (١,١/٣ لكا) والخشب (١ لكا) ..

« أما الصادرات الأساسية فكانت قيمتها (بالكات الروبيات) فى سنة ١٩٠٥ كما يلى : اللؤلؤ (١٦١ لكا) والأرز (٦ لكا) والبضائع القطنية (٣,٧٥ لكا) والبلح (٣,٧٥ لكا) والبن (١,٥ لكا) وكان اللؤلؤ يصدر بصفة اساسية الى بومباى والبلح (بعضه مجفف) ويصدر الى كراتشى وموانى كاتياواد ، ويرسل الصدف الى المملكة المتحدة والمانيا والقليل الى فرنسا ويصدر بعض قماش الشراع الى البصرة كما ترسل حصر جيدة من البوص الى الاحساء والقطيف[٦٠] وثلث هذه الواردات تقريبا كان يعاد تصديره .

اما بالنسبة للحرف اليدوية فى البحرين فكانت صناعة الأشرعة وصناعة السفن تعتبران من الحرف الرئيسية فى البلاد ،

والبحرين مشهورة في الخليج بصناعة السفن وهي صناعة تتطلب حوالي ٢٠٠ نجار . وقد بيع في البحرين ما بين سنة ١٩٠٢ الى ١٩٠٤ حوالي ١٣٠ مركبا يتدرج ثمنها من ٣٠٠٠ الى ٨٠٠٠ روبية لمشترين من قطر وساحل عمان المتصالح . وتزدهر في السوق المحلية صناعة الأحرمة والعباءات الصوفية البيضاء والملونة وكذلك المفارش ذات الشراشيب . وتنسج الحصر من غاب الاحساء ، وهي من احسن ما يحصل عليه في الخليج وقد ظهرت صناعة المنسوجات الجديدة حديثا في عمل قماش القطن المقلم ، ويصل انتاج هذا القماش (مع بداية القرن العشرين) الى حوالي مائة قطعة اسبوعيا .[٦١]

وكانت العملات المتداولة في البحرين عديدة الا أن العملة الهندية من جميع الأنواع كانت اكثرها شعبية وتداولا أما دولارات ماريا تريزا او الريالات فكانت تتداول في موسم اللؤلؤ لأن الغواصين ومعظمهم من العرب يفضلونها، وتستورد كميات من بومباي لتحقيق هذا الطلب والريال عادة يساوي روبية واحدة وخمس انات وخمس بيزات ولكنه عرضة للتقلب في القيمة بمقدار ٢١١ آنة وكانت الليرة التركية تصرف بقيمة ١٤ روبية . وكانت الوحدة العادية ذات القيمة الصغيرة تسمى القران البحريني الذي تبلغ قيمته ٥/٢ روبية وكانت توجد الطويلة في منطقة الاحساء وتبلغ قيمتها ٢/١ آنة[٦٢] الا أن مثل هذه العملات المحلية لم تسمح بريطانيا بتداولها وذلك لحماية مصالحها الاقتصادية. وكانت تدخل البحرين كمية كبيرة من النقود من الخارج وكانت قيمة العملة المستوردة تساوي ٤٣ لكا من الروبيات الهندية بينما بلغت قيمة العملة التي خرجت من البحرين في نفس العام (١٩٠٣) حوالي ٤,٥ لكا[٦٣] .

اللؤلؤ

كان اللؤلؤ يعتبر من أثمن صادرات البحرين ويمثل ما لا يقل عن ٩٠٪ من مجمل صادرات البحرين في العصر الحديث وحتى قبل اكتشاف النفط ، كما أن مصائد اللؤلؤ في البحرين تعتبر من أهم مصائد اللؤلؤ في الخليج باستثناء ساحل عمان المتصالح بالاضافة الى أن لؤلؤ البحرين يعتبر من اللؤلؤ الجيد ويصفه القائد البرتغالي البوكيرك « هذه اللآلىء مشهورة بسبب صلابتها ولأنها لا تتقشر »[٦٤] . كما ان اهمية اللؤلؤ في البحرين لا تكمن فقط في المدخول السنوي له بل ترتبط ارتباطا وثيقا بالحياة الاقتصادية والاجتماعية في البحرين .، فهي تتطلب تشغيل مالا يقل عن ٥٠٪ من الرجال في الجزيرة كما انها فتحت عدة مجالات صناعية أخرى كصناعة السفن التي اشتهرت بها البحرين . ويخيل لنا بأن اللؤلؤ في البحرين يعتبر من أسباب تحول البحرين الى مركز تجاري وذلك لاهتمام الأهالي بهذه الصنعة وتسويقها كما بدأ التجار من مختلف الموانىء يرتادون البحرين لشراء هذه المادة الباهظة - ويقال - « ان اثمن لؤلؤة بيعت في البحرين في عام ١٩٣٠ بحوالي ١٥ الف جنيه استرليني[٦٥] .

ومن الأرقام الأولى التي أمكن الحصول عليها عن اثمان لؤلؤ البحرين نعرف أنه في سنة ١٧٥٦ كان حاكم بو شهر يتقاضى من هذا المورد نحو مائة الف روبية هندية بما يعادل ١٠ آلاف جنيه استرليني ويقدر مصدر آخر هذا الرقم في سنة ١٧٧٥ بستين الف تومان عراقي (اي بحوالي ١٢,٥٠٠

جنيه استرليني)[٦٦] ولم نستطع الحصول على أرقام لسنوات متكاملة لعمل جدول لفترة متصلة ولكننا من الأرقام التقديرية التى حصلنا عليها من مصادر مختلفة[٦٧] يمكننا عمل جدول يغطي القرن التاسع عشر على فترات مختلفة حيث يفيد لاعطاء صورة عن اثمان هذه المادة .

جدول رقم ٤

حاصلات لؤلؤ البحرين

السنة	القيمة بالجنية الاسترليني
١٧٩٠	٥٠,٠٠٠
١٨٢٤	٣٢٠,٠٠٠
١٨٣٠	٤٠٠,٠٠٠
١٨٣٣	اكثر من ٢٠٠,٠٠٠
١٨٤١	٤٠٠,٠٠٠
١٨٤٨	١٧٨,٠٠٠
١٨٧٥	١٨٠,٠٠٠
١٨٩٦	٣٠٣,٠٠٠
١٩٠٠	٥٠٠,٠٠٠

ونعتقد أن الأرقام التى يحتوى عليها الجدول رقم (٤) هى أقل التقديرات لأثمان اللؤلؤ فى البحرين ، فمعظم المصادر التى أخذت منها هذه الارقام هى مصادر حكومة الهند البريطانية الا أن هناك مبيعات من اللؤلؤ لم يستطع وكلاء الشركة الحصول عليها وكانت تباع فى شبه الجزيرة العربية أو يذهب بعضها حتى الى تركيا . كما حصلنا على تقديرات أخرى لدخل البحرين السنوى من اللؤلؤ الا اننا لم نذكرها وذلك لاعتقادنا بأنها مبالغ فيها ويتضح من الجدول أن هناك تفاوتا كبيرا بين بعض الأرقام ويرجع ذلك الى عوامل العرض والطلب فى الأسواق الخارجية .

كان القسم الأكبر من اللؤلؤ ينقل من البحرين الى سورات مباشرة ومن البحرين الى ميناء مخا عن طريق مسقط والى بوشهر وسندى ، والى سورات وكلكتا ، ومن الأربعة الموانىء الأخيرة يوزع فى قندهار وملتان وبلاد التتر والهند والصين . وكانت الكميات الباقية ترسل الى أسواق الخليج وبعضها يجد طريقه الى أسواق أوربه عبر بلدان الشرق الأدنى[٦٨] .

ولم يكن الدخل المباشر لحكام البحرين من صناعة اللؤلؤ كبيرا فى يوم من الأيام ، فقد كانت الضريبة التى يفرضها الحاكم على السفن قليلة لم تتجاوز العشر الروبيات الهندية ، الا أن الدخل غير المباشر من هذه الصناعة كان عظيم التأثير لأن التاجر البحرينى كان يبيع اللؤلؤ على الهنود أو فى الأسواق الخارجية وكثيرا ما كان يشترى بثمنه بضائع مختلفة[٦٩] .

ومن مصادر حكومة الهند البريطانية[٧٠] استطعنا الحصول على أرقام لأثمان اللؤلؤ لسنوات ما بعد الحرب حتى كساد اللؤلؤ ، حيث تمكننا هذه الأرقام من تكوين صورة لموارد اللؤلؤ من خلال الجدول الآتى (رقم ٥) .

جدول رقم ٥

حاصلات اللؤلؤ لما بعد الحرب الاولى

السنة	القيمة بالجنيه الاسترليني	السنة	القيمة بالجنيه الاسترليني
١٩١٦ - ١٩١٧	٣٦٤,٤٠٠	١٩٢٥ - ١٩٢٦	١٩١,٥٠٤
١٩١٧ - ١٩١٨	٣١٧,٩٩٢	١٩٢٦ - ١٩٢٧	١٦٤,٨٩٦
١٩١٨ - ١٩١٩	٧٠١,٣٣٣	١٩٢٧ - ١٩٢٨	١٥٠,٩١٩
١٩١٩ - ١٩٢٠	٢٩٣,٩٠٠	١٩٢٨ - ١٩٢٩	١٣٤,٣٩٢
١٩٢٠ - ١٩٢١	غير متوفر	١٩٢٩ - ١٩٣٠	١٤١,٢٧٨
١٩٢١ - ١٩٢٢	٦٣,٣٩٣	١٩٣٠ - ١٩٣١	٤٢,٦٧٢
١٩٢٢ - ١٩٢٣	٣٣٤,٩٩٣	١٩٣١ - ١٩٣٢	٥١,٩٠٤
١٩٢٣ - ١٩٢٤	٤٣٣,٥٠٧	١٩٣٢ - ١٩٣٣	٥٧٧,٥٦٠
١٩٢٤ - ١٩٢٥	٢١٩,٥٧٠		

يتضح من الأرقام المتوفرة فى الجدول رقم (٥) أن دخل البحرين من اللؤلؤ كان يشكل نسبة كبيرة من مجموع صادرات البحرين (اذا ما قورن بالجدول الخاص بصادرات وواردات البحرين بعد الحرب الاولى رقم (٦)) ، كما أن هناك فترات هبط فيها الانتاج وذلك كما نعتقد لوجود بعض المشاكل الداخلية فعلى سبيل المثال عدم توفر الأرقام لعام ١٩٢٠ - ١٩٢١ ثم هبوط الأرقام فى ١٩٢١ - ١٩٢٢ نتيجة لأزمة الغواصين ومعارضتهم للتعديلات الحكومية الجديدة . ثم يتضح بأن الأرقام بدأت بالهبوط التدريجي منذ عام ١٩٢٤ - ١٩٢٥ حتى وصلت في عام ١٩٣١-١٩٣٢، الى ما هو معروف بكساد اللؤلؤ وظهور اللؤلؤ الصناعي اليابانى ، وفى الحقيقة كان هناك سبب آخر وهو الهبوط الفعلى لكميات اللؤلؤ المستخرج وذلك لأسباب أهمها تصدير المحار الذى يعتبر أهم مصدر لبويضات اللؤلؤ .. مما ادى الى تناقص كميات اللؤلؤ المستخرج بشكل عام .

تجارة البحرين بعد الحرب الأولى وحتى ظهور النفط :

تحولت منطقة الخليج العربى اثناء الحرب العالمية الأولى الى ساحة قتال بين الدول الكبرى فساد جو الحرب فى المنطقة وشلت الحركة التجارية فى الخليج بصورة عامة ، ولكن سرعان ما بدأت التجارة بالانتعاش مرة أخرى بعد انتهاء الحرب فاستمرت البحرين فى تطورها التجارى وقد ساعد على سرعة هذا التطور الاهتمامات الجديدة فى البلاد من اصلاحات ادارية وغيرها . وبدأت البحرين تدخل مرحلة

جدول رقم ٦

جدول يوضح تطور تجارة البحرين عام ١٩١٧ ـ ١٩٣٢ بالجنيهات الاسترلينية

السنة	الصادرات	الواردات	الحجم العام	النسبة المئوية للزيادة او النقص من المجموع الكلي
١٩١٦ ـ ١٩١٧	٧٧٩,٩٤٣	١,٥٢٩,٧٥٨	٢,٣٠٩,٧٠١	
١٩١٧ ـ ١٩١٨	٨١٧,٢٤٣	١,٦٠٧,٠٤٩	٢,٤٢٤,٩٩٢	+ ٤,٩
١٩١٨ ـ ١٩١٩	١,٣١٧,٨١١	١,٣٥٠,٠٦٠	٢,٦٦٧,٨٧١	+ ١٠
١٩١٩ ـ ١٩٢٠	٩٤٦,٣٤٤	١,٤١٤,٤٢٣	٢,٣٦٠,٧٦٧	ـ ١١,٥
١٩٢٠ ـ ١٩٢١	٤١٣,٠٦٦	١,٢٥٠,٩٩٣	١,٦٦٤,٠٥٩	+ ٢٩,٥
١٩٢١ ـ ١٩٢٢	٥٥١,٠١٥	١,٤٥٢,٦٨٩	٢,٠٠٣,٧٠٤	+ ٢٠,٤
١٩٢٢ ـ ١٩٢٣	٨٦٠,٥٨٩	٢,٤٥٤,٥٧١	٣,٣١٥,١٦٠	+ ٦٥,٤
١٩٢٣ ـ ١٩٢٤	٨٨٨,٥٣٩	١,٧١١,٦٨٦	٢,٦٠٠,٢٢٥	ـ ٢١,٥
١٩٢٤ ـ ١٩٢٥	١,٣٢٥,٢٤٤	١,٨١٨,٠١٢	٣,١٤٣,٢٥٦	+ ٢٠,٨
١٩٢٥ ـ ١٩٢٦	١,١٥٤,٧٧٧	١,٦٢١,٨٦٩	٢,٧٧٦,٦٤٦	ـ ١١,٦
١٩٢٦ ـ ١٩٢٧	١,٨٩٧,٥٥١	١,١١٥,٤٢٩	٣,٠١٢,٩٨٠	+ ٨,٥
١٩٢٧ ـ ١٩٢٨	١,٠١٤,٠٤١	٢,٠٢٩,١٨١	٣,٠٤٣,٢٢٢	+ ١
١٩٢٨ ـ ١٩٢٩	٩٩٣,٧٢٥	٢,١١٦,٦١٦	٣,١١٠,٣٤١	+ ٢,٢
١٩٢٩ ـ ١٩٣٠	٨٨٧,٥٦٥	١,٩٣٠,٦٩٢	٢,٨١٨,٢٥٧	ـ ٩,٣
١٩٣٠ ـ ١٩٣١	٦٠٤,٠٣٤	١,٠٨٧,٢٢٤	١,٦٩١,٥٥٨	ـ ٣٩,٩
١٩٣١ ـ ١٩٣٢	٥٤٧,٨٩٦	٨٢١,٨٢٤	١,٣٦٩,٧٢٠	ـ ١٩,٢

جديدة من تطورها التجارى فأصبحت المركز الرئيسى لتصريف البضائع لشبه الجزيرة العربية وخاصة خلال العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين .

ولم تتأثر البحرين اقتصاديا باستعمال السفن التجارية الحديثة ، وخصوصا أن الشركة البحرية الهندية البريطانية اتخذت من البحرين مركزا لتصريف البضائع التى تجلبها من الهند وغيرها من الموانىء الرئيسية ، وقد سيطرت شركة الملاحة الهندية البريطانية على النقل البحرى فى الخليج مما جعلها تكتسب امتيازات غير محدودة ، فأسست لها مركزا فى البحرين لتصريف البضائع ، وكادت تحتكر النقل التجارى ، بجانب ذلك فان أنواع البضائع التى كانت تصدرها الى البحرين من الهند

البحرين كانت مركزا تجاريا شهيرا منذ أقدم الأزمنة

بدات خلال الربع الأول من القرن العشرين تتغير من بضائع هندية الى مصنوعات بريطانية(٧١) .

وقبل اكتشاف البترول مباشرة كانت الضريبة الجمركية على البضائع المستوردة والمعاد تصديرها تشكل نسبة كبيرة من الدخل القومي للبحرين ، فمثلا فى سنة ١٩٣٠ كونت الضريبة الجمركية حوالى ٩٧٪ من مجموع الدخل القومي فى البلاد ،(٧٢) وهذا النمو المطرد تطلب تطورات ادارية فتأسس المجلس البلدى عام ١٩١٩ ، حيث كان من أهم اعماله الاشراف على الرسوم الجمركية ، وفى ١٩٢٦ شكلت عدة لجان أو مجالس ودوائر مختلفة للقيام بالأعمال الادارية فى البلاد ومن أهم هذه المجالس مجلس التجارة ومجلس الغوص(٧٣) . ونظرا لنمو التجارة فى هذه الفترة فان السلطات البريطانية قامت بفتح فرع لأول بنك فى الخليج ، وهو البنك الشرقي الذى فتح أبوابه في سنة ١٩٢٠(٧٤) رغم أن أول تجربة بنكية للبحرين بدات عام ١٩٠١ تقريبا عند فتح فرع لمصرف في أبوشهر في البحرين الا انه فشل لأسباب متعددة من أهمها محاربة التجار الهنود له .

وبالنسبة لحجم تجارة البحرين خلال هذه الفترة ، فقد تمكنا من الحصول على أرقام متسلسلة من أرشيف حكومة الهند(٧٥) لصادرات وواردات البحرين من ١٩١٧ الى ١٩٣٢ مما يساعد في وضعها في جدول يوضح التطور التجاري منذ نهاية الحرب الاولى وحتى ظهور النفط .

يتبين من الجدول السابق (رقم ٦) أن واردات البحرين تشكل ضعفى الصادرات تقريبا الا أنه منذ عام ١٩٢٣ بدات ارقام الصادرات بالارتفاع حتى فاقت الواردات فى عام ١٩٢٧ وفى الحقيقة فان حجم التجارة العام بدأ بالارتفاع بشكل ملحوظ بين الأعوام ١٩٢٢ الى ١٩٢٨ وذلك يرجع الى امور من اهمها الوضع السياسى القائم بين السعودية والكويت والذى امتد لاكثر من عشرين عاما (من ١٩٢٠ الى ١٩٤٢) . عندما قاطع ابن سعود البضائع القادمة من والى الكويت وبالتالى فقد تحولت تلك البضائع الى البحرين ، ومنها عن طريق البحر الى العجير (ميناء الاحساء) ثم الى داخل نجد(٧٦) فجميع هذه الصادرات هي في الحقيقة واردات يعاد تصديرها .

ومن الجدول يتبين ايضا ان الحجم العام لتجارة البحرين بدأ يرتفع تدريجيا بعد الحرب العالمية مباشرة ففى عام ١٩١٧ ـ ١٩١٨ ارتفع الى حوالى ٢,٤٢٤,٩٩٢ جنيها استرلينيا بنسبة مئوية ٤,٩ عن

السنة السابقة ثم بزيادة ١٠٪ فى السنة التالية ، كما اننا نلاحظ ان اكبر زيادة حدثت فى عام ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣ حيث ارتفعت ارقام هذه السنة الى ٣,٣١٥,١٦٠ جنيها استرلينيا بزيادة مئوية ٦٥,٤ عن السنة السابقة وهي بلا شك نسبة غير طبيعية ونعللها كما ذكرنا بتحول تجارة الكويت وشبه الجزيرة الى البحرين ومنذ عام ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ بدأت هذه الارقام بالهبوط التدريجي وخاصة فى اوائل الثلاثينات ونعتقد بأن هذا الهبوط يرجع الى اسباب منها ازمة كساد اللؤلؤ والازمة الاقتصادية العالمية .

كما ذكرنا سابقا فان تجارة البحرين تعتمد اعتمادا اساسيا على اعادة تصدير البضائع المستوردة فمعظم صادرات البحرين هى فى الحقيقة واردات يعاد تصديرها الى شبه الجزيرة وغيرها من الموانىء فى الخليج ، وعلى سبيل المثال انه خلال القرن التاسع عشر كانت البحرين تعيد تصدير حوالى ربع مجموع الواردات وتطورت الحالة فى الربع الاول من القرن العشرين حتى وصلت الى الثلث .

ومن البلدان الرئيسية التى كانت تصدر الى البحرين بين السنوات ١٩٢٠ ـ ١٩٤٠ الهند ثم ايران الى حد ما ثم العراق ، وحتى سنة ١٩٣٠ كانت الهند هى كبرى الدول المصدرة الى البحرين ، حيث وصل حجم التجارة المستوردة منها فى سنة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ نسبة ٧٢,٤٧٪ من مجموع البضائع المستوردة الى البحرين ، وايران والعراق تأتيان بعد الهند ، ولكن نسبة الواردات الى البحرين من البلدين كانت صغيرة جدا بالنسبة الى الهند ، فقد استوردت البحرين من العراق فى السنة المذكورة ١١,٣٤٪ فقط من جملة الواردات اما ايران فقد استمرت التجارة معها فى النمو ولكنها بعد ذلك بقيت بنسبتها البسيطة[٧٧]

وبعد ظهور النفط وكساد اللؤلؤ ظلت التجارة هي النشاط الوحيد الذى واصل تطوره بل وافاد من هذه المرحلة افادة كبيرة حيث ارتفع الطلب على البضائع المستوردة ارتفاعا كبيرا وذلك لسد حاجة الاقتصاد النامى الحديث ومتطلباته وخاصة بعد تدفق العمال الاجانب الى البحرين وتطور الحياة الاجتماعية الا ان الدور الاساسى للبحرين لم يتغير اى ظلت الطبيعة التجارية (تجارة العبور) كما هى بل وتوسعت اهميتها وزادت عمليات الاستيراد والتصدير بنسب عالية .

من استعراضنا لتجارة البحرين خلال القرن التاسع عشر وحتى ظهور النفط يمكننا التوصل الى النتائج الاتية : ـ

١) تعتبر التجارة من اهم موارد البلاد الاقتصادية كما انها السبب الحقيقى لشهرة حضارة البحرين منذ اقدم العصور فأرتباط الحضارة بالتجارة وثيق ، فحضارة دلمون اعتمدت على علاقاتها التجارية وبالتالى بأحتكاكها بالحضارات المعاصرة لها . وخلال القرن التاسع عشر استطاعت البحرين توطيد علاقاتها التجارية بصورة اكبر فواصلت احتكاكها بدول الخليج والهند وشرق افريقيا وغيرها من الموانىء الهامة .

وان اختيارنا لهذه الفترة الزمنية وابراز اهمية التجارة فيها يكمن فى اهمية التجارة كمورد اقتصادى هام للبحرين . فبالرغم من ظهور موارد اقتصادية اعتمدت عليها البحرين كاللؤلؤ على سبيل المثال ، الا ان هذه الموارد تتلاشى فى فترات زمنية مختلفة وظلت التجارة تواصل دورها الهام فى الحياة

الاقتصادية للبحرين ، ومثل حيوى اخر هو النفط فبعد كساد اللؤلؤ ظهر النفط ليحتل مكانة المورد الاقتصادى الاول فى البلاد الا انه من المعروف ان هذه المادة سوف تتلاشى مع بداية القرن القادم.. وانتهاء الدور الاقتصادى للنفط لا يعنى انتهاء المورد الاساسى للبحرين فالتجارة قادرة على الاستمرار والتطور لتحتل مكانتها فى الحياة الاقتصادية فى البحرين .

٢) ان تجارة البحرين بطبيعتها ومنذ اقدم الازمنة هى تجارة العبور **Transit** فجميع صادرات البحرين هى فى الحقيقة واردات يعاد تصديرها الى موانىء اخرى . وخلال القرن التاسع عشر نجد ان الخطوط التجارية التى سلكتها تجارة البحرين هى الخطوط الرئيسية والتى تصل الى الهند مارة بشرق افريقيا ومسقط والخط التجارى مع العراق ومن ثم يعاد تصدير السلع الهندية الى العراق والعراقية الى الهند ، وهناك خطوط فرعية لكونها محلية والتى يمثل اهمها الخط التجارى مع الساحل الشرقى لشبه الجزيرة العربية وبعض الموانىء فى الخليج ففائض حاصلات الهند والعراق والساحل الشرقى لافريقيا يصدر الى هذه الموانىء كما تستورد بعض المواد من هذه الموانىء ويصدر الفائض منها الى العراق والهند وفارس .

فهذه الخطوط التجارية هى نفسها الخطوط التجارية القديمة فخلال فترة ما قبل الميلاد كانت البحرين « دلمون » تستورد البضائع من بلاد السند ومناطق اخرى وتتاجر بالفائض منها مع العراق وبالعكس ، كما ان بعض المصادر يشير الى علاقة البحرين بالساحل الشرقى لشبه الجزيرة العربية فلا نستبعد ان تكون هذه العلاقات علاقات تجارية .

٣) هناك عوامل ساعدت على تنشيط التجارة البحرينية خلال القرن التاسع عشر وهى العامل التاريخى والذى تحدثنا عنه فى مستهل هذا البحث حيث يتضح لنا بأن البحرين كانت مركزا تجاريا منذ اقدم الازمنة ، بدئا من عصر دلمون حوالى ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، ثم الفترات الفارسية وبعدها الجاهلية والاسلامية والحديثة (اى ما قبل العتوب) ، فالعامل التاريخى أكسب البحرين سمعة وعلاقات تجارية افادت منها خلال فترة الازدهار التجارى بعد فتح العتوب .

اما بالنسبة للعامل الجغرافى فهو يكون الحجر الاساسى لتجارة البحرين فموقعها متوسط فى الخليج وذلك لأن بعد مينائها عن

بعد اللؤلؤ والنفط التجارة قادرة على الصمود والتطور

مدخل الخليج يقل قليلا عن بعد موانيء العراق عن المدخل . اما العامل الثالث فهو خبرة العتوب التجارية والتى اكتسبوها فى الكويت اولا ثم فى الزبارة والتى بلا شك قد اعطت البحرين دفعة الى الامام كمركز تجارى هام فى الخليج وخاصة لاتباعهم سياسة عدم التورط فى المشاكل الخارجية وتكريس جهودهم فى التجارة ومن استقرار العتوب فى البحرين نستنتج العامل الرابع وهو الاستقرار السياسى ونقصد به استقرار حكومة ذات سيادة مستقلة فى البحرين وخاصة اذا ما تعقبنا تاريخ البحرين منذ نهاية الدولة العباسية والعصر الحديث فلا نجد من استقر طويلا فى الحكم فعلى سبيل المثال ان عرب الحولة الذين حكموا البحرين قبل مجيء آل خليفة كانوا تابعين لشيخ ابو شهر والذى بدوره كان تابعا للامبراطورية الايرانية فى فترات متقطعة فهذا بلا شك عرقل الحركة التجارية خاصة اذا ما عرفنا ان واردات اللؤلؤ كان يذهب معظمها الى شيخ ابو شهر .

٤) ان تجارة البحرين كباقى احوال التجارة فى الموانىء الاخرى تتأثر مباشرة بالاوضاع السياسية الداخلية منها او الخارجية . فنجد ان الاخطار الخارجية مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر اسدلت الستار على الحركة التجارية للبحرين حتى نهاية العقد الاول من القرن التاسع عشر تقريبا ثم بدأت المشاكل الداخلية فى العقد الاخير من النصف الاول من القرن وحتى استقرار الشيخ عيسى بن على حاكما على البحرين فى عام ١٨٦٩ فخلال هذه الفترة المضطربة هبطت تجارة البحرين الى اقل من النصف عما كانت عليه فى العشرينات من القرن التاسع عشر .

الهوامش

١ ـ سليمان سعدون البدر ـ منطقة الخليج العربى خلال الالفين الرابع والثالث قبل الميلاد ، ص ١١٢
٢ ـ نفس المرجع ص ١١٣
٣ ـ سليمان سعدون البدر ـ مكان الخليج العربى فى حضارة الشرق الادنى القديم ، ص ١٨
٤ ـ رضا جواد الهاشمى ـ المدخل لاثار الخليج ـ ص ٧٧ انظر ايضاg.Bibby .page 63
٥ ـ نفس المصدر ص ٢٤ ، انظر ايضا سليمان البدر
٦ ـ سليمان سعدون البدر ـ منطقة الخليج العربى خلال الالف الثانى والاول قبل الميلاد ، ص ١١٢
٧ ـ نفس المصدر ص ١١١ وص ١١٢
٨ ـ لقد ذكر بيلينوس ان جزيرة تايلوس (وهو الاسم اليونانى لديلمون او البحرين فى الكتابات الكلاسيكية الا انه حرف عن تلوون Tilwun) وهو ديلمون فى الاصل جزيرة معروفة باللؤلؤ وبها مدينة تعرف بهذا الاسم وعلى مقربة منها جزيرة صغيرة وهى تقابل الساحل الذى يسكنه الجرهائيون Gerrhaens نسبة الى مدينتهم جرهاءGerrhaفينطبق هذا الوصف لجزيرة تايلوس تمام الانطباق على جزيرة البحرين .. انظر جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج١ ، ص٥٦٤ وايضا البحرين عبر التاريخ للشيخ عبدالله بن خالد ال خليفة وعبدالملك الحمر .
٩ ـ البدر ـ سكان الخليج ، ص ١٩
١٠ ـ الهاشمى ، ص ٣٩
١١ ـ جواد على ، ج ١ ، ص ٥٦٤
١٢ ـ البدر ـ منطقة الخليج خلال الالفين الثانى والاول ، ص ٤٧
١٣ ـ جواد على ج ١ ص ٥٦٤
١٤ ـ البدر ، المصدر السابق الصفحات ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦
١٥ ـ ذكر البحرين هنا يشمل الاسم القديم والذى سيلى ذكره
١٦ ـ جواد على ، ح ٣ ص ٥٢٧
١٧ ـ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ص ٣٤٧ ـ ان اسم البحرين قديما كان يشمل الساحل العربى من الخليج باجمعه تقريبا وهذا ما تذكره جميع المصادر وخاصة الاسلامية منها ولكن لا يعرف بالتحديد متى بدا هذا الاسم يخص جزر البحرين الحالية فقط فمن هذا المنطلق ، تاريخ المستبصر لابن المجاور ، والذى كتب فى القرن السابع الهجرى يدل على ان اسم البحرين ان لم يبدا اطلاقه على الجزر الحالية فعلى الاقل بدا استخدامه للمعنيين منذ القرن السابع الهجرى وذلك لذكره ، البحرين هى جزيرة فى صدر بحر فارس ، كما ان القلزم فى صدر بحر الحبشة ، ويقال انها جزيرة فى بحر مالح فوق بحر عذب فلاجل ذلك سميت البحرين ..
ـ الطبعة متوفرة فى المتحف البريطانى بلندن .
١٨ ـ سليمان ابراهيم العسكرى ـ التجارة والملاحة فى الخليج ـ ص ٢٢
١٩ ـ جواد على ج ٨ ، ص٦٥٠
٢٠ ـ جواد على ج ٤ ، ص ٣٧٤

٢١ ـ حدد اسم البحرين هنا بجزر البحرين الحالية
٢٢ ـ جواد علي ج٤ ، ص ٤٥٩
٢٣ ـ العسكرى ، ص ٤٥
٢٤ ـ نفس المصدر ، ص ٥٨
٢٥ ـ نفس المصدر ، ص ١٠٢
٢٦ ـ نفس المصدر ، ص ٧٠
٢٧ ـ جواد علي ص ٣١، ٣٢
٢٨ ـ العسكرى ص ٢٣ ، وانظر تعقيب جواد على على اصل كلمة طيء
٢٩ ـ لتاريخ البحرين خلال هذه الحقبة انظر ـ الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة وعبدالملك الحمر ـ البحرين عبر التاريخ
٣٠ ـ جون كيلي ـ بريطانيا والخليج ج ١ ص٥٢
٣١ ـ ج. ج. لوريمر ـ دليل الخليج القسم الجغرافي ـ الجزء الاول ص ٣١
٣٢ ـ أمين الريحاني ـ ملوك العرب ج٢ ص ٢٣٧
٣٣ ـ انظر. Bombay Selections : Warden p. 362 — 372
٣٤ ـ ابو حاكمة ـ تاريخ الكويت ج ١ ، ص ١٢٩ ، ايضا ابو حاكمة ـ تاريخ شرقي شبه الجزيرة العربية ص ٩٥
٣٥ ـ فائق حمدى طهبوب ـ تاريخ البحرين السياسي ، ١٧٨٣ ـ ١٨٧٠ ، ص ٤٤
٣٦ ـ محمود شاكر ـ شبه جزيرة العرب ج ٤ (البحرين) ص ١٧٢
٣٧ ـ طهبوب ص ٤٤
٣٨ ـ لوريمر ـ القسم التاريخي ج ٢ ، ص ١١٩٦
٣٩ ـ كيلي ج ١ ص٥٠ و ص ٥١
٤٠ ـ انظر Bombay Selection Pirate Ports — Bahrain p.26 and sir . Charles Belgraves personal column page 15.14.15
٤١ ـ لوريمر القسم التاريخي ج ٣ ص ١٢٧٤
٤٢ ـ عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم ـ علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ١١٠
٤٣ ـ ابو حاكمة ـ تاريخ شرقي شبه الجزيرة العربية
٤٤ ـ طهبوب ص ٣٠
٤٥ ـ ابو حاكمة ـ تاريخ شرقي شبه الجزيرة ص ٢٢٠
٤٦ ـ نفس المصدر ص ٢٢١
٤٧ ـ انظر Bombay Selection : Navigation of the Gulf & Persia P. 566:
٤٨ ـ لوريمر ـ القسم الجغرافي ج ١ ص ٣٠٩
٤٩ ـ انظر Bombay Selection: Navigation ... P. 566:
٥٠ ـ انظر : Bombay Selection: Memoranda on the Resources, localities and Relations of the tribes inhabiting the Arabian Shores & the Persian Gulf ... P. 105.
٥١ ـ لوريمر ـ القسم التاريخي ج ٣ ص ١٢٧٤
٥٢ ـ انظر Bombay Selection: abid, P. 105:
٥٣ ـ عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم ـ حكومة الهند البريطانية ، ص ١٥٦
٥٤ ـ محمد غانم الرميحي ـ قضايا التغير السياسي والاجتماعي في البحرين ، ص ٩٧
٥٥ ـ لوريمر القسم التاريخي ج ١ ، ص ٥٦٥
٥٦ ـ نفس المصدر ج ٣ ص ١٤١٧
٥٧ ـ نفس المصدر ج ٣ ص ١٤٠٤ ـ
٥٨ ـ صلاح العقاد ـ التيارات السياسية في الخليج العربي ص ١٦٨ ، وايضا Wilson. page 284.
٥٩ ـ استطعنا الحصول على المعلومات من — Bosch's — Britain and the Persian Gulf (1894-1914)

٦٠ ـ لوريمر القسم الجغرافي ج ١ ، ص ٣١١
٦١ ـ نفس المصدر ٣١٠
٦٢ ـ نفس المصدر ص ٣١٢
٦٣ ـ نفس المصدر ـ ص ٣١٢
٦٤ ـ طهبوب ص ٢٩ .. انظر ايضا .Bent
٦٥ ـ I.O.R 15 — The Times . Newspaper Ang '10'th 1934 — London
٦٦ ـ كيلي ، ص ٥٢
٦٧ ـ استقينا هذه الاحصائيات من مصادر مختلفة الا انها ترجع جميعا الى المصدر الاول وهو وثائق حكومة الهند البريطانية
٦٨ ـ لوريمر ـ القسم التاريخي ، ج ١ ص ٢٦٥
٦٩ ـ الرميحي ، ص ٧٦
٧٠ ـ I.O.R., Trade Reports for Bahrain, and Bahrain Agency Administrative Reports.
٧١ ـ الرميحي ، ص ٩٧
٧٢ ـ نفس المصدر ، ص ٩٩
٧٣ ـ للتطورات الادارية في البحرين انظر ـ د . البحارنة
٧٤ ـ الرميحي ، ص ٩٧
٧٥ ـ انظر: .I.O.R., Trade Reports — Bahrain, and Bahrain Agency Administrative Reports
٧٦ ـ الرميحي ، ص ٩٨
٧٧ ـ نفس المصدر ، ص ١٠٢

المصادر

المصادر العربية

○ ابو حاكمة ، احمد مصطفى

١ ـ تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، ترجمة محمد امين عبدالله ، مكتبة الحياة ، بيروت ـ ١٩٦٥

٢ ـ تاريخ الكويت ، الجزء الاول ـ القسمان الاول والثانى الطبعة الاولى عام ١٩٧٠ الكويت

○ ابن المجاور ،

ـ تاريخ المستبصر ـ مخطوط بمكتبة المتحف البريطانى

○ البدر ، سليمان سعدون .

١ ـ منطقة الخليج العربى خلال الالفين الرابع والثالث قبل الميلاد ، دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم ـ الكويت ١٩٧٤

٢ ـ منطقة الخليج العربى خلال الالفين الثانى والاول قبل الميلاد ، دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم ـ مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٨

٣ ـ مكان الخليج العربى فى حضارة الشرق الادنى القديم ـ بحث منشور فى صادرات قسم الجغرافية بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية ١٩٨٠

○ ابراهيم عبدالعزيز عبدالغنى

١ ـ حكومة الهند البريطانية والادارة فى الخليج العربى ـ دراسة وثائقية ، الرياض ـ ١٩٨١

٢ ـ علاقة ساحل عمان ببريطانيا

○ البحارنة ـ حسين

دول الخليج ـ دراسة قانونية ـ مطبعة جامعة مانشيستر ببريطانيا ١٩٦٨

○ الحموى ، ياقوت

معجم البلدان ، الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٠٦ .

○ آل خليفة ، الشيخ عبدالله بن خالد وعبدالملك الحمر

البحرين عبر التاريخ ، الجزء الاول ـ البحرين ١٩٧٢

○ الرميحى ، محمد

ـ البحرين (١٩٢٠ ـ ١٩٢١) قضايا التغير السياسى والاجتماعى ، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع ـ الكويت ١٩٧٦

○ الريحانى ، امين

ملوك العرب ، بيروت ١٩٢٩

○ شاكر ، محمود
ـ شبه جزيرة العرب ـ ٤ (البحرين) ، المكتب الاسلامي ـ دمشق ١٩٨١
○ طهبوب ، فائق حمدى
تاريخ البحرين السياسى (١٧٨٣ ـ ١٨٧٠) ذات السلاسل ، الكويت ١٩٨٣ .
○ العسكرى ، سليمان ابراهيم
ـ التجارة والملاحة فى الخليج العربى فى العصر العباسى ـ القاهرة ١٩٧٢
○ العقاد ، صلاح
ـ التيارات السياسية فى الخليج العربى ـ الطبعة الاولى ١٩٧٠
○ على ، جواد
ـ المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ـ (الطبعة الثانية) الاجزاء : ـ الاول ، الثالث ، الرابع ، والثامن مكتبة النهضة ـ بغداد ـ ودار العلم للملايين بيروت ـ ١٩٧٨
○ كيلى ، جون
ـ بريطانيا والخليج (١٧٩٥ ـ ١٨٧٠) ـ الجـزء الاول والجزء الثانى وزارة التراث القومى والثقافة ، سلطنة عمان
○ لوريمر ، ج. ج
ـ القسم الجغرافى ـ الجزء الاول
القسم التاريخى ـ الاجزاء الاول والثالث
طبعة جديدة اعدها قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو امير دولة قطر ـ الدوحة قطر

المصادر الاجنبية

○ **India Office Liberary**
R/15/2 — Selections from Trade and Commerece — File 10:-
Trade Reports —
1344I, 10/4 II 0/4
1345
134, 10/6
○ **Pearl button industry 1360 10/24**

○ **— Bahrain Agency Administration Reports:**
○ **(R/15/2/296-305)-(1921-30)**

○ **(R/15/2/297-818) (1931-34)**
— Trade Reports for Bahrain
(R/15/2/946-962)
(R/15/2/952-189)

- ○ — **Bombay Selections:-**
  (Volume 24)

Navigation of the Gulf of Persia

18 Memoranda on the Resources, localities and Relations of Tribes inhabiting the Arabian Shores of the Persian Gulf. (Based on the Report of Captain Hennell in 1839).

3 — Pirate Ports — Bahrain

BOOKS:-

- ○ — **Bibby, Geoffery — Looking for Dilmun, London, 1970.**
- ○ — **Belgrave, Charles — Personal Column, London — 1960.**
- ○ — **Busch, Poriton Cooper — Britain and the Persian Gulf (1894-1914) — Unv. of California Press, 1967.**
- ○ — **Khuri, Fuadi — Tribe and state in Bahrain, Chicago, 1980.**
  — Wilson, Sir Arnold — The Persian Gulf, Third Edition London 1959.

سكان البحرين

عند ظهور الاسلام

بقلم : الدكتور عبدالرحمن عبدالكريم العانى

اطلق العرب اسم البحرين على الاقليم الممتد على ساحل الخليج العربى بين البصرة وعمان[١] ، فهو يشمل ما نعتبره في الوقت الحاضر الكويت والاحساء وقطر وجزر البحرين الحالية المعروفة قديما بإسم أوال[٢] .

لقد كانت البحرين عند ظهور الاسلام مأهولة بالسكان ، بدليل كثرة ما فيها من القرى والعشائر ، ويرجع ذلك الى توفر المياه فيها ، وخصوبة ارضها ، ووقوعها على البحر . وكانت في البحرين عند ظهور الاسلام كل قبائل عبدالقيس ، وعشائر من تميم ومن بكر بن وائل ومن الأزد .

عبدالقيس :

يذكر النسابون ان عبدالقيس جاءت الى البحرين من تهامة[٣] ، وتغلبت على من كان قد سكن قبلها بها من اياد والأزد[٤] ، واجلت ايادا عنها[٥] ، فنزلت جذيمة بن عوف الخط وافناءها ، ونزلت شن بن اقصى طرفها وأدناها الى العراق ، ونزلت نكرة بن لكيز بن اقصى بن عبد القيس وسط القطيف وما حوله ، والشفار ، والظهران الى الرمل ، وما بين هجر الى قطر وبينونة ، ونزلت عامر بن الحارث والعمور - وهم بنو الديل ومحارب وعجل ابناء عمرو بن وديعة بن لكيز بن اقصى بن عبدالقيس ومعهم عميرة بن اسد بن ربيعة حلفاء لهم - الجوف والعيون والاحساء حذاء طرف الدهناء ، وخالطوا اهل هجر في دارهم[٦] ، اى انهم انتشروا في اكثر اجزاء البحرين وخاصة المناطق الساحلية منها ، ونزلوا أهم مدنها .

وقد احتفظت عبدالقيس بهذه المواضع حتى ظهور الاسلام[٧] . وقد ذكرت مناطق

اخرى لعبد القيس دون ان يحدد اى عشائرها يسكنها ، منها المشقر والصفا[٨] ، وجواثا[٩] ، وسماهيج[١٠] ، ومحلم[١١] ، وقبة[١٢] ، كما ذكرت المصادر ايضا عددا من القرى لبنى عامر بن الحارث بن انمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن اقصى ، وذكر ابن الفقيه انها اضعاف قرى بنى محارب[١٣] ، كما ذكر من منازلهم قطر[١٤] ، وجبلة[١٥] .

وذكرت المصادر لبنى محارب عددا كبيرا من القرى ، والمدن منها هجر[١٦] والعقير[١٧] اما جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن انمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أقصى بن عبد القيس فمن منازلها البيضاء وتسمى باسمهم[١٨] ، واحساء خرشاف[١٩] ، وقرية أنمار لجماعة من كلب بن جذيمة[٢٠] ، وصلاصل لبنى عامر بن جذيمة[٢١] ، واوال لبنى مسمار بن جذيمة[٢٢] .

وقد حدث بعض التبدل فى مواطن القبائل بعد الاسلام ، فقد اصبحت القطيف من منازل جذيمة بن عبد القيس ، وكانت رئاستهم فى بنى مسمار[٢٣] ، وشفار لبنى عامر بن الحارث بن عبد القيس[٢٤] ، وصفوان لبنى حفص بن عبد القيس ، وكانوا بها عندما دخلها القرامطة عام ٢٨٧هـ[٢٥] ، والظهران لبنى سعد بن تميم ، وكانوا بها عندما فتحها ابو سعيد الجنابى عام ٢٨٧هـ[٢٦] ، ولعل ذلك راجع الى وقوع الحرب بينهم فاضطروا الى ترك منازلهم الاصلية الى مناطق اخرى ، والى هجراتهم بعد الاسلام الى البصرة والكوفة والموصل .

لقد استحوذت عبد القيس على معظم البحرين ولذلك عدها بعضهم لعبد القيس[٢٧] ، فقال الاخنس بن شهاب التغلبى[٢٨] .

لكل اناس من معد عمارة عروض اليها يلجأون وجانب

لكيز لها البحران والسيف كله وان يأتها بأس من الهند كارب

ان كثرة مدن وقرى عبد القيس التى ذكرتها المصادر تظهر مدى انتشارهم ودورهم فى البحرين . ومن بطونهم المشهورة نكرة ، وقد وصفهم ابن قتيبة بأنهم اهل البحرين وفيهم العدد والشرف[٢٩] .

وفادة عبد القيس على الرسول (ص)

ذكرت المصادر لعبد القيس وفدتين على رسول الله (ص) ، فأما الوفادة الاولى فهى برئاسة الأشج[٣٠] :

يروى ابن سعد ان الاشج أرسل صهره وابن اخته عمرو بن عبد قيس مع قافلة تحمل التمور الى مكة للتجارة بها ، وأوصاه بالحصول على المعلومات الكافية عن النبى (ص) ، وقد وصلت القافلة عام الهجرة واسلم عمرو ، وطلب منه الرسول (ص) ان يدعو خاله الأشج الى الاسلام ثم عاد الى البحرين واخبر خاله بما رآه وسمعه ، وعندئذ اسلم الاشج وكتم اسلامه ثم وفد مع نفر من اهل هجر على رسول الله (ص) فى المدينة فأسلموا[٣١] .

ويرجع كتمان الاشج وجماعته إسلامهم عند خروجهم من هجر الى خوفهم من مشركى اليمامة وتميم ، وتشير الرواية الى صلة البحرين التجارية والفكرية بالحجاز ، كما انها تعكس حالة القلق الفكرى فى البحرين ، وتلقى الضوء على بداية اسلام عبد القيس واتصالهم بالرسول (ص) .

وقد وصل الوفد عام ٨ هـ اى قبل فتح مكة[٣٢] ، ويذكر ابن سعد ان النبى اسكن

الوفد فى دار رملة بنت الحارث ومكثوا عشرة ايام ، وكان الاشج خلالها يسائل رسول الله عن القرآن ، وكان ابى بن كعب يقرأ عليه بعض السور(٣٣) ، كما تعلم اعضاء الوفد بعض سور القرآن(٣٤) . والراجح ما ذكره ابن حجر من انهم بقوا الى ما بعد فتح مكة عام ٨ هـ (٣٥) .

وقد بين اعضاء الوفد للرسول انهم بسبب الكفار من مضر لا يستطيعون المجيء اليه الا فى شهر حرام حيث ان جميع القبائل تعظم الاشهر الحرم وتوقف القتال فيها وطلبوا منه ان يعلمهم من امور الاسلام ليعملوا بها وليدعوا اليها اقوامهم(٣٦) .

ويذكر ابن حجر فى ترجمة المنذر بن الاشوع العبدى انه « قدم فى وفد عبدالقيس فقالوا يا رسول الله جئنا سلما غير حرب ، ومطيعين غير عاصين فأكتب لنا كتابا يكون فى ايدينا تكرمة على سائر العرب ، فسر النبى (ص) وامرهم ونهاهم ووعظهم وكتب لهم كتابا(٣٧) .

ويقول العينى « ثم ان النبى (ص) قال لهم تبايعوننى على انفسكم وقومكم فقال القوم نعم ، فقال الاشج يا رسول الله انك لن تزايل الرجل عن شيء اشد عليه من دينه ، نبايعك على انفسنا وترسل معنا من يدعوهم ، فمن اتبع كان منا ومن ابى قاتلناه(٣٨) ، وبعد فتح مكة سنة ٨ هـ رجع الوفد الى البحرين مع العلاء الحضرمى الذى بعثه الرسول برسالة الى المنذر بن ساوى ، فحولوا البيعة مسجدا(٣٩) .

وتختلف الروايات فى عدد الوفد ، ففى رواية لابن سعد « فاسلم الاشج .. ثم خرج .. فى سبعة عشر رجلا وفدا على النبى (ص) من اهل هجر ، وقال بعضهم كانوا اثنى عشر رجلا(٤٠) ، وفى رواية اخرى له عن الواقدى انهم كانوا عشرين شخصا راسهم عبدالله بن عوف الأشج من بنى عبيد ثلاثة نفر ، ومن بنى غنم ثلاثة نفر ، ومن بنى عبدالقيس اثنا عشر رجلا معهم الجارود(٤١) ، ويروى عن ابى خيرة الصباحى انه قال كنت فى الوفد الذين اتوا رسول الله (ص) وكنا اربعين راكبا (٤٢) ، ويورد السهيلى اسماء ثمانية اشخاص ثم يقول فهذا ما بلغنى من تسمية من وفد على النبى (ص) فى وفد عبدالقيس(٤٣) ، ويذكر النووى ان الوفد كانوا اربعة عشر راكبا(٤٤) ، ويذكر ابن كثير انهم كانوا ثلاثة عشر راكبا(٤٥) ، ويذكر ابن حجر ان الاشج خرج فى ستة عشر رجلا من اهل هجر وفدا على الرسول(٤٦) .

ان تعدد الروايات حول عدد وفد عبدالقيس الى الرسول يجعل تحديد العدد امرا صعبا ، اضافة الى احتمال التزوير والاختلاق طالما كان يترتب على الوفادة مجد ومفاخرة وارى ان كون الوفد ٤٠ شخصا بعيد عن الصحة ، اذ كيف يتسع بيت واحد لهذا العدد الضخم والراجح ان عدد الوفد يتراوح بين ١٣ و ٢٠ شخصا . اما اسماء الوفد كما اوردهم ابن سعد فهم :

من بني عصر : المنذر بن الحارث(٤٧) المعروف بالاشج(٤٨) ، وهو رئيس الوفد(٤٩) ، وعمرو بن المرجوم(٥٠) وشهاب بن المتروك(٥١) وهمام بن ربيعة(٥٢) ، وخزيمة بن عبد عمرو(٥٣) ، وجارية بن جابر(٥٤) وعامر بن عبد قيس(٥٥) ، وعمرو بن عبد قيس(٥٦) ، وعمرو بن شعيث(٥٧) .

ومن بني صباح بن عبد القيس : ابو خيرة(٥٨) ، وعقبة بن جروة(٥٩) ، ومطر بن هلال العنزى وهو اخ لعقبة بن جروة من امه وحليف لهم من عنزة(٦٠) ، والزارع العبدى(٦١) ، وقد نزل البصرة(٦٢) .

ومن بنى عائشة بن العوف بن الديل :

الحارث بن جندب[٦٣] **ومن بنى مرة بن ظفر بن الديل** : صحار بن العباس العبدى[٦٤] **ومن بنى عجل بن عمرو بن عبد القيس** : سفيان بن خولى من بنى ظالم بن ذهل بن عجل[٦٥] ، ومنقذ بن حيان[٦٦] **ومن بنى محارب بن عبد القيس** همام بن معاوية بن شبابة[٦٧] ، وحفيده عبيدة بن مالك بن حطمة بن عمرو بن محارب[٦٨] ، ومحارب بن مزيدة بن مالك[٦٩] ، وابان المحاربى[٧٠] **ومن بنى ظفر بن ظفر بن محارب** : سفيان بن همام ، وعمرو بن سفيان[٧١] ، وذكر من اسماء الوفد ايضا جابر بن عبدالله بن جابر العبدى[٧٢] .

وذكرت المصادر من الوفد عددا لم يذكرهم ابن سعد وهم الجهم بن قثم[٧٣] ، وقيس بن النعمان العبدى[٧٤] ، والمنذر بن الاشوع العبدى[٧٥] ، وعامر بن الحارث من بنى مرة[٧٦] ، وجابر بن الحارث[٧٧] ، وفضالة بن سعيد المحاربى وكان من اشرافهم[٧٨] ، والاشعث بن جودان ، [٧٩] وحسان بن ابى حسان العبدى[٨٠] ومشمرخ[٨١] بن خالد السعدى قدم على النبى فى الوفد فكساه بردا واقطعه ركيا بالبادية وكتب له كتابا[٨٢] ، ورسيم الهجرى[٨٣] **ومن بنى عصر : الحارث بن شعيب[٨٤] ، ومزيدة[٨٥] ، وجويرة[٨٦]** ، **ومن بنى صباح** : عيسى بن عبدالله[٨٧] ، وابو سنان وهو مؤذن مسجد بنى صباح[٨٨] ، والاعور بن مالك بن عمر بن عوف بن عامر بن ذبيان بن الديل[٨٩] ، والقائف ، واياس ابنى عيسى بن امية بن ربيعة بن عامر بن ذبيان بن الديل وكانا من سادات بنى صباح[٩٠] وذكر العينى من وفد عبد القيس شريك بن عبد الرحمن ، والحارث بن عيسى ، وعبد الله بن قيس ، وعيسى بن عبدالله ، وربيعة بن خراش ، ومحارب بن مرثد ، وعباد بن نوفل بن خداش ، وابنه عبدالرحمن ، وعبدالرحمن ،والحكم ابنى حيان ، وعبد الرحمن بن ارقم ، وفضالة بن سعد ، وحسان بن يزيد ، وعبد الله بن همام ، وسعد بن عمر ، وعبدالرحمن بن همام ، وحكيم بن عامر ، وابو عمر ، وابن شنيم ، وكانوا من سادات عبدالقيس واشرافها وفرسانها[٩١] .

ليست لدينا تفصيلات عن مكانة اعضاء الوفد ودورهم بعد الاسلام واثرهم الا ما ذكرته بعض المصادر عن الاشج والبعض منهم ، فقد كان الاشج سيد قومه بنى عصر[٩٢] ، وقد ذكر الوفد للرسول (ص) انه سيدهم وقائدهم الى الاسلام وابن ساداتهم[٩٣] ، ولكن مع ذلك يبدو ان مركزه كان ضعيفا وانه لم يكن يتمتع بتأييد العشائر الكامل ، بدليل انه لم يبايع الرسول على قومه حينما طلب منه ذلك وبايعه فقط على نفسه وتعهد بقتال من لم يتبع تعاليم مبعوثه (ص) الى البحرين .

ومن اعضاء الوفد البارزين عمرو بن المرجوم ، وكان والده من اشراف عبدالقيس ورؤسائها فى الجاهلية ، وكان ابنه عمرو شريفا فى الاسلام[٩٤] ، وهمام بن ربيعة وكان من سادات عبدالقيس وفرسانهم[٩٥] .

وبعد رجوع الاشج الى البحرين من وفادته ذهب الى البصرة حيث استقر فيها[٩٦] ، اما عمرو بن المرجوم فهو الذى اقدم عبد القيس البصرة[٩٧] ، وممن نزلوا البصرة من اعضاء الوفد الزارع بن الوازع العبدى[٩٨] ، وصحار بن العباس حيث مات فيها[٩٩] ، وجابر بن عبدالله العبدي[١٠٠] .

الوفادة الثانية :

ثم قدم من عبد القيس وفد ثان سنة ٩ هـ

على الرسول برئاسة الجارود[١٠١] العبدى وهو من بنى انمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أقصى بن عبد القيس[١٠٢].

ويذكر الحلبى ان عدد الوفد كان ستة عشر رجلا[١٠٣]، وهى رواية ضعيفة انفرد بها.

وكان الجارود شريفا فى الجاهلية[١٠٤]، وسيد قومه ورئيسهم[١٠٥]، وكان نصرانيا فأسلم واصحابه، وقد بقى فى المدينة فترة حتى فقه فى الدين، وكان حسن الاسلام، صلبا على دينه، وبعد وفاة الرسول عام ١١هـ ارتدت عبد القيس مع من ارتد فى البحرين، ولكن بجهود الجارود تراجعت عبد القيس عن موقفها وتمسكت بالاسلام[١٠٦]، كما قاد الجارود عبد القيس لمساعدة العلاء بن الحضرمى فى قتال المرتدين فى هجر[١٠٧]، وبعد حوادث الردة سكن البصرة[١٠٨].

بكر بن وائل :

استوطنت بكر بن وائل البحرين قبيل الاسلام، وخاصة بعد يوم قضة وهو اخر ايام حرب البسوس، وقد امتدت مساكن بكر الى اليمامة وكذلك الى اطراف العراق الغربية[١٠٩] ومن بطون بكر التى استوطنت البحرين بنو قيس بن ثعلبة بن عكابة[١١٠]، وذكرت المصادر من منازلهم هجر[١١١]، والسيدان[١١٢]، والشيطان[١١٣]، وثاج[١١٤]، وعباعب[١١٥]، وهم لم ينفردوا فى سكن هذه الاماكن، وقد حدث تبدل طفيف فى مواطن قيس بن ثعلبة بعد الاسلام، فقد اصبحت ثاج من منازل بنى سعد بن زيد مناة بن تميم التى انتزعوها منهم[١١٦].

ولم تساهم عشائر بكر المستوطنة فى البحرين فى التجارة او الصناعة، ويبدو انها كانت بدوية.

تميم :

تميم من أكبر القبائل العربية، وقد انتشرت فى هضبة نجد من الحجاز الى الاطراف الشرقية للجزيرة، واستوطنت بعض عشائرهم البحرين مع القبائل العربية الاخرى[١١٧]، ومن بطونهم التى استوطنت البحرين بنو سعد بن زيد مناة بن تميم، وامتدت منازلهم فى الجنوب الى يبرين، وفى الشمال الى سفوان[١١٨]، ففى يبرين نزل بنو عوف بن سعد، وبعض بنى عوف بن كعب، واخلاط سعد[١١٩] اما الاحساء فقد نزلها اخلاطهم[١٢٠]، وتسمى احساء بنى سعد[١٢١]، والاجواف[١٢٢]، وبطن عز ومياهه ثبا آت وكنهل[١٢٣]، ووادى الستار بما فيه من قرى ومياه، لافناء سعد ولامرىء القيس بن زيد[١٢٤]، والقاعة، وتسمى قاعة بنى سعد[١٢٥]، والعتيد، والطريفة لبنى مالك بن سعد التى انتزعوها من بنى عوف بن كعب[١٢٦]، وقريتا نيتل والنياج لبنى مالك بن سعد[١٢٧]، والسيدان[١٢٨]، ومياهه الحمانية لبنى حمان[١٢٩] والربيعية لبنى ربيع بن الحارث[١٣٠]، ويشتركون مع بنى الحرماز بن مالك فى مياه كثيرة منها مسلحة، والوفراء، وكاظمة[١٣١]، وذكرت المصادر من منازل بنى سعد بن زيد مناة ايضا المقر[١٣٢]، والفروق[١٣٣]، والقليعة[١٣٤]

ومن بطونهم الاخرى بنو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة، ومن منازلهم الصمان لعبدالله ونهشل ابنى دارم، مختلطين بضبة، وكعب بن العنبر[١٣٥]، ولبنى عبدالله بن دارم ايضا

مصنعة الخمة[١٣٦] ، والقرعاء[١٣٧] ، ولبنى مناف بن دارم الرمادة التى يشاركهم فيها بنو فقيم بن جرير بن دارم[١٣٨] ، وماء قنور[١٣٩] ، وثبرة[١٤٠] ، وركية فى طويلع[١٤١] .

ولبنى فقيم بن جرير بن دارم نصف ماء طويلع[١٤٢] ، والجرباء[١٤٣] ، ولبنى ربيعة بن مالك بن دارم ركيتان فى طويلع[١٤٤] ، واللهابة[١٤٥] ، ولبنى نهشل بن دارم لصاف[١٤٦] ، اما بنو العنبر بن عمرو بن تميم فلهم وادى الخدادة بالصمان[١٤٧] .

وكانت عشائر تميم المستوطنة فى البحرين بدوية فيما يظهر ، فلم يرد من الاخبار ما يدل على مساهمتها فى التجارة او الصناعة ، او تنظيمات حضارية ، ويبدو مما ذكرته المصادر انه لم تكن لهم مدن ، وان غالبيتهم كانوا يقيمون فى البادية .

الازد :

هى من القبائل العربية التى استوطنت البحرين منذ قبل الاسلام ، ولا نعلم بالضبط زمن ذلك ، فاليعقوبى يذكر ان الازد خرجت من اليمن بعد هدم سد مأرب حتى وصلت السراة ، فخرج بعض بطونهم منهم الربيعة وعمران بنو عمرو بن عدى بن حارثة بن عامر وهم بارق وغالب ويشكر بن قيس بن صعب بن دهمان وقوم من عامر وحوالة نحو عمان ، فلما صاروا بها انتشروا بالبحرين وهجر[١٤٨] ، ويقول الهمدانى ان الازد اقاموا بتهامة ثم وقعت الفرقة بينهم « فصار كل فخذ منهم الى بلد .. ومنهم من رمى قصد عمان واليمامة والبحرين[١٤٩] ، ويقول ابن شبه « فارتحلت عبد القيس وشن بن أقصى ، وبعثوا بالرواد مرتادين فاختاروا البحرين وهجر وضاموا من بها من اياد والازد[١٥٠] .

ويبدو ان استقرار الازد فى البحرين تم قبل مجيء عبد القيس اليها ، كما ان بعضهم جاء اليها بعد الاسلام وبعد هجرة عبد القيس الى البصرة[١٥١] .

وقد ذكرت المصادر من مناطق سكناهم اوال اذ كان فيها بنو معن[١٥٢] ، والقطيف مع عبد القيس[١٥٣] .

الهوامش

(١) الازهرى/ تهذيب اللغة/ ٥/ ٤٠/ الجوهرى/ الصحاح/ ٢/ ٥٨٥ ، ابن منظور/ لسان العرب/٤ / ٤٦ ، الفيروز ابادى/ القاموس المحيط/ ١/ ٣٦٨ ، البكرى/ معجم ما استعجم/١/ ٢٨٨ ، الزمخشرى/ الجبال والامكنة والحياة/ ٢٠ ، ياقوت الحموى/ معجم البلدان/ ١/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧ ، القزوينى/ اثار البلاد واخبار العباد/ ٧٧ ـ ٧٨ ، ابن عبد الحق/ مراصد الاطلاع/ ١/ ١٣٠ .

(٢) انظر : لغة : بلاد العرب/ ٣٢٥ هامش ، كحالة/ جغرافية جزيرة العرب/ ٢٦١ . المسلم : ساحل الذهب الاسود/ ١٦ ـ ١٧ ، النبهانى : التحفة النبهانية/ ١١ ، عبد الوهاب عزام/ مهد العرب/ ٩٠ .

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين : ١/ ٩٦ = ٩٧ ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب : ٢٩٩ ، ابن عبد البر : الانباه على قبائل الرواة : ١٠٣ ـ ١٠٤ ، البكرى : معجم ما استعجم : ١٨ ، ٧٦ ، ٧٩ ـ ٨٠ .

(٤) البكرى : معجم ما استعجم : ٨٠ ـ ٨١ ، انظر الميدانى ، مجمع الامثال : ١/ ٤٨٢ ، وفى رواية اخرى انهم وجدوا بها بكر بن وائل وتميم فزاحموهم فى ديارهم وقاسموهم الموطن . ابن خلدون : ٢/ ٦٢٢ ، صبح الاعشى ١/ ٣٣٧ .

(٥) البكرى : معجم ما استعجم / ٨١ ، ياقوت : ٤/ ٥٤١ .

(٦) البكرى : معجم ما استعجم ، ٨١ ـ ٨٢ وفى ديوان الفرزدق ١/ ٥١ ـ ٥٢ ، طبعة دمشق ، هجر والخط لعبد القيس خاصة ، وفى النووى : صحيح مسلم بشرح النووى ١/ ١٨١ وقال صاحب التحرير : ووفد عبدالقيس ... وكانوا ينزلون البحرين ، الخط واعنابها ، وسرة القطيف والسفار والظهران الى الرمل الى الاجرع ، ما بين هجر الى قطر وبينونة ثم الجوف والعيون والاحساء الى حد اطراف الدهناء وسائر بلادها .

(٧) البكرى/ معجم ما استعجم/ ٨٩ .

(٨) ياقوت : ٤/ ٥٤١ ، مراصد الاطلاع ٣/ ١٠٥ .

(٩) الزمخشرى : الجبال والامكنة والمياه : ٣٦ ، ياقوت ٢/ ١٣٦ .

(١٠) البكرى : معجم ما استعجم : ١٢٨٢ .

(١١) ياقوت : ٤/ ٤٢٨ .

(١٢) ن . م . /٤/ ٣٣ .

(١٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان/ ٣٠ .

(١٤) البكرى : معجم ما استعجم/ ٨٨ .

(١٥) الحربى : المناسك/ ٦٢٠ ، ياقوت ٢ / ٢٧ ، مراصد الاطلاع ١/ ٢٣٩ .

(١٦) الهمدانى : صفة جزيرة العرب/ ١٣٦ .

(١٧) ن . م .

(١٨) الازهرى : تهذيب اللغة ١٢/ ٨٨ ، لسان العرب ١١/ ١٢٩ .

(١٩) ياقوت ٢/ ٤٢٢ .

(٢٠) ن . م . / ١ / ٦٤ ، مراصد الاطلاع ١ / ٧ .
(٢١) ياقوت ٣ / ٤١١ .
(٢٢) المسعودي : مروج الذهب ١ / ١١٠ ، البكري : المسالك والممالك . ورقة ١٠٥ .
(٢٣) الهمداني : صفة جزيرة العرب / ١٣٦ ، ياقوت ٤ / ١٤٣ ، وبنو مسمار : هم بنو ابي الحسن علي بن مسمار بن مسلم بن مدحور بن صعصعة بن مالك بن عمرو بن مخاشن بن معدي بن كليب بن عامر بن سعد بن ثعلبة بن جذيمة شرح ديوان ابن مقرب نقلا عن الاحسائي : تحفة المستفيد ١ / ٢٥٦ .
(٢٤) ياقوت ٣ / ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، مراصد الاطلاع ٢ / ١١٦ ، ١١٨ .
(٢٥) المسعودي : التنبيه والاشراف / ٣٩٢ ، والنسابون لا يذكرون بني حفص بن عبد القيس .
(٢٦) المسعودي : التنبيه والاشراف / ٣٩٢ .
(٢٧) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان / ٢٨ .
(٢٨) الهمداني : صفة جزيرة العرب / ٢٠٤ .
(٢٩) المعارف / ٩٣ ، انظر المطهر المقدسي / والتاريخ / ٤ / ١٢٤ .
(٣٠) اسمه المنذر بن عائذ وسوف تاتي ترجمته فيما بعد .
(٣١) ابن سعد / ١٥ / ٤١١ .
(٣٢) ابن سعد / ١ ق ٢ / ٥٤ ، الاصابة / ١ / ٦٦ ، النووي / صحيح مسلم بشرح النووي / ١ / ٨٤ . الكرماني / صحيح مسلم بشرح الكرماني ١ / ٢٠٩ ، العيني / عمدة القاري ٣٠٩ . القسطلاني / ارشاد الساري / ١ / ١٢٠ ، الحلبي / السيرة الحلبية / ٣ / ٢٥٠ ، دحلان / السيرة النبوية / ٢ / ٧٠ .
(٣٣) ابن سعد / ١ ق ٢ / ٥٤ ، ٥ / ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .
(٣٤) ابن حنبل / المسند / ٣ / ٤٣٢ .
(٣٥) الاصابة / ٢ / ١٧١ .
(٣٦) ابو عبيد / اموال / ١٢ ، البخاري / الصحيح / ١ / ٢٢ ، ٣٤ ، ١٤٢ ، ٣٥٥ ، ٣ / ١٦٤ ، مسلم / الصحيح / ١ / ٤٦ ـ ٤٨ ، ٣ / ١٥٧٩ ، البيهقي / السنن / ٦ / ٢٩٤ .
(٣٧) ابن حجر / الاصابة / ٣ / ٤٣٨ .
(٣٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري / ١ / ٣١٠ ، الزرقاني / ٤ / ١٦ .
(٣٩) الاصابة / ٢ / ١٧١ .
(٤٠) ابن سعد / ٥ / ٤١١ .
(٤١) ابن سعد / ٥ / ٤٠٦ ، انظر ١ ق ٢ / ٥٤ ، ٤ ق ٢ / ٧٧ ، الاصابة / ٢ / ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، السيرة الحلبية / ٣ / ٢٥٠ ، دحلان / السيرة النبوية / ٢ / ١٧٠ .
(٤٢) ابن عبد البر / الاستيعاب / ٤ / ١٦٤٣ ، انظر اسد الغابة / ٥ / ١٨٣ ، الاصابة / ٤ / ٥٥ ، فتح الباري / ١ / ١٣٩ ، ارشاد الساري / ٦ / ٣٤٩ ، السيرة الحلبية / ٢ / ١٧٠ ، دحلان / السيرة النبوية / ٢ / ١٧٠ .
(٤٣) الروض الانف / ٢ / ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ، الاشج ، والزارع بن عامر ، ومطر بن هلال العنزي ، وابن اخي الزارع ، والجهم بن قثم ، وابو خيرة الصباحي ، ومزيدة العصري ، وقيس بن النعمان .
(٤٤) صحيح مسلم بشرح النووي / ١ / ١٨١ ، انظر فتح الباري / ١ / ١٣٨ ـ ١٣٩ ، عمدة القاري / ١ / ٣٠٨ ، الزرقاني / ٤ / ١٥ .
(٤٥) البداية والنهاية / ٥ / ٤٨ ، انظر فتح الباري / ١ / ١٣٩ ، عمدة القاري / ١ / ٣٠٨ ، ١٨ / ٢٠ ، ارشاد الساري / ٦ / ٣٤٩ ، الزرقاني / ٤ / ١٥ ، السيرة الحلبية / ٣ / ٢٥٠ ، دحلان / السيرة النبوية / ٢ / ١٧٠ .
(٤٦) الاصابة ٢ / ١٧١ .
(٤٧) في ابن سعد ٧ ق ١ / ٦٠ وقد اختلف في اسمه ، يذكر الواقدي ان اسمه عبدالله ابن عوف ،

ويذكر هشام بن الكلبي انه المنذر بن الحارث بن عمرو بن زياد بن عصر . ويذكر المدائني انه المنذر بن المنذر بن النعمان بن زياد بن عصر .

(٤٨) سماه رسول الله الاشج لضربة بوجهه . احمد بن حنبل/ المسند/ ٣/ ٤٣٢ ، الكرماني ١/ ٢١١ ، العيني ١/ ٣٠٨ .

(٤٩) ابن سعد/ ١ ق ٢/ ٥٤ ، ٤ ق ٢/ ٧٧ ، ٥/ ٤٠٦ ، الاصابة/ ٢/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، اليعقوبي/ ٢/ ٨٥ ـ ٨٦ ، النووي/ صحيح مسلم بشرح النووي/ ١/ ١٨١ ، الكرماني/ ١/ ٢١١ ، فتح الباري/ ١/ ١٣٨ ، عمدة القاري/ ١/ ٣١٨ ، السيرة النبوية/ ٣/ ٢٥٠ ، الزرقاني/ ٤/ ١٦ ، النويري/ ١٨/ ٦٥ .

(٥٠) اسم المرجوم عبد قيس بن عمرو بن شهاب بن عبدالله بن عصر بن عوف بن عمرو بن عبد القيس . ابن سعد/ ٥/ ٤١٠ ـ ٤١١ ، انظر الاصابة/ ١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١ ، ٢/ ١٧١ ، النووي/ ١/ ١٨١ ، فتح الباري/ ١/ ١٣٨ ، العيني/ ١/ ٣٠٨ ، القسطلاني/ ٦/ ٣٤٩ ، الزرقاني/ ٤/ ١٥ .

(٥١) اسم المتروك عبيد بن عبيد بن شهاب بن عبدالله بن عصر . ابن سعد/ ٥/ ٤١١ ، انظر الاصابة/ ٢/ ١٧١ .

(٥٢) ابن سعد/ ٥/ ٤١١ ، انظر الاصابة/ ١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١ ، ٢/ ١٧١ ، فتح الباري ١/ ١٣٩ .

(٥٣) ابن سعد/ ٥/ ٤١٢ ، وفي الاصابة/ ٢/ ١٧١ ، ١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١ جذيمة ، فتح الباري/ ١/ ١٣٩ .

(٥٤) ابن سعد/ ٥/ ٤١٢ ، انظر الاصابة/ ١/ ٢١٩ ، وفي ٢/ ١٧١ حارثة بن جابر ، فتح الباري/ ١/ ١٣٩ ، الزرقاني/ ٤/ ١٧ .

(٥٥) ابن سعد/ ٥/ ٤١٢ .

(٥٦) ن م . /٥/ ٤١١ .

(٥٧) ن . م .

(٥٨) ابن سعد/ ٧ ق ١/ ٦٢ ، انظر خليفة/ الطبقات/ ٦٠ ، الاستيعاب/ ٤/ ١٦٤٣ ، اسد الغابة/ ٥/ ١٨٣ ، الاصابة/ ٤/ ٥٤ ـ ٥٥ ، فتح الباري/ ١/ ١٣٩ .

(٥٩) ابن سعد / ٥/ ٤١٢ ، انظر الاصابة/ ٢/ ١٧١ عقبة بن حدرة ، فتح الباري/ ١/ ١٣٨ ، الزرقاني/ ٤/ ١٥ .

(٦٠) ابن سعد/ ٥/ ٤١٢ ، انظر اسد الغابة/ ٤/ ٣٧٢ ، الاصابة/ ٣/ ٤٠٢ ، السهيلي/ ٢/ ٣٣٣ ، وفي فتح الباري/ ١/ ١٣٩ اخو الزارع .

(٦١) في ابن خياط/ الطبقات/ ٦٠ الزارع بن عمرو ، وفي البخاري/ التاريخ الكبير/ ٢ق١/ ٤٠٨ ، الادب المفرد/ ٢٥٣ الزارع بن عامر .

(٦٢) ابن سعد/ ٥/ ٤١٠ ، ٧ق١/ ٦٢ .

(٦٣) ابن سعد/ ٥/ ٤١٢ ، في العيني/ ١/ ٣٠٨ الحارث بن حبيب العائشي .

(٦٤) ابن سعد/ ٥/ ٤٠٩ ـ ٤١٠ ، انظر الاصابة/ ٢/ ١٧١ ، النووي/ صحيح مسلم بشرح النووي/ ١/ ١٨١ ، فتح الباري/ ١/ ١٣٨ ، ارشاد الساري/ ٦/ ٣٤٩ ، الزرقاني/ ٤/ ١٥ .

(٦٥) ابن سعد/ ٥/ ٤١٠ .

(٦٦) ن . م ./ ١ق٢/ ٥٤ ، ٥/ ٤١٠ ، انظر الاصابة/ ٢/ ١٧١ ، فتح الباري/ ١/ ١٣٨ ، عمدة القاري/ ١/ ٣٠٨ ، القسطلاني/ ٦/ ٣٤٩ ، الزرقاني/ ٤/ ١٥ .

(٦٧) ابن سعد ٥/ ٤١٢ انظر الاصابة ٣/ ٥٧٧

(٦٨) ابن سعد/ ٥/ ٤١٠ ، وفي الاصابة/ ٢/ ١٧١ ، النووي/ ١/ ١٨١ ، وفتح الباري/ ١/ ١٣٨ ، والعيني/ ١/ ٣٠٨ ، والقسطلاني/ ٦/ ٣٤٩ ، والزرقاني/ ٤/ ١٥ ـ عبيدة بن همام .

(٦٩) ابن سعد/ ٥/ ٤١٠ ، انظر اسد الغابة/ ٤/ ٣٠٤

(٧٠) ابن سعد/ ٥/ ٤١٠ ، ٧ق١/ ٦٢ ، انظر اسد الغابة/ ١/ ٣٧ ، الاصابة/ ١/ ٢٥ ، وفي رواية اخرى هو غسان العبدي . ابن سعد/ ٥/ ٤١٠ ، انظر ايضا البخاري/ التاريخ الكبير/ ٤ق١/ ١٠٦ ، الاستيعاب/ ٣/ ١٢٥٥ ، اسد الغابة/ ٤/ ١٧٠ ، الاصابة/ ٣/ ١٨٣ .

(٧١) ابن سعد/٥/٤١٢ .
(٧٢) ابن سعد/ ٧ق١/٦٢ ، ٥/٤١٠ ، انظر البخاري/ التاريخ الكبير/٣ق١/٥٩ ، وفي الاستيعاب/١/٢٢٣ ، واسد الغابة/١/٢٥٨ جابر بن عبيد العبدي ، الاصابة/١/٢١٥ .
(٧٣) السهيلي الروض الانف/٣/٣٣٤ ، اسد الغابة/١/٣١١ ، فتح الباري/١/١٣٩ ، وفي العيني / ١/٣٠٨ الجهيم بن قثم .
(٧٤) الاستيعاب/٣/١٣٠٢ ، اسد الغابة/٤/٢١٨ ـ ٢٢٩ ، الاصابة/٣/٢٥١ ، الروض الانف/٢/٣٣٤ ، وفي فتح الباري/١/١٣٩ «النعمان العبدي» ، العيني/١/٣٠٨ ، ارشاد الساري/٦/٣٤٩ ، الزرقاني/٤/١٥ .
(٧٥) الاصابة/٣/٤٣٨ .
(٧٦) ن. م. /٢/١٧١ .
(٧٧) ن. م./١/٢١٢ ، فتح الباري/١/١٣٩ ، الزرقاني/٤/١٧ .
(٧٨) الاصابة/٣/٢٠١ .
(٧٩) اسد الغابة/١/٩٧ .
(٨٠) ن. م./٢/٧ .
(٨١) في الاصابة/١/٤٠١ «مشمرج» .
(٨٢) اسد الغابة/٤/٨٩ ، الاصابة/١/٤٠١ ، وفي اسد الغابة/٤/٣٦٧ ـ ٣٨٦ كساه النبي (صلعم) بردا واقطعه ركنا بالبادية وكتب له كتابا .
(٨٣) فتح الباري/١/١٣٩ ، وفي العيني/١/٣٠٨ «الرسيم العدوي» ، ارشاد الباري/٦/٣٤٩ ، الزرقاني/٤/١٦ .
(٨٤) النووي شرح صحيح مسلم/١/١٨١ ، فتح الباري/١/١٣٨ ، العيني/١/٣٠٩ ، ارشاد الساري/٦/٣٤٩ ، وفي الزرقاني/٤/١٥ «الحارث بن شبيب» .
(٨٥) الروض الانف/٢/٣٣٤ ، وفي اسد الغابة/٤/٣٠٤ ، والنووي/١/١٨١ «مزيدة بن مالك المحاربي» ، وفي الاصابة/٢/١٧١ «مرثدة بن مالك المحاربي» ، العيني/١/٣٠٨ ، وفي ارشاد الساري/٦/٣٤٩ «بريدة بن مالك» ، الزرقاني/٤/١٥ .
(٨٦) الاستيعاب/١/٢٧٨ ، اسد الغابة/١/١٣ ، الاصابة/١/٢٥٨ ، فتح الباري/١/١٣٩ .
(٨٧) الاصابة/٣/٥١ ـ ٥٢ .
(٨٨) ن. م./٤/٩٧ .
(٨٩) العيني/عمدة القاري/١/٣٠٩ .
(٩٠) ن. م.
(٩١) العيني/ عمدة القاري/١/٣٠٩ ولا يذكر عشائرهم .
(٩٢) ابن حنبل/المسند/٣/٤٣٢ ، العيني/٨/٣٠٨ ، الاستيعاب/١/١٤٠ .
(٩٣) الاستيعاب/٤/١٤٤٨ ـ ١٤٤٩ ، ابن خلدون٢/٦٢٢ .
(٩٤) الاصابة/٣/١٥ ، العيني/١/٣٠٨ .
(٩٥) الاصابة/٣/٥٧٧ .
(٩٦) ابن سعد/٧ق١/٦٠ ، اسد الغابة/٣/٢٤٠ .
(٩٧) ابن سعد/٥/٤١١ .
(٩٨) ابن سعد/٥/٤١٠ ، ٧ق١/٦٢ .
(٩٩) الاصابة/٢/١٧٠ .
(١٠٠) ابن سعد/٥/٤١٠ ، ٧ق/٦٢ .
(١٠١) اسمه بشر بن عمرو بن حنش بت المعلى ، ولقب الجارود لان ابله اصابها مرض فخرج بها الى اخواله من بكر بن وائل فانتشر المرض في ابلهم فهلكت فقالت الناس « جردهم بشر» فسمي الجارود . ابن سعد/ ٥/٤٠٧ ـ ٤٠٨ ، ابن دريد/ الاشتقاق/٢/٢٣٦ ـ ٢٣٧ ، الميداني/ مجمع الامثال/١/١٩٨ ، لسان العرب/٣/١١٦ ، وفي رواية اخرى انه اغار على اناس من بكر فجردهم . الروض الانف/ ٢/٣٤٠ ، اسد الغابة/ ١/٢٦١ ، الاصابة/١/٢١٧

الذهبي/ تاريخ الاسلام/٢/٤٤ ، النجوم الزاهرة/١/٧٢ .

(١٠٢) سيرة ابن هشام/ ٤/٢٢١ الروض الانف /٢/٣٤٠ ، ابن سيد الناس/ عيون الاثر/ ٢/٢٣٤ ـ ٢٣٥ ، زاد المعاد/ ٣/٣٠ ، السيرة الحلبية/ ٣/٢٣٩ ، ٢٤٩ ، تاريخ خليفة بن خياط/ ١/٥٧ ، تاريخ اليعقوبي/ ٢/٨٦ ، البداية والنهاية/ ٥/٤٠ ، ٤٨ ، ابن خلدون/٢/٦٢٢ ، ابن سعد/ ٥/٤٠٧ ، ٧ق١/ ٦١ ، الاستيعاب/ ١/٢٦٢ ، فتح الباري/ ٩/١٤٧ ، الزرقاني/ ٤/١٧ .

(١٠٣) الحلبي/ السيرة الحلبية/ ٣/٢٤٩ .

(١٠٤) ابن سعد/د/٤٠٨ ، ٧ق١/٦١

(١٠٥) الاستيعاب/١/٢٦٢ ، اسد الغابة/ ١/٢٦١ ، الاصابة/ ١/٢١٧ ، الذهبي/ تاريخ الاسلام/ ٢/٤٤ ، ابن تغري بردي/ النجوم الزاهرة/١/٧٢ .

(١٠٦) سيرة ابن هشام/ ٤/٢٤٢ ـ ٢٤٣ ، عيون الاثر/ ٢/٢٣٤ ، ابن سعد/٥/٤٠٨ ، ٧ق١/٦١ ، فتوح البلدان/٨٣ ، الطبري/١ق٤/١٧٣٦ ، البداية والنهاية/٥/٤٨ ، دحلان/ الفتوحات الاسلامية/ ١/٢١ .

(١٠٧) الطبري/١ق٤/١٩٦٧ وما بعدها ، الكامل/ ٢/٣٧٠ ، الاغاني/ ١٤/٤٥ .

(١٠٨) ابن سعد/٧/ق١/٦١ ، الاستيعاب/ ١/٢٦٣ ، اسد الغابة/ ١/٢٦١

(١٠٩) البكري : معجم ما استعجم : ٨٥ ـ ٨٦ ، وذكر الهمداني ديار بكر من اليمامة الى البحرين الى سيف كاظمة الى البحر فاطراف سواد العراق فالابلة فهيت . صفة جزيرة العرب/١٦٩ ، وقضة : عقبة في عارض اليمامة . معجم ما استعجم/٨٥ ، وعن حرب البسوس انظر ابن الاثير : الكامل/١/٥٢٣ وما بعدها .

(١١٠) البلاذري : فتوح البلدان/٨٣ ، الطبري : ١ق٤/١٩٦١ .

(١١١) ديوان طرفة بن العبد : ١٥ (نشر علي الجندي) .

(١١٢) ابو عبيدة : نقائض جرير والفرزدق : ١/٤٨٢ .

(١١٣) ن. م./ ٢/١٠٢٠ ـ ١٠٢٣ ، صفة جزيرة العرب : ١٢٣ ، معجم ما استعجم ١١٥٦ .

(١١٤) ابو عبيدة : النقائض : ١/١٣٠ ، انظر ياقوت ٢/٨١١ .

(١١٥) معجم ما استعجم : ٩١٦ ، ياقوت ٣/٦٠١ .

(١١٦) ياقوت ٢/٨١١ .

(١١٧) ثعلب : مجالس ثعلب : ١/٣٥٢ ، الاصطخري : مسالك الممالك : ٢٢ ـ ٢٣ ، الاقاليم : ١٢ ـ ١٣ ، البكري : معجم ما استعجم : ٨٧ ـ ٨٨ .

(١١٨) لغدة : بلاد العرب : ٣٥ .

(١١٩) ن. م./ ٣٤٣ ، ديوان الحطيئة : ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(١٢٠) لغدة : بلاد العرب/ ٣٤٣ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب/ ١٣٧ ، المسعودي التنبيه والاشراف/٣٩٢ .

(١٢١) الازهري : تهذيب اللغة ٥/١٦٨ ، انظر لسان العرب : ١٤/١٧٧ ، القاموس المحيط : /٣١٧ ، ياقوت ١/١٤٨ ، شيخ الربوة : نخبة الدهر/٢٢٠ ، تقويم البلدان : ٩٩ ، مراصد الاطلاع ١/٣٠ .

(١٢٢) لغدة : بلاد العرب : ٣٤٤ ، انظر ياقوت ٢/١٥٧ .

(١٢٣) لغدة : بلاد العرب : ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ، انظر ياقوت ٤/٣١٣ ، وفي معجم ما استعجم : ١١٣٦ كنهل ماء لبني عوف بن عاصم بن ثعلبة بن يربوع .

(١٢٤) لغدة : بلاد العرب : ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ، الهمداني : صفة جزيرة العرب : ١٣٦ ، ياقوت ٣/٣٨ ، الازهري : تهذيب اللغة ١٢/٣٨٢ .

(١٢٥) الغدة : بلاد العرب : ٣٤٧ ، انظر معجم ما استعجم : ١٠٤٤ ، ياقوت ٤/١٧ .

(١٢٦) لغدة : بلاد العرب : ٣٤٧ .

(١٢٧) ابو عبيدة : النقائض : ١/٢٠٥ ، لغدة : بلاد العرب : ٣٤٨ : الهمداني صفة جزيرة العرب ١٣٧ ، معجم ما استعجم : ١٢٩١ ـ ١٢٩٢ .

(١٢٨) النقائض ١/٤٨٢ ، معجم ما استعجم : ٧٧١ ، ياقوت ٣/٢١١ .
(١٢٩) لغدة : بلاد العرب : ٣٥٠ ، وحمان هو حمان بن عبدالعزي بن كعب بن زيد مناة بن تميم . ابن الكلبي : جمهرة النسب : ٧٥ .
(١٣٠) لغدة : بلاد العرب : ٣٥٠ ، وربيع هو ربيع بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ابن الكلبي : جمهرة النسب/٧٦ .
(١٣١) لغدة : بلاد العرب : ٣٥٠ ـ ٣٥١ ، انظر معجم ما استعجم : ١٢٢٨ ، الازهري : تهذيب اللغة ١٠/١٦١ .
(١٣٢) النقائض : ٢/١٠١٧ .
(١٣٣) الازهري : تهذيب اللغة : ٩/١٠٨ ـ ١٠٩ .
(١٣٤) الحربي : المناسك/٦٢١ .
(١٣٥) لغدة : بلاد العرب/٢٩٦ .
(١٣٦) ن . م . ، ياقوت ٢/٤٧٢ .
(١٣٧) لغدة : بلاد العرب : ٣٥١ .
(١٣٨) ابو عبيدة : النقائض : ١/٢١٤ ، ٢/٧٨٠ ، لغدة : بلاد العرب/ ٣٥٤ ، انظر ياقوت : ٢/٨١٣ .
(١٣٩) لغدة : بلاد العرب : ٣٥٤ .
(١٤٠) ن . م . انظر البكري : معجم ما استعجم : ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ، ياقوت ١/٩١٧ .
(١٤١) لغدة : بلاد العرب/ ٢٩٧ .
(١٤٢) ابو عبيدة : النقائض : ١/٢١٤ ، لغدة : بلاد العرب : ٢٩٦ ، وفي معجم ما استعجم : ٣٢٦ ، ٧٧٥ ـ ٧٩٩ طويلع لبني اسيد بن عمرو بن تميم ، وفي ياقوت ٣/٥٦٣ طويلع لبني يربوع من تميم .
(١٤٣) لغدة : بلاد العرب/٣٥٤ ، وفي ياقوت : ٢/٤٦ الجرباء لبني سعد بن زيد مناة .
(١٤٤) لغدة : بلاد العرب/٢٩٧ .
(١٤٥) النقائض ١/٢١٤ ، وفي لغدة : بلاد العرب/٢٥٢ انها لبني كعب بن العنبر ، وفي البكري : ١١٦٣ انها لعبد شمس بن تميم واخرجتهم منها بنوكعب بن العنبر .
(١٤٦) النقائض : ١/٢١٤ ، لغدة : بلاد العرب : ٣٥٥ ، ديوان الفرزدق : ١/٦٩ ، ٧٢ ، «طبعة دمشق» ، وفي معجم ما استعجم/١١٦٣ ، ياقوت : ٤/٣٥٦ انها لبني يربوع .
(١٤٧) ديوان الفرزدق : ١/٢٨ «طبعة دمشق» .
(١٤٨) اليعقوبي : اتاريخ ١/٢٣٢ ـ ٢٣٣ .
(١٤٩) الهمداني : صفة جزيرة العرب/ ٢٠٩ .
(١٥٠) البكري : معجم ما استعجم : ٨٠ ـ ٨١ ، انظر الميداني : مجمع الامثال ١/٤٨٢ .
(١٥١) عن هجرة عبدالقيس الى البصرة بعد الاسلام انظر العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري : ٤٢ ، ١٤١ (الطبعة الثانية) .
(١٥٢) المسعودي : مروج الذهب : ١/١١٠ ، البكري : المسالك والممالك ورقة ١٠٥ وبنو معن : من الازد بطن من دوس بن عدنان ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب : ٤٧٣ .
(١٥٣) ديوان الفرزدق : ١/٥٤ (طبعة دمشق لسنة ١٩٦٥) .

من العقير

إلى خرائب

فى اوائل ربيع عام ١٩٢٠ ، ونظرا لتغيب السير بيرسى كوكس عن بغداد لحضور مؤتمر السكرتيرين للمستعمرات الذى عقد فى القاهرة ، تمكنت من الحصول على اجازة للقيام بسفرة مفيدة حول الخليج العربى ، كى ازور بعضا من الجزر ، واتقصى تحركات الطيور المهاجرة ، وكنت متشوقا لان اكشف واحدا من المسالك الرئيسية التى تسلكها الطيور حينما تهجر مواطنها الشتوية فى افريقيا ، لتستقر حينا فى اماكن تفريخها فى ايران والقوقاز مارة بشبه الجزيرة العربية عبر الخليج العربى ، وهذا الذى رغبنى فى ان ازور الساحل العربى فى مشروعى السياحى .

(للكابتن ر . ا . جيسمان)

وفى مساء سفرى اقترح السيد (ج . فيلبى) ، بأن يقع اختيارى على شاطىء الخليج بالقرب من البحرين ، الذين يتجه جنوبا الى العقير ، والذى يلفظ محليا العجير مشكلا خليج سلوى ، وبذلك يمكننى ان ازور هذا الجزء من الخليج الذى لم يزره اوربى قط ولم ترسم له خرائط . مع ان Burchardt قد مر بسلوى من طريق اخر عام ١٩٠٤ وقتل بالقرب من الحديدة تاركا وراءه بعض المعلومات عام ١٩٠٩ وعزمت وانا فى طريقى الى البصرة ، ان استعير الالات الضرورية التى تمكننى من وضع خريطة للمنطقة ، وكان قسم الاعمال المدنية قادرا على تجهيزى بمزواة (آلة لقياس الزوايا) ذات الست بوصات ، وقد باءت جهودنا بالفشل فى العثور على ساعة جيب



سلوى

اوتوماتيكية .

وسافرت على ظهر الباخر Nearchus احدى البواخر الملكية الهندية البحرية ، مع ادواتي وساعة اوتوما تيكية كبيرة لاحدى البواخر ، عثر عليها فى دوائر النقل المائى الداخلى .

نزلت البر فى البحرين في ٢٤ مارس ، واثناء التهيؤ للسفر استضافنى المقيم السياسى البريطانى فى البحرين الميجر (Daly) . وارسلت برقية الى حاكم الاحساء (عبدالله بن جلوى) ، ممثل سلطان نجد فى الهفوف ، طالبا السماح لى بالتجول فى مقاطعته مفتشا عن الاثار ، فتم لى ذلك مع توفير بعض الحرس والجمال لتتم الرحلة على طول ساحل (سلوى) .

وكان من الضرورى ان استأجر قاربا شراعيا ، لكى يرافقنى فى سفراتى اليومية ، لكثرة ما كان معى من الات ، وكى ينتظرنا فى مكان نعينه كل مساء .

وفيما يخص حاكم البحرين الشيخ (عيسى بن علي آل خليفة) ، فقد حكم ما يقارب الاربعة والخمسين عاما ، وخلال وجوده على رأس المشيخة ، ونظرا لمتاعب الشيخ طيلة حكمه هذا ، فقد تنازل عام ١٩٢٣ عن الحكم لنائبه وهو ابنه الشيخ (حمد) .

ان البحرين هى الاكبر فى مجموعة الجزر فى الشاطىء الجنوبى الغربى من الخليج وتأتى اهميتها التجارية من موقعها فى وسط منطقة استخراج وصناعة اللؤلؤ . وفى اوائل صيف كل عام كانت تتجمع هنا ، ومن جميع القرى الساحلية والجزر فى الخليج العربى ، ألوف القوارب الشراعية ـ ثم ينزل الغطاسون داخل المياه لجلب المحارات التى تفتح فيما بعد لاستخراج اللؤلؤ منها . وكان لتجار اللؤلؤ ممثلون فى البحرين حيث ينتظر هؤلاء وصول القوارب الى البحرين ليشتروا اللؤلؤ بثمن يقل عما هو عليه فى بومبى او باريس . وكانت تجارة اللؤلؤ قبل الحرب ، فى معظمها ، بيد الالمان . وللبحرين تجارة مع

الهند واواسط شبه الجزيرة العربية . وبالنظر لضحالة المياه في شاطىء البحرين ، فان البواخر كانت ترسو بعيدا عنه بأربعة اميال ، ثم يحمل الركاب والتجاره في قوارب شراعية صغيرة الى الشاطىء .

اما سوق المدينة فواسع وفيه تباع الاقمشة القطنية الهندية والانكليزية (من مانشستر) وينتشر فيه الحائكون والصفارون ، والمقاهي . والذين كانوا يمارسون التجارة اغلبهم من الايرانيين والهنود والعرب . كما يوجد فيها فرع للبنك البريطاني ، وممثل لشركة (British India S. S.) ، كما توجد مبشرية امريكية مع قس وطبيب ومستشفى وكنيسة .

كان الشيخ عيسى في قصره الشتوي في جزيرة (المحرق) ، وعلى رصيف الجزيرة ستة مدافع ، تستعمل فقط لاطلاق التحيات . وكان ينتظرني هناك فرس سوداء وخادم . وبعد ان امتطيت الفرس ، اخترقت السوق ، حيث كان الناس يقفون احتراما ، كعادتهم عندما يشاهدون الزي الرسمي لخدم الشيخ . وبعد ان استقبلني الجميع بكلمة (السلام عليكم) ، استقبلني الشيخ بملابسه البهية وسيفه المطعم بالفضة ، وشربت بمعيته ، القهوة والشراب الممزوج بماء الورد ، فيما كان الدخان يتصاعد من خشب الصندل علامة على الترحيب والفرح .

هناك ثلاث صفات طبيعية ذات فائدة في البحرين . ينابيع الماء العذبة ، والتلال القديمة ، وتل بركاني يدعى جبل الدخان Dukhan اما مياه الينابيع العذبة فيعتقد بانها تنحدر من مرتفعات شبه جزيرة العرب ، ونظرا لقلة الامطار الساقطة وعدم كفايتها لري البساتين والحدائق ، فان الزراعة هنا تعتمد اساسا على تلك الينابيع . وتمتد بعض اشجار النخيل على الشاطىء الشمالي ، مع بساتين الرمان والبرتقال ، زيادة على الطرفاء والتمر هندي الذي ينمو مع اللوز الهندي ، والزراعة هنا تعتبر كهواية من قبل الاثرياء ، اكثر مما هي صناعة .

ان الاسماك الصغيرة - لكثرتها - تجفف في الشمس ، وتستعمل كغذاء جيد للماشية التي تدر لبنا وزبدا ممتازين .

والتلال التي تمتد لبضعة اميال ، ذات اشكال مخروطية ، صغيرة ومتباعدة بعضها عن البعض الاخر ببضعة اقدام ، ويتجاوز عددها مئات الالوف . اما التلال الكبيرة فقليلة العدد ، وتحتوي على بنايات صخرية لاشكال بدائية .

وقد قام المستر F.B.Prideaux المقيم السياسي السابق ، بتسجيل بعض الملاحظات والمشاهدات ، فوجد بعض الهياكل البشرية والانية الخزفية في قسم منها ، ويعتقد ان اصلها (فينيقي) حسبما يعتقده معظم علماء العاديات .

ان جبل الدخان ، الذي يبعد (١٦) ميلا جنوبي ميناء البحرين ، يعتبر كعلامة جيدة لارشاد السفن في البحر . وترتفع قمته نحو (٤٤٠) قدما ، ويتكون معظمه من صخور بركانية ، ولا شيء يجلب الانتباه فيه ، عدا طير (ابو بليق) وكهف يأوي اليه القراصنة ، كما ان الممر المؤدي اليه منخفض جدا ، ويمكن ان يجتاز بالزحف نحو عشرين ياردة ، مؤديا الى غرفتين دائريتين ، علو كل منهما تسعة اقدام وبعرض ستة اقدام .

في ٢٨ مارس جاء الينا عبد العزيز القصيبي ، مالك السفينة المحلية والتاجر صاحب السفينة (احمد) وأعلمانا ان كل

شيء اصبح جاهزا للبدء بالرحلة .

كانت السفينة محملة بالقمح ، وبعض الركاب متوجهين الى اواسط الجزيرة العربية

وبعد وصولهم الى العقير ، ستكون السفينة وبحارتها في خدمتي ، لنتابع الرحلة . وقد ظهر لي بان احمد كان قد سافر في جهة (سلوى) منذ عشر سنين خلت ووصفها كبحر ليس فيه ملجأ للسفن من الرياح العاتية ، وقال بانه قد سمع بخرائب (سلوى) التى لم تكن كثيرة ، وتزورها دائما القبائل البدوية ، وان الماء العذب مشكوك في وجوده ، ويجب علينا ان نتزود به .

وفي الساعة السادسة من صباح اليوم التالى ، كنا لانزال داخل ميناء العقير ، ونبعد بثلاثة اميال عن الرصيف . وقد سجل المحرار درجة (٦٣) ، وكانت الرطوبة عالية بحيث ان كل شيء كان مبللا . وبعد فترة وصل امير العقير ، عبدالرحمن ، الذى كان متقلدا سيفا عربيا طويلا ، يصحبه بعض الحراس المسلحين . وبعد ان احتسينا القهوة في غرفته ، اخبرنى بأنه كان يتوقع مجيء الجمال من حاكم (الحسا) هذا اليوم او الذى بعده ، كما اعلمنى ان اقامتى في القارب تكون اكثر راحة لي من بيته . واضاف بان الطريق الى سلوى صعب جدا ويستغرق اربعة ايام ، ولا يوجد اي ماء في طريقنا .

كان الساحل مفتوحا ، مغطى بالرمل المرجانى والطفل ، مع امتدادات قليلة مسطحة ، مكونة من الصخر البركانى في ذات المستوى . وكانت الارض جدباء لا تغرى بأي حياة للحيوان . وقد شاهدت طيورا مختلفة على الشاطىء مثل Agama وبعض الحرباوات والارانب الصحراوية ، اضافة الى بعض انواع الطيور المسماة (الشادى) و(الخطاف) و(الهدهد) وقد تأكد لي من الملاحظة بان هذه الطيور المهاجرة ، تستعمل هذا الطريق عندما تضل طريق الهجرة ، لانه يشك في امر احتمالها المناخ القاسي هنا بسبب جدب الارض . وقد شاهدت ايضا بعض انواع الخلد .

وفي الساعة السابعة والنصف من صباح اليوم التالى ارتفعت الحرارة الى (٧١ درجة) وقد وصلنا رسول يفيد بأن الجمال قد وصلت من الهفوف وفي مقدمتها محمد سالم جندى ابن جلوى ، يرافقه ثلاثة جنود مسلحين مع جمل لركوبي واخر لمهدى ، خادمي من بغداد .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر من يوم الثلاثين من مارس ركبنا الجمال متجهين جنوبا بعد ان ودعنا الامير . كان البحر عن يسارنا وكثبان رملية تحجب النظر اذ كانت تبعد عنا بحوالى (٨٠٠) ياردة . وكان الاتجاه العام للساحل جنوبيا شرقيا بخليج دائرى ، يتبعه خليج مشابه اخر وهكذا بدون علامات تميز الواحد عن الاخر . وبعد ان وصلنا الى مستعمرتنا قررت ان المح عن بعد (عقير) . ان الرأس الاول لميناء عقير كان رأس Sufaira والثانى كان مقابل جزيرةZakhnuniyaمكونا من تلال رملية تدعى رأس أم العوى Ras Umm Alawa واقمنا هناك بانتظار السفينة . وقد ظهر لي بان هناك قرية تضم (٢٠) بيتا حجريا على الساحل الغربي ، وليس هناك اي وجود للنخيل ولكن توجد بضعة جمال تتجول هنا وهناك حيث توجد حشائش قليلة جدا . وقد شاهدت نوعا من الطيور الصغيرة السوداء ، وحصلت على بعض من بيضها من جزر الخليج العربي . وقد وصلت

السفينة حسب البرنامج المقرر ورست على بعد نحو ربع ميل من الشاطىء لان الماء كان ضحلا والقاع مكونا من الصخور المستوية .

وفي المساء تناولت الطعام المكون من الارز والتمر واللحم والخبز غير المختمر ، مع البحارة .

وفي صباح اليوم التالى سقطت زخات مطر قليلة ، وتحولت الرياح الى الاتجاه الشمالى الشرقي . وتحركنا في الساعة السابعة والنصف صباحا وكان الجرف في تلك الليلة مقابل مكان يدعى Hashm) Husaini خشم الحصينى) ولكننا لم نصله حتى الثانى من شهر ابريل بسبب ان الجماعة لم تعرف موقعه بالضبط . وكان راس أم العوى يرى من جهة الشمال الشرقى متصلا بجزيرة زخنونية Zakhnuniya. والنهاية الجنوبية للجزيرة كانت اقرب الى الراس الشمالى من (عظيم Udhaim) مع قنال ضيقة عمقها ٤,٥ قدم . واثناء الاستراحة تحدث الجندى سالم عن اكتشافه آثار اقدام لارنب ، ومن خلال تفتيشنا عن آبار المياه بالقرب من جبل ام عويدة Jabal Umm Uwaidh ظهر سالم وهو يتأبط الأرنب ، وبعد فحصه وجد بأنه من جنس جديد وسمي بـ Lepns omanensis cheesmani من قبل المستر أولدفيلد توماس Old Field Thomas .

وبعد مسيرة رأينا تلال قطر Qatar للمرة الاولى ، وسرنا بقية النهار على طول الشاطىء ذى الرمال البيضاء ، متلفتين وراءنا علنا نشاهد احمد وقاربه .

وفي الرابعة والنصف توقفنا لفحص اثار معسكر قديم متوقعين وجود ابار هناك ، وفعلا عثرنا على بئرين عمق كل منهما اثنا عشر قدما . ونزل احد الرجال الى احداهما فوجدها جافة ، بينما تحتوى الاخرى على قليل من الماء العذب . لقد فكر محمد انه اذا ما تابعنا الرحلة ، بمشيئة الله ، فسوف نجد السفينة ، ولكننى قررت ان اخيم هناك ، واشعلنا النيران وصنعنا الخبز ، ومع كمية قليلة من التمر ، كان عشاؤنا ذلك اليوم . وقبل انتشار الانوار الوردية لليوم التالى ، شاهدنا قبرة صحراوية (السماق Ammomanes) وعند اصطيادها توقعنا بانها تعود الى جنس جديد ، وللاسف لم نجد غيرها . وبعد ان ارخى الليل سدوله ، اتانا رجلان يحملان قربة ماء واخبرانا بان السفينة راسية على بعد اربعة اميال ، وبعد مشي ناهز الساعتين من الصباح التالى ، وصلنا اليها ، فدلفت الى داخلها ونصبت الساعة . وكان احمد قد وصلها قبلنا لمصادفته ريحا مواتية . وكان الماء شفافا لضحالته ، حيث كان السمك يرى بالعين المجردة متجولا فاصطاد الرجال بعضا منه . وللمرة الاولى منذ ان تركنا العقير ، وردت الجمال بالماء ، ثم تابعنا المسيرة في خلجان رملية مرجانية ، تحلق فوقنا طيور (العزيراء Pipits) و(السنونو) الى ان وصلنا الحويجل Hawaijil) . وقد رست السفينة مبتعدة عن الشاطىء بنحو ربع ميل حيث المياه العميقة ، وهذا الخليج مشهور في البحرين كملجأ للسفن من الرياح العاتية . وكانت الطرفة نامية هناك تلجأ اليها (الجبينة Agama) بألوانها الزاهية ورقبتها الأرجوانيه وذيلها الاحمر ، وقد استطعت صيد اثنتين منها . وقد تذوق جماعة الجمال السمك لاول مرة ، اذ كانوا قد رفضوا اكله ، ولم يقرروا فيما اذا كان اكل السمك المعلب حلالا أم حراما .

وعندما بدأ محمد حسن بتناوله ، تابعه

حالا جميع الاخوان وفي الايام التالية ، صاروا يطلبونه بالحاح ورغبة شديدة .

وفي الثاني من ابريل وصلنا الى خشم الحصيني ، حيث يرتفع نحو ١٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر وقد اخذ اسمه لشبه بين شكله وانف الثعلب . ثم توجهنا جنوبا الى ان وصلنا الى خليج صغير سماه احمد (دوحة حمر Dohat Hamar)

وقد مررنا خلال النهار بقافلة صغيرة من البدو ، مكونة من حمار وجملين وبضع شياة ، تسير بالاتجاه الشمالي ، متبعين طريق الحسا ـ قطر . وقد شاهدنا ايضا مجموعة من الطيور المهاجرة تختلف في الوانها وانواعها .

وفي الثالث من ابريل وصلنا منطقة تبعد عن (سلوى) بمسيرة نحو ثلاث ساعات وبعد ان اجتزنا الرابية الاولى ، اشار محمد الى هدف غير واضح في الافق مدعيا بانها اشجار نخيل سلوى . وفي الجهة الغربية كانت هناك تلال عديدة اطلق عليها احمد اسما عاما هو (جبل صخول Jabal Skhul) . وفي وسط التلال يمر طريق القوافل الحسا ـ قطر . كما وجدت اثار ضبع بالقرب من النخيل ، وللاسف لا توجد في المنطقة اية ابار للمياه . وبما ان البروز الجنوبي للخليج ربما كان مصبا لوادي سحابة (صحابة Sahaba) ، فقد فحصت الارض بامعان املا في ان نجد اصدافا تعيش في الماء العذب او تكوينات رسوبية ولكني وجدت اصدافا بحرية ومرجانية فقط . وكانت اشجار النخيل بالقرب من الساحل البحري ولم اتمكن من رؤية اي مصدر للمياه العذبة هناك . وكانت الرابية الثانية على يسارنا ، وعند توجهنا الى الثالثة كانت هناك أربع أبار ، فبركت الجمال

ونصبنا الخيام . وقد قادني محمد الى الجانب الاخر من النخيل حيث الخرائب فوجدناها اكبر مما توقعت انا في التقارير السابقة . احتوت هذه الخرائب على اسوار مستطيلة الشكل طولها (٩٥) ياردة وعرضها (٧١) ياردة ، وكانت الاسوار ذات سمك يقدر بـ (٦) اقدام ، مبنية من الصخور . ويمكن للزائر ان يستدل بسهولة على البرج والقصر الداخلي حيث علو الاسوار اربعة اقدام ، وعلو البرج اثنا عشر قدما . وكانت البئر تتوسط الساحة الكبيرة المبلطة بالصخور . كما وجدت قطعا قليلة من الفخار والرخام وبعض الاثار التى اكتشفت على عمق ٢ ـ ٣ قدم ، وارسلت جميع هذه الاشياء الى الدكتور هو جارث Dr. Hogarth الذي قدم تقريرا عنها فأشار الى ان الفخار والفرفوري والزجاج تدل جميعها على وجود استيطان عربي اسلامي متأخر ، له علاقات تجارية مع الساحل الشرقي للخليج العربي. ويحتمل ان هذا الاستيطان يرجع الى العصر الكندي Kindi في نحو القرن السادس بعد الميلاد . ولكن هذا الوصف يعطي فكرة عن اماكن الماء والمدرج ولا يمكن ان يكون اكثر من ذلك .

وفي نفس الوقت جاءت جماعة من العرب مع اثنى عشر جملا الى الابار ، وكانوا راجعين من قطر بعد ان باعوا (الدهن Dihin) متجهين الى الحسا ببضاعة تجارية ايضا .

وكان اثنان منهم ينتسبان الى قبيلة عنزة Anaiza واربعة اخرين من الجنوب وقد تبادلنا الاحاديث والاخبار معهم خلال ارتشاف القهوة .

تبعد سلوى بمسيرة ثلاثة ايام بواسطة

الجمال عن قطر، واربعة ايام عن الحسا ـ كانت الابار التى عمقها ستة اقدام ذات رائحة كريهة، تنتشر الاملاح حولها، وقد شربنا منها على مضض. لانه ليس هناك من يهتم بأمر نظافتها، كما وجدنا طائرا بحريا ميتا في احداها، وجثة جمل ميت بالقرب من الاخرى، وفي اثناء ذلك سقطت زخات مطر استمرت لفترة قصيرة.

وفي الساعة السابعة مساء، شوهد زوج من الغربان Ravens حول المخيم وعدة قبرات في المنطقة المجاورة. وبعد ان وصلنا سلوى كان الجميع يرغبون في مواصلة السفر، لكنني كنت قد فكرت في القيام بجولة في دائرة قطرها (٥) اميال في اليوم التالى، لاتحرى بعض الخرائب التى كانت بالقرب من التلال.

وفي الساعة الخامسة مساء من اليوم الرابع لابريل، تجولنا (انا ومحمد) على طول ساحل البحر بالاتجاه الشرقي، وبعد فترة قليلة نبهني محمد الى خرائب اخرى مع الواح من الصخر يمكن القول بانها تعود الى نفس العصر. ثم تقدمنا على طول الساحل وبعد ثلاثة اميال من بدء الجولة، اتجهنا جنوبا مارين بطريق قطر ـ سلوى، وقد برز امامنا سهل رملي ابيض، ثم استرحنا وارتشفنا القهوة. وقد اصطاد سالم في هذه الاثناء طائر الكروان الذى يدعى (ابن حبارة) وقد كان باهت اللون. ثم تركنا المنطقة متوجهين نحو الهفوف، وغيرنا مجرى السفينة نحو قطر بعدئذ مقلعين ببعد ١,٢٥ ميل عن الشاطىء. وقد افادني تغيير مجرى السفينة عدة مرات لاحصل على صورة واضحة للجانب الشرقي من الخليج حيث كان شاطئه واطئا تمتد على طوله تلال رملية حيث تشرف مباشرة على البحر في الجانب الشمالى. وكان الخليج ضحلا، حيث كان عمق الماء في بعض مناطقه لا يزيد على (٤) اقدام، وقد قام احد الرجال بسحب السفينة الى مكان اعمق. وخلال رجوعنا امعنت النظر في مواقع التلال والرؤوس البحرية وغير ذلك من الظواهر التى مررنا بها.

وحينما كان موقعنا على جانب قطر، في الساعة الثالثة بعد الظهر، فوجئنا بريح شمالية، وبما ان الساحل كان مستقيما، فلم نستطع العثور على خليج نلجأ اليه فدعا احمد جماعته الى الصلاة متضرعين الى الله ان يسكن هذه الريح، وبقينا على هذه الحالة قرابة اليومين حيث هدأت الريح فتابعنا الرحلة نهارا، ثم في المساء رسونا قريبا من الشاطىء الشمالى (دوحة حويجل Dohat Huwaigil) حيث بتنا ليلتنا هناك. وفي نهار اليوم التالى كنا قد تجاوزنا جزيرة (Anaibar) بنحو ميل، وهي عبارة عن مناطق رملية جرداء ترتفع بثمانية اقدام عن سطح البحر.

وفي السابع من ابريل كنا في دوحة حويجل، حيث صادفنا بعد الظهر ريحا مواتية حملتنا الى نفس الطريق بين ام عويدة وساحل قطر، وكانت بعض الاسماك تسبح على وجهها ولم نتمكن من اصطيادها.

وفي الساعة الخامسة مساء، كانت الريح تهب شرقا حيث دفعت السفينة شمالا الى وسط البحر، حيث مررنا بجزيرة Zakhnuniya، وكنا نأمل الوصول الى البحرين في الصباح التالى.

وفي الساعة العاشرة والنصف مساء بينما كنت اراقب مجموعة الدب الاكبر في السماء، سمعت صراخ بعض (النوتية)

بانزال الشراع حيث تبين باننا كنا بالقرب من رأس البحر في النقطة الجنوبية من جزيرة البحرين . ولم نخاطر بالسفر ليلا ، وفي صباح اليوم التالى كنا بالقرب من رأس رملي يتدرج بالانحدار جنوبا في البحر ، ومن حسن الحظ كانت الريح الشرقية لازالت تهب حيث وصلنا الى مرفأ المنامة في البحرين بعد الظهر .

دراهم ساسانية

من جزيرة تاروت

اعداد على صالح المغنم

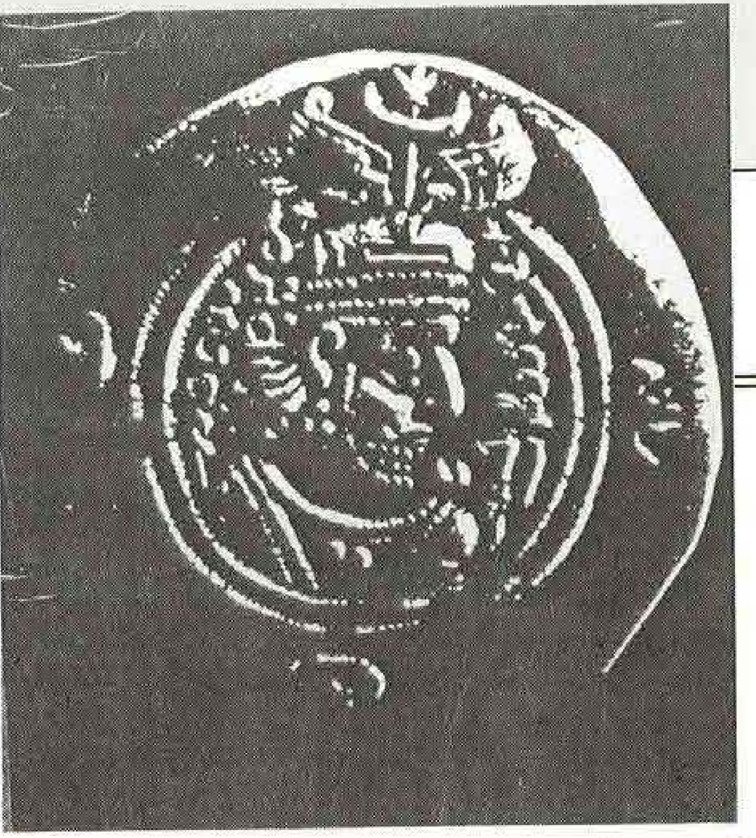
اخصائي الآثار بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية

اكتشفت الشركة المنفذة لأعمال المجاري بمنطقة القطيف دراهم فضية ساسانية بمحض الصدفة في ١٥ رمضان ١٤٠١ هـ الموافق ١٦يولية ١٩٨١ م بالجزء الشرقي من قصر العبد الوهاب بدارين في طرف التل الأثرى الذي يقوم عليه القصر .

وكانت تلك الدراهم بحرز فخارى (جرة فخارية لم يتبين حجمها لعدم وجود ما يوصل الى ذلك) ويوجد لدى قسم الآثار بعض الكسر الفخارية من نفس الطبقة التي وجدت المسكوكات بها .

وكان للاكتشاف العشوائي الأثر الكبير في ضياع معظم محتويات الكنز وتمكن قسم الآثار بالمنطقة الشرقية من تجميع بعض القطع من الحفرية نفسها ومن الشركة التي عثرت عليها ومن المواطنين الذين دفعهم الفضول الى جمع بعض منها وكانت الدراهم الفضية متأكسدة بفعل الرطوبة على هيئة كتل متلاصقة وأرسلت للادارة العامة للآثار لمعالجتها واحتفظ قسم الآثار بالشرقية ببعض القطع وأجريت هذه الدراسة المتواضعة على ست عشرة قطعة سليمة .

ومن خلال الدراهم الساسانية حاولت القاء الضوء على جزء هام من المملكة العربية السعودية لابراز الدور التجاري الذي لعبته جزيرة تاروت .. وحاولت التعريف بتاريخ جزيرة تاروت ومواقعها الأثرية الهامة وايضاح ما قد يلتبس على القارىء حول استقلالية بلاد البحرين خلال فترة السيادة الساسانية والدور الذي لعبته في مجال التجارة قبيل الاسلام .



الأهمية الجغرافية والعراقة التاريخية

جزيرة تاروت :

تاروت جزيرة في شرق المملكة العربية السعودية بالمنطقة الشرقية فيما عرف قديما ببلاد البحرين (البحرين اسم جامع لبلاد واسعة على ساحل البحر الواقع بين جزيرة العرب وبلاد فارس ممتد من البصرة شمالا الى عمان جنوبا ومن الدهناء غربا الى البحر شرقا) (الحموى معجم البلدان) .

وقد لعبت تاروت دورا هاما في التاريخ القديم للخليج وهي من المراكز التجارية التي ازدهرت خلال القرن الثالث ق. م وشهدت استيطانا منذ القدم وخلال ازدهار حضارة بلاد الرافدين .

وقد حافظت تاروت على اهميتها التجارية خلال حقب تاريخية طويلة فكانت من مراكز التسويق القديمة بالبلاد وعرفت عند الكتاب الكلاسيكيين باسم «ثارو» وكانت مركزا لتجارة الهند وشرق ايران وعمان وبلاد الرافدين وجنوب جزيرة العرب .. ووفرة الماء بالجزيرة وطدت لعملية استيطان مستمر وظهور نشاط زراعي كما ان الموقع الاستراتيجي لها ساعد على قيام نشاط تجاري ومن خلال ما أثبتته الأبحاث الأثرية أمكن التعرف على الأنشطة البشرية التي مارسها سكان الجزيرة كصيد الأسماك والطيور وتجميع القواقع البحرية وصيد اللؤلؤ الذي اشتهرت به جزيرة تاروت وكان لتجارة اللؤلؤ أهمية بالغة منذ القدم لدى بلاد الرافدين منذ الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق. م وقد

بقيت هذه الحرفة لدى الكثير من سكان دارين وسنابس والربيعية والزور حتى وقت قريب ولا زال الطواشون «باعة اللؤلؤ» يتاجرون فيه حتى كسدت تجارته .

وحصيلة النشاط البحري والزراعي أوجدت تبادلا تجاريا هاما بين سكان الجزيرة نفسها وسكان واحة القطيف وأوجدت تمازجا في التبادل التجاري بين المشتغلين بأعمال البحر والأعمال الزراعية وهذا بدوره استقطب تجار البحر الذين اتخذوا من الجزيرة مركزا لهم لتوسط موقعها البحرى ونشاطهاالاقتصادي الداخلي والخارجي .

وبجزيرة تاروت عدة تلال أثرية بأماكن متفرقة تكثر بها المحتويات الأثرية وعثر بها على قطع لأوان فخارية تعود الى الألف الثالث قبل الميلاد كما ان هناك ملتقطات تعود لفترات مختلفة عثر عليها بالجزيرة وتتشابه مع ما عثر عليه ببلاد الرافدين .. والحضارات المجاورة في عمان وجزيرة البحرين وايران، وعثر على قطع لعملات مختلفة، ومنها ما عثر عليه بدارين من المسكوكات الساسانية، كما عثر على عملات لفترات العصر الاسلامي المختلفة وبالرفيعة «تل أثري رملي بين المزارع» عثر عل تمثال من الحجر الجيري يرجع تاريخه لعام ٣٠٠٠ ق. م وأوان فخارية تعود لحضارة ام النار بأبوظبي في الألف الثالث ق.م .

ويتوسط الجزيرة تل أثري هام تعلوه القلعة البرتغالية ويحتوي هذا التل على طبقات أثرية مختلفة وقد ثبت علميا ان هذا التل يحتوي على طبقات استيطان ترجع للألف الثالث ق. م (د/ عبدالله مصرى ١٩٧٣ م) واثبتت البعثة الدانمركية ان تاروت موطن حضاري منذ الدور الفيوليثيك، وهناك مواقع اثرية عل شكل تلال رملية بداخل المزارع كتل الربيعية. وتلال الزور كما ان الاستيطان المستمر جعل من هذه الجزيرة تلا اثريا بشكل عام .

بلدة دارين :

ودارين ميناء جزيرة تاروت ويحتل الجزء الجنوبي الشرقي من الجزيرة وهي ايضا عبارة عن تل أثري يحتل منطقة الجنوب المشرفة على البحر ومن معالمه البارزة قصر العبدالوهاب الذي ينسب لتاجر اللؤلؤ محمد العبدالوهاب ويمثل فترة ازدهار تجارة اللؤلؤ وأرخت بوابة هذا القصر ١٣٠٣ هـ.

وقد عثر على مسكوكات فضية تمثل دراهم ساسانية ترجع لفترة قبيل الاسلام بالجزء الشرقي من القصر وذلك عندما تعرض هذا الجزء من التل الاثري المقام عليه القصر لأعمال حفريات المجاري في شهر رمضان عام ١٤٠١ هـ وهذا الكشف الأثارى يبين لنا اهمية جزيرة تاروت وميناءها دارين الذي عرف منذ القدم، ففي معجم البلدان : دارين فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند والنسبة اليها داري .

ويورد الحموى أن المسلمين اقتحموا الى دارين البحر مع العلاء الحضرمي فأجازوا ذلك الخليج باذن الله جميعا يمشون على مثل رملة ميناء فوقها ماء يغمر اخفاف الابل (معجم البلدان المجلد/ ٢ ص ٣٣٢) .

ودارين اليوم من الأماكن ذات الطابع التاريخي بالمنطقة الشرقية ومن المواقع الأثرية

المسجلة لدى ادارة الآثار والمتاحف وبها أنماط تاريخية كثيرة تلفت نظر الزائر لهذه البلدة الصغيرة فتشعره بعراقتها التاريخية وتشده لماضيها التليد، لتجارة اللؤلؤ وصيادي الأسماك وأعمال بناء السفن واصلاح القوارب الشراعية والأعمال الزراعية وحركة البيع والشراء والسماسرة والأسواق التجارية .

فالزائر يسبح في لجة أفكاره التي تنقله بعيدا وتضفي الطبيعة البحرية جمالا خلابا على هذه البلدة وتعطيها العراقة هوية خاصة فتزيد من جمال الطبيعة وتعمق حب الانسان لتلك الأرض وترتسم صورة انسان الجزيرة عبر التاريخ في صراعه مع الحياة ان هذا الجزء كأي جزء من أجزاء الجزيرة العربية صفحة من صفحات الماضي تقرأ فيها تاريخ انسان الجزيرة .

الساسانيون وطموحهم السياسي والاقتصادي في بلاد البحرين

لقد شهدت منطقة الخليج العربي تقدما حضاريا منذ ظهور حضارة بلاد الرافدين وازدهارها خلال الألف الثالث ق.م ومن تلك الحضارات حضارة الدلمونيين في بلاد البحرين. واحتضنت بلاد ايران حضارات قديمة خلفت أدلة مادية سجلت الكثير من معطيات التقدم الانساني ومن تلك الأدلة المسكوكات التي تعتبر من الوثائق الهامة لعملية التاريخ .

وقد عرفت الدراهم الفضية في عدة حقب تاريخية فهناك المعروف منها وغير المعروف حتى الآن ومن الدراهم المعروفة في بلاد ايران ما ينسب للعصر البارثي وهى الدراهم الفضية التي استخدمت في عهد مترادتس الأول ومترادتس الثاني ٨٨ ـ ١٢٣ م وهناك الدراهم الفضية الساسانية منها ما يرجع عهده لزمن اردشير الأول ٢٢٤ ـ ٢٤١ م وعهد سابور الأول ٢٤١ ـ ٢٧٢ م، وكانت بلاد الجزيرة العربية مطمح النفوذ الساساني وخاصة منطقة الخليج، ويذكر ابن الاثير ان الساسانية هى الطبقة الرابعة من ملوك الفرس وان اردشير بن بابك هو مؤسس الدولة الساسانية ومن ملوكهم المشهورين الملك سابور ذي الاكتاف ٣١٠ ـ ٣٧٩ م الذي غزا العرب حيث قطع البحر الى الخط «بلاد القطيف» وسار الى هجر «بلاد الاحساء» واباد بنى عبدالقيس واخضع البلاد وعمد الى اليمامة وسمى ذي الاكتاف لأنه كان ينزع اكتاف رؤساء تلك البلدان ومن ملوك الفرس الذين امتد نفوذهم لخارج بلادهم كسرى أنوشروان او كسرى الأول ٥٣١ ـ ٥٧٩ م ومما يذكر تاريخيا ان كسرى انوشروان او كسرى الأول ملك رجلا من لخم على عمان والبحرين واليمامة الى الطائف وسائر بلاد الحجاز يقال له المنذر بن النعمان ويذكر ان مولد الرسول صلى الله عليه وسلم كان في اخر ملكه . «ابن الاثير» الكامل الجزء الأول ص ٢٢٠ .

وأورد جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام الجزء الثاني ان قيام حكومة الساسانيين كان عام ٢٢٦ م على اثر سقوط البارثيين وان اردشير الأول .. ٢٢٤ ـ

٢٤١ م أقام عدة موانىء بحرية ونهرية لحماية حدود دولته الجنوبية وانه بنى مدينة بالبحرين سماها (بتن اردشير) وانما سماها (بتن اردشير) لأنه بنى سورها على جثث اهلها لمفارقتهم طاعته وعصيانهم امره فجعل ساقا من السور لبنا وساقا جثثا . (جواد على ج ٢ ٦٣٠ ـ ٦٣٣) .

ومن هنا يتضح ان شرق الجزيرة رفض التبعية السياسية وناضل في سبيل ذلك بمفارقته طاعة ملوك الساسانيين ويتضح ايضا ان بلاد شرق الجزيرة كانت تستقطب القوى الكبرى لما لها من الأهمية الجغرافية والسياسية والحضارية فهي مهد حضارة الدلمونيين والجرهائيين وربما كانت ذات تأثير حضاري ايجابي على حضارة بلاد فارس .

وقفت بعثة الآثار لمسح مواقع المنطقة الشرقية بمشاركة الكاتب عام ١٩٧٧ م على قنوات ري تمتد من قرية الجش مرورا بالجاروديه والخويلدية والقديح غربي تلك القرى وعمل لها مخطط مساحي لدى ادارة الآثار وهذه القنوات تتصل بينابيع طبيعية بعضها لا زال عامرا والبعض الأخر غطى بالرمال المتحركة وتصب هذه القنوات في برك دائرية الشكل بأقطار متفاوتة، وتظهر على هيئة ابراج وربما اضيفت اليها اضافات بنائية بعد تعرض المنطقة للرمال المتحركة .

وأورد جواد على وصفا لهذه القنوات في كتابه العرب قبل الاسلام الجزء الثاني ص (٦٤٨) ويرى انها تتماثل وقنوات الرى في دولة البحرين، والقنوات توضح نمط العمارة وما وصل اليه نظام الرى وطريقة تنظيم المياه في القنوات والمحافظة على منسوبها لرى الأراضي الزراعية بحيث تصل لأكبر رقعة زراعية ممكنة (تقرير المسح الأثرى لعام ١٩٧٧ ص ٣٠٢) ويرى كارنوال الذي زار المنطقة عام ١٩٤٠ انها تتشابه وقنوات الرى في ايران، وأرى ان تنظيم الرى بهذه المنطقة تفرضه طبيعتها الزراعية وحيث ان المنطقة ذات عراقة تاريخية فمن المحتمل انه نظام محلي ساد في بلاد البحرين واخذت عنه الحضارة الساسانية وهذا تفرضه طبيعة التقارب الجغرافي والصلات التجارية بين حضارات مختلفة بمنطقة الخليج، ووجود الثقل السياسي في بلاد فارس والنفوذ الاقتصادي ووجود الدراهم الفضية لدى الساسانيين وعدم تواجدها في بلاد العرب عوامل فرضت حتمية التعامل بالدراهم الفضية الساسانية .

الدراهم الساسانية :

تميزت بلاد فارس بسك الدراهم الفضية ولعبت تلك الدراهم دورا في مضمار النشاط البشري في شرق الجزيرة العربية واستخدم الناس النقود الساسانية كوحدة للحساب وواسطة المبادلة وأداة الاختزان للقوة الشرائية، والدرهم كلمة مشتقة من اصل الكلمة الفارسية «درم» والدراخمة كلمة يونانية مأخوذة من الفارسية «درم» ومنها اشتق اسم الدرهم في العربية ـ يوسف غنيمة النقود العباسية ص ١١٥ سنة ١٩٦٥ .

وهناك اختلافات في الدراهم الفضية الساسانية ترجع لاختلاف فترات الحكم الساساني وقد لوحظت تغييرات على تلك الدراهم منذ اردشير الأول ٢٢٤ ـ ٢٤١ م ووصلت درجة السك الى درجة عالية من الاتقان في عهد سابور الاول .. ٢٤١ ـ ٢٧٢ م

فالتشكيلات التي على هيئة نقاط توضح تجاعيد متناسقة ودقيقة وضيقة على هيئة خطوط النسيج واضحة المعالم وعلاوة على ذلك نجد ان ذقن ولحية سابور مفصولين في شكل واضح وجلي (ترجمة من كتاب ايران القديمة (ص ١٧٨) .

وفي تقرير روبرت موريس نشر في ١٢ اكتوبر ١٩٦٦ وصف للدراهم الساسانية على النحو التالي :

وجه العملة :

تمثال الملك ملتفت جهة اليمين مع تفاصيل لباس الراس الذي يختلف في تفصيلاته من حاكم لآخر وعلى كل كتف عصابة بهذا الشكل () وفي الجهة اليمنى كتابة اسم الملك بالحروف البهلوية احيانا معنونة (S) وفي الجهة اليسرى الى أسفل دعاء تضرع في سطرين للملك أو اسرته .

خلف العملة :

المعبد الزرادشتي يعتلي ثلاث درجات في الوسط وعلى جانبيه كاهنان في الجهة اليمنى ختم العملة مكان السك بالبهلوى (عادة يكون رمزا) وبالجهة اليسرى وخارج تلك الدوائر مقسم الى اربعة اقسام بأهلة داخلها نجوم في الجهة اليمنى واليسرى والأعلى والأسفل (ترجمة من تقرير روبرت موريس ٢٢ أكتوبر ١٩٦٦ (ص ٥) وهذا الوصف التفصيلي يتوافق وما عثر عليه من عملات ببلدة دارين بجزيرة تاروت .

والدرهم الساسانى فى فجر الاسلام قطعة مستديرة من الفضة على أحد وجهيها نقش يمثل الجزء العلوى من صورة كسرى الفرس ويظهر وجهه فى وضع جانبي وعلى رأسه التاج الساساني المجنح وعلى الوجه الثانى للدرهم حارسان مدججان بالسلاح واقفان بدونه فيمكن اعتبارهما كاهنين بينهما معبد النار الذى يسهران على خدمته أو حراسته وتشير الكتابات البهلوية المنقوشة على الدرهم الى اسم الملك كما تشتمل أحيانا على عبارات دعائية له ولاسرته ، وفى الهامش الخارجي للدرهم توجد ثلاثة او اربعة اهلة وفى داخل كل هلال اشارة الى الكوكب « الزهرة » عند تقابله مع الفجر وهو رمز الرخاء عند الشرقيين . (النقود العربية فهمي ص ٢٥) .

وكانت الدراهم أيضا ترد الى مكة فى العصر الجاهلي، فدنانير هرقل كانت ترد على أهل مكة فى الجاهلية وترد عليهم دراهم الفرس البغلية (البلاذرى ـ كرملى ص ١٠) وسادت الدراهم الفضية فى الاقاليم الشرقية فى الجزيرة وبلاد العراق نظرا لقربها من بلاد فارس ويورد عبدالرحمن فهمي تعليلا لذلك رأى دى بورد (M. de Bouard) الذى ارجع سبب التعامل بالدراهم الفضية فى الاقاليم الشرقية من ممتلكات العرب فى فجر الاسلام الى افتقار الفرس للذهب فى القرن السابع الميلادي نتيجة الحروب التى شنها الأكاسرة على البيزنطيين ونتيجة فقدهم الأتاوات التى كانوا يأخذونها من تجارة الحرير التى تمر ببلادهم من بلاد الصين بعد اكتفاء البيزنطيين بحرير بلادهم ويرجع د / عبدالرحمن فهمي السبب الى المعاهدة التى عقدها البيزنطيون مع الدولة الساسانية بشأن النقود

والتى تقضى بأن يضرب الساسانيون نقودا من الفضة فقط وألا يتخذوا نقودا ذهبية سوى النقود البيزنطية الجارية فى التعامل (فهمي النقود العربية ص ٣٢) ولهذا كانت نقود بلاد الفرس الدراهم الفضية ونقود البيزنطيين الدنانير الذهبية وشاع النوعان فى بلاد الجزيرة والشام والعراق .

الدراهم الساسانية فى فجر الاسلام :

استخدم العرب قبل الاسلام النقود الساسانية والرومانية والحميرية ولما جاء الاسلام لم يرد نص على تحريم التعامل بها بل أقرت خلال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر الصديق وعهد عمر رضى الله عنهما واستخدمت فى عهد عمر دنانير الاباطرة البيزنطيين والدراهم الفضية فى الاقاليم الشرقية وخاصة ايران والعراق، ونظرا للتحول السياسى الذى طرأ على الجزيرة العربية ببزوغ نور الاسلام على ربوع الجزيرة فقد زادت العمليات التجارية فجلب الى بلاد العرب كمية كبيرة من النقود المتداولة بينهم سواء النقود الذهبية التى تأتى من سوريا وهى دنانير الاباطرة البيزنطيين أو النقود الفضية دراهم الفرس الساسانيين .

وضربت الدراهم الاسلامية فى عهد أبي بكر وعمر على الطراز الساسانى مع اضفاء السمة الاسلامية عليها على انه استمر التعامل بالنقود الساسانية القديمة وأضاف عمر رضى الله عنه سنة ثماني عشرة هجرية عبارة (الحمد لله) وفى بعضها (محمد رسول الله) والبعض الآخر (لا اله الا الله وحده) وفى عهد عثمان نقش عليها عبارة (الله أكبر) « فهمي النقود العربية » .

ومن هذا نستطيع القول أن المسلمين أوجدوا سكا اسلاميا على نمط السك السابق وهذه السياسة ذات جدوى اقتصادية كبيرة اذ من الصعب تغيير النقود المتعارف عليها لدى جميع البلدان فى فترة وجيزة بالاضافة الى أن الثقل السياسى الذى يدعم العملة لم يتبلور بعد فى العهد الاسلامى المبكر واكتفى المسلمون باضافة الطابع الاسلامى على ما قد تعارف عليه الناس ولكن فى عهد الخليفة الاموى عبدالملك بن مروان بعد بلوغ الدولة الاسلامية شأوا سياسيا وقوة عسكرية واتساع رقعة بلاد الاسلام سكت الدراهم العربية فأصبح لبلاد الاسلام درهم عربى اسلامى .

وقسم المقريزى (رحمه الله) الدراهم فى الاسلام الى نوعين :

الأول : وتعرف بالسود الوافية وهى ما تسمى بالبغلية نسبة الى اسم يهودي ضرب تلك الدراهم وهذا الاسم يطلق على الدراهم الفارسية وقدر وزن الدرهم بزنة المثقال الذهب .

والنوع الآخر الدراهم الحوراقية وهى منسوبة الى قرية بنواحى همدان تسمى (حورقان) كانت متداولة لدى العرب فى الجاهلية والدراهم الفضية على نوعين من حيث القيمة سود وافية وطبرية عتق، ويرجح علماء النميات أن وزن الدرهم فى الجاهلية مثل وزنه فى الاسلام مرتين ويسمون المثقال من الفضة درهما وعلى هذا فوزن الدرهم مثقال

من الفضة (المقريزى ـ كرملي ص ٢٢ ـ ٢٥) وهى مختلفة الاحجام كبار وصغار فمنها ما زنته مثقال أى عشرون قيراطا ومنها ما يوزن عشرة قراريط وضربوا الدرهم فى الاسلام اربعة عشر قيراطا فصار وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ووزن المثقال اثنين وعشرين قيراطا ووزن العشرة دراهم سبعة مثاقيل .

وكانت الدراهم معروفة في مكة واقر الرسول (صلى الله عليه وسلم) التعامل بها وأقرها بعده خلفاؤه الراشدون ومعاوية (رضى الله عنه) وضرب مصعب بن الزبير في ايام عبدالله بن الزبير دراهم قليلة واخيرا عندما ولى عبد الملك بن مروان سأل وفحص أمر الدراهم والدنانير فكتب الى الحجاج بن يوسف ان يضرب الدراهم على خمسة عشر قيراطا من قراريط الدنانير وضرب هو الدنانير الدمشقية . (البلاذرى الكرمى ص ٩) .

ويرى البلاذرى (رحمة الله) عن أبي الحسن المدائني ان الحجاج ضرب الدراهم سنة ٧٥ هـ ثم أمر بضربها في جميع النواحي سنة ٧٦ هـ وضرب مصعب الدراهم بأمر عبدالله بن الزبير سنة ٧٠ على ضرب الأكاسرة وعليها «بركة» وعليها «الله» .

وضرب الحجاج دراهم بغلية كتب عليها «بسم الله» الحجاج ثم كتب عليها بعد سنة (الله أحد، الله الصمد» فكره ذلك الفقهاء فسميت مكروهة ويقال أن الأعاجم كرهوا نقصانها فسميت مكروهة (البلاذرى ـ كرملي ص ١٠ ـ ١٤) .

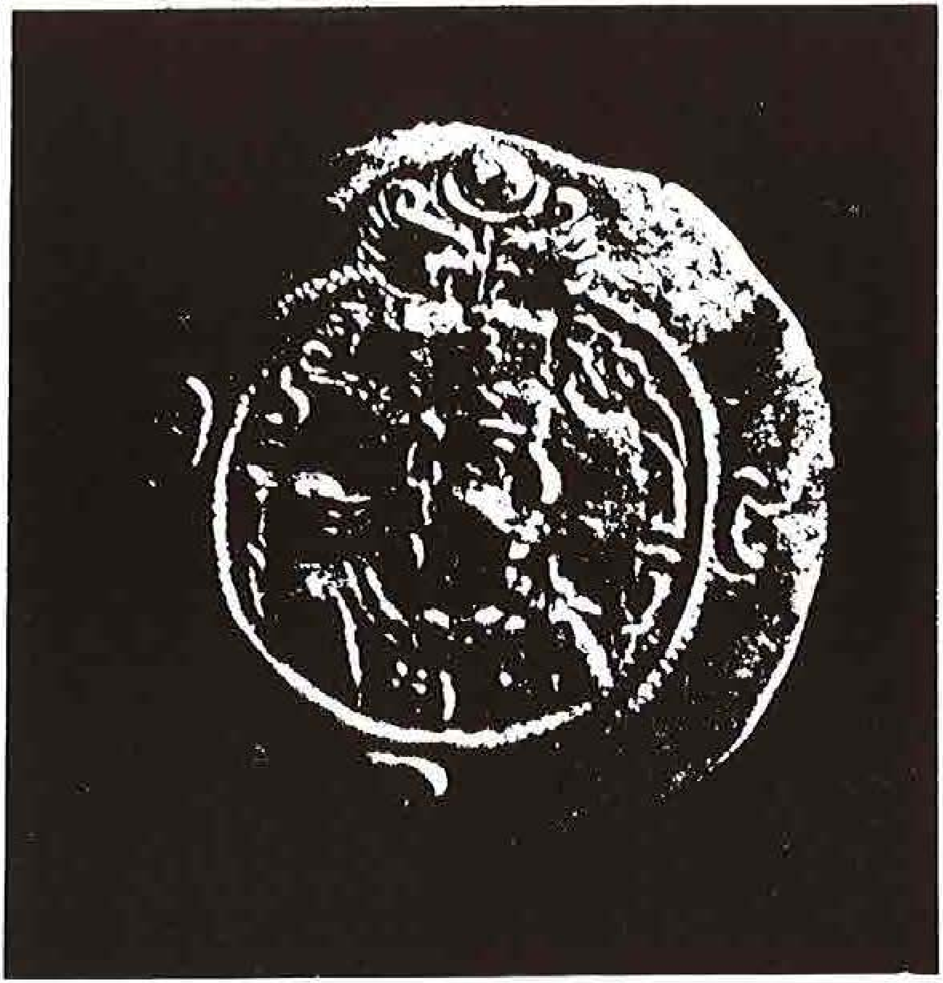
ومن العرض السابق يتضح ان الاضافات على النقود بدأت في عهد عمر رضى الله عنه سنة سبع عشرة هجرية حيث ضرب الدرهم الاسلامي على النمط الساساني وأشار د/ عبدالرحمن فهمى الى ان المحاولات التي قام بها المسلمون لم تكن محاولات خلق وابتكار بقدر ما كانت عمليات تقليد للنقود البيزنطية والساسانية وأرى ان المحاولات كانت لأضفاء الطابع الاسلامي على تلك المسكوكات التي كان المسلمون يرغبون في تغييرها لكن الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لم تسمح بذلك فاكتفوا بما هو اهم وهو اظهار السمة الاسلامية على النقود المستعملة .. لذا فالنقود نقود اسلامية بتأثيرات ساسانية وعندما قويت الدولة سكت النقود العربية الاسلامية واستمرت العملات وثائق التعامل بالاراضي الاسلامية .

كنز الدراهم الفضية الساسانية بدارين :

تحتوى التلال الأثرية على ذخائر نفيسة لها شأنها فى التاريخ ومن تلك المسكوكات القديمة وما عثر عليه بالمنطقة الشرقية من المسكوكات ما يلقى الضوء على فترة تاريخية هامة للجزيرة العربية .

فقد عثر على مجموعة من المسكوكات الساسانية (وهى عبارة عن دراهم فضية) شمال مدينة الخبر جنوبى الراكة) ١كم وقدم السيد/روبرت موريس تقريرا عنها نشره فى ٢٢ أكتوبر ١٩٦٦ .

كما اكتشف مجموعة من المسكوكات الساسانية أيضا فى حرز فخارى بدارين عام ١٤٠١هـ بطريق الصدفة اثناء اعمال الحفر للمجارى ولم يستبن حجم الحرز ويوجد لدى قسم الآثار بالشرقية بعض الكسر الفخارية من نفس الطبقة وتتماثل مع فخار الجرة



نموذج (١) ـ وجه العملة المجموعة الاولى هرمز ٥٧٩ـ ٥٩٠

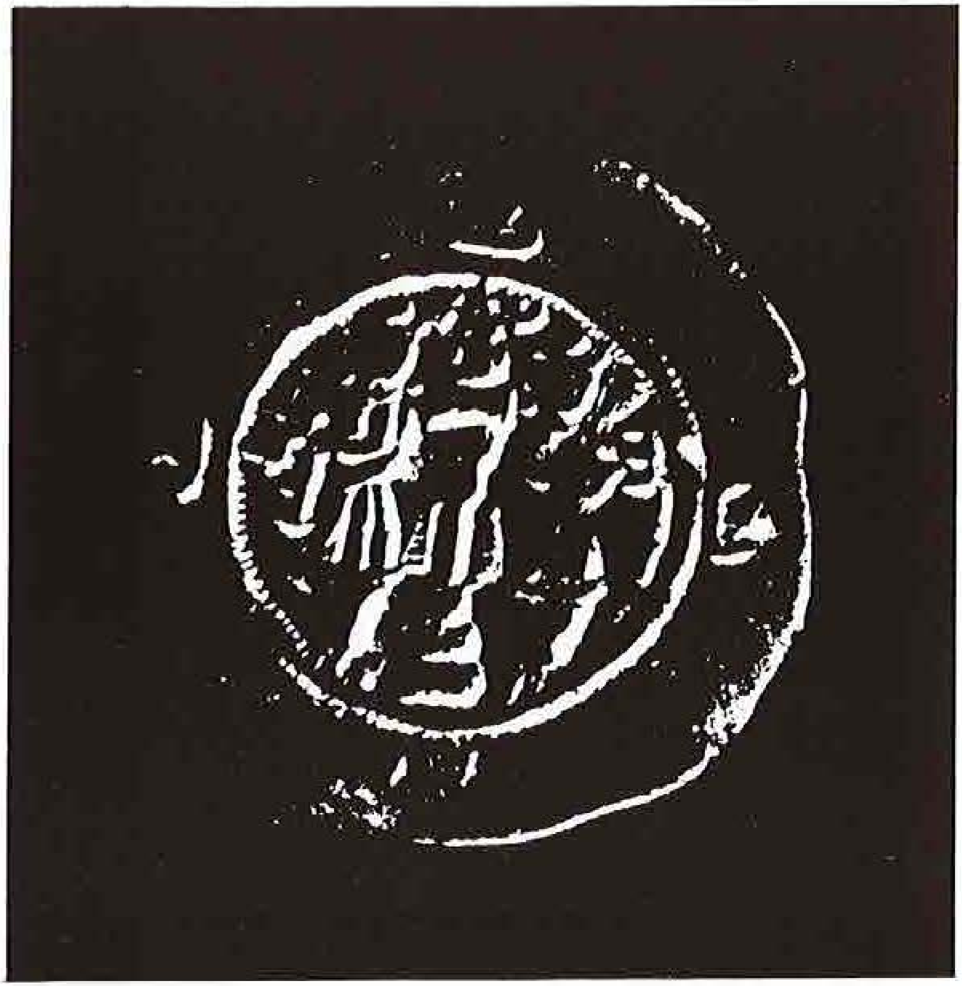
لم تجر عليها دراسة بعد .

ويمكن تقسيم المسكوكات التى عثر عليها الى ثلاثة انواع وذلك بدراسة (١٦) قطعة فضية .

أ ـ درهم واحد يرجع لعهد هرموز الرابع (٥٧٩ ـ ٥٩٠م) نموذج رقم (١).

الواجهة : صورة الملك هرموز الرابـع (٥٧٩ ـ ٥٩٠) ـ يتماثـل مع نمـوذج لدرهم ساساني يرجع لعهد هرموز الرابع (٥٧٩ ـ ٥٩٠) (المخلفات الساسـانية من قصر ابونصر ـ هارفرد ١٩٧٣). والتاج يشبه تاج فيروز الأول ـ ايران القديمة ١٩٦٥ ص ٢٠١ ـ على الصدر الحلي () وحلية الأذن (ʊ) والكل فى اطار دائرى واحد .

الخلف : حلقة دائرية واحدة فقط وسطها المعبد الزرادشتى على ثلاث درجات تتدرج فى



نموذج (٢) ـ خلف العملة ـ هرمز المجموعة الاولى ٥٧٩ـ٥٩٠

الصغر إلى أعلى ، على الجانبين كاهنان وفى الجهة اليمنى ختم العملة **س ا** ب ـ ايراشهر (موريس ص ٥) فى الجهة اليسرى التاريخ المتعلق بسنة السك (نموذج رقم ٢).

ب ـ مجموعة دراهم عدد (١١) ترجع لعهد كسرى الثانى ٥٩٠ ـ ٦٢٨م وهى مختلفة من حيث دور السك وتتماثل مع نماذج كتلوج المتحف البريطانى عن الدراهم الساسانية فى عهد كسرى الثانى نموذج (٣) و(٤).

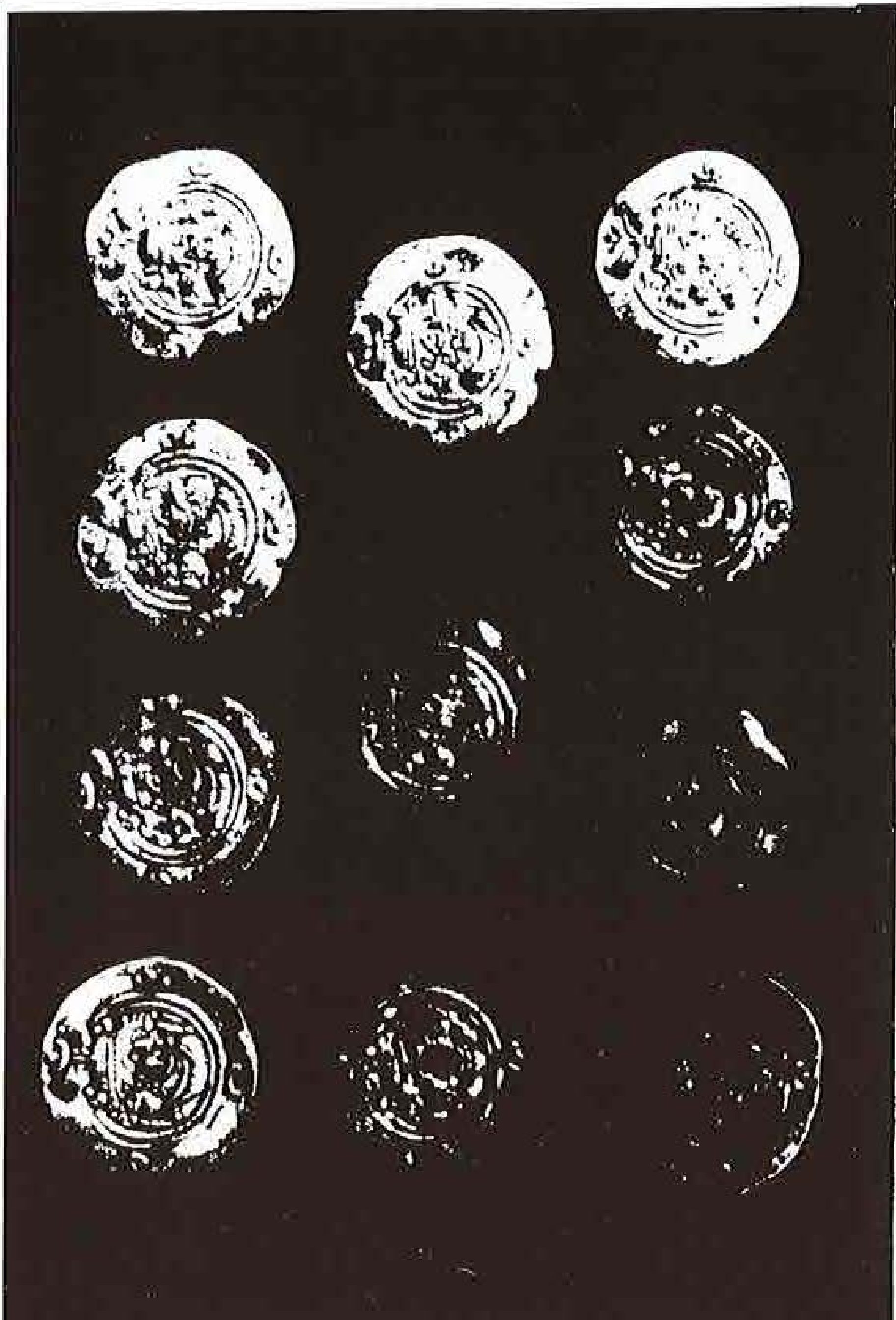
ويمكن معرفة دور السك لبعض منها :

عدد ثلاثة دراهم سكت فى مدينة همدان ([illegible])

وعدد ثلاثة فى دارا بحرد([illegible]) وعدد اثنين فى مدينة الرى([illegible])



نموذج (٣) - وجه العملة - المجموعة الثانية - كسرى الثاني - ٥٩٠-٦٢٨



نموذج (٤) - خلف العملة - المجموعة الثانية - كسرى الثاني ٥٩٠-٦٢٨

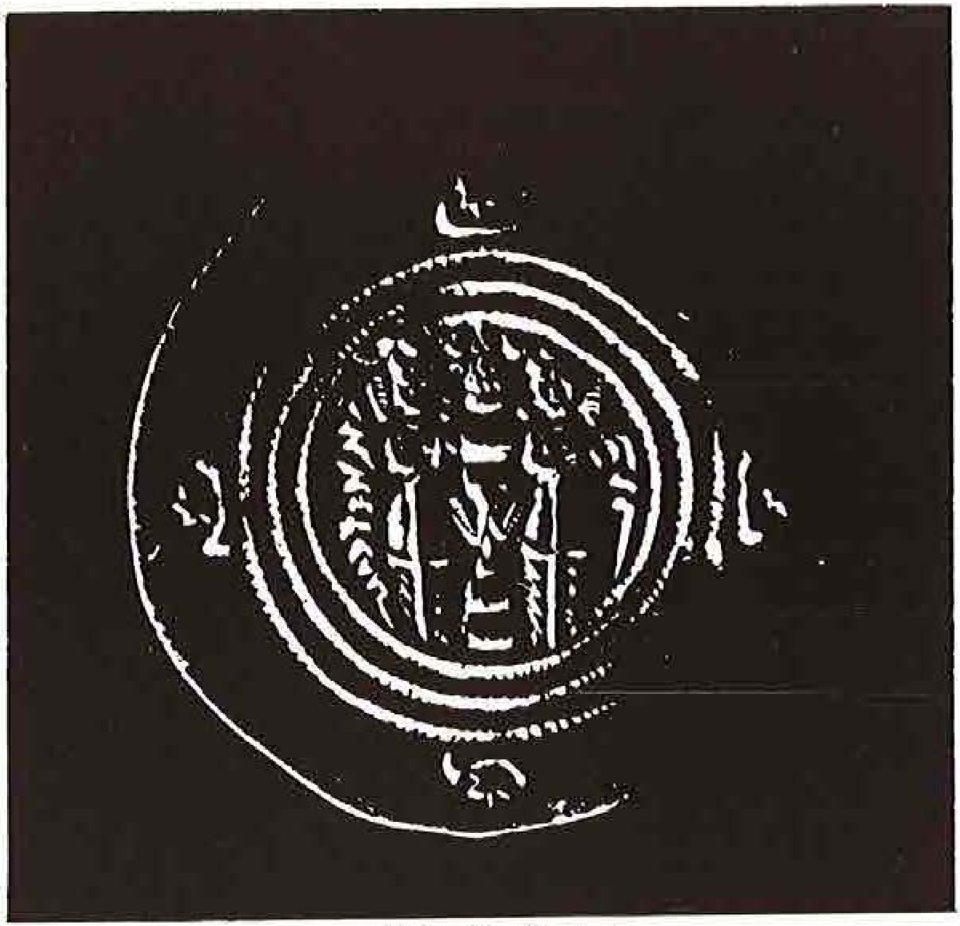


نموذج (٤) ـ وجه العملة ـ ويتماثل التاج المجنح على العملة وتاج الملك يزد جرد الثالث ٦٣٢ـ٦٥١

وعدد ثلاثة لم تستبن رموزها بعد .

وواحد من هذه المجموعة ربما يعود لعهد يزدجرد الثالث لتماثل تاج الملك المجنح على العملة وتاج يزدجرد (الثالث ٦٣٢ ـ ٦٥١م) ويختلف عن باقي المجموعة فى بعض التفاصيل نموذج (٤) و(٥).

جـ ـ هذه المجموعة تتكون من أربع قطع تتماثل والمجموعة الثانية من حيث صورة الحاكم ويتماثل التاج بهذه المجموعة وتاج يزدجرد الثالث ٦٣٢ ـ ٦٥١م وتوجد كتابات خارج طوق العملة فى الجزء الأيمن السفلى (لله لى) ويتماثل من حيث الكتابة خارج طوق العملة مع قطعة نحاسية سكت فى عهد عبيدالله بن زياد نموذج (٦) و(٧).



نموذج (٥) ـ خلف العملة

ووجود الاختلافات في العملات التي ترجع لفترات مختلفة تعطي دلالة على أن تلك الدراهم تحمل نفس القيمة النقدية في ذلك الوقت طالما انها تزن الكمية المقررة كما نستطيع القول أن الدولة الاسلامية لم تبطل التعامل بالدرهم الساساني القديم بعد اضفاء الطابع الاسلامي على الدراهم الاسلامية في الاسلام ، بل استعملته جنبا الى جنب مع ما تعارف عليه الناس من قبل ، بل كانت ذات قيمة أكبر فالقيمة كانت في مادة العملة الفضية ويمكن القول ان الحرز وضع في فترة فجر الاسلام حيث احتوى على دراهم ترجع للعصر الساساني المتأخر من عهد هرموز الرابع وكسرى الثاني وأردشير الثالث ومنهم من عاصر الرسول (ص) ومنهم من عاصر عهد ابي بكر وعمر ، والمعروف ان الجزيرة العربية قد تعاملت بهذه الدراهم في تلك الفترة التاريخية وكانت متداولة بين العرب ووجود تلك الدراهم الساسانية

الطابع لا يثبت تبعية الجزيرة للساسانيين ولكن يبين الصلات التجارية بين بلاد العرب وبلاد الفرس .

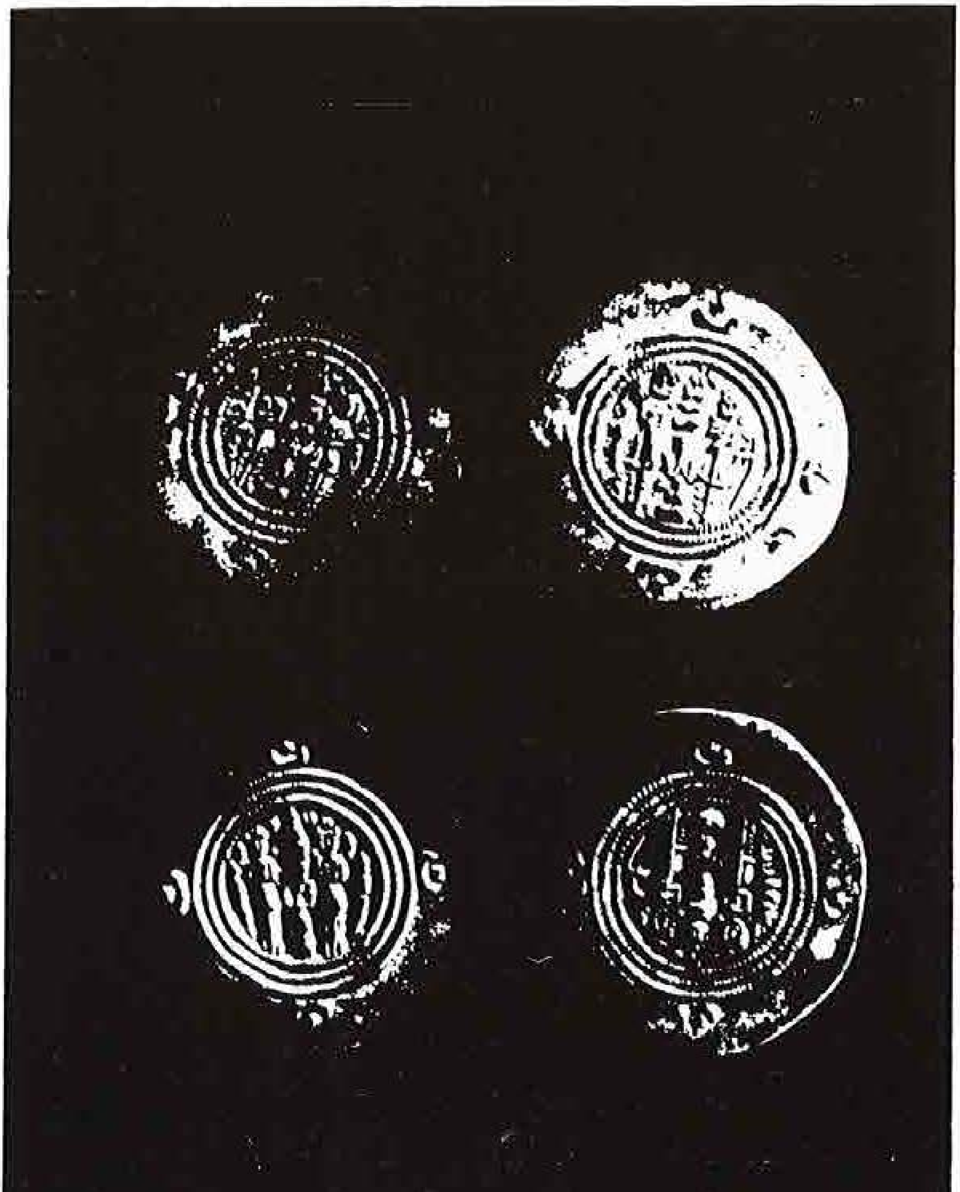
علاوة على ان الدراهم الساسانية سادت فى اجزاء كثيرة من أقطار الجزيـرة والأقطار الاخرى .

فوجود الدراهم الفضية فى الأجزاء الشرقية من البلاد الاسلاميـة يوضـح حقيقة اقتصادية هامة كان الفرس والبيزنطيون متفقين عليها فقد اتبع الفرس قاعدة الفضة باعتبار الدرهم الفضي نقدها الرئيسي (د/عبدالرحمن فهمى النقود العربية مـاضيها وحاضرها ص ١٠). والبيزنطيون الذهب باعتبار الدينار الذهبى نقدهم الرئيسى .

وقد عرفت الدراهم فى أخبار العرب واشعـارهم وأطلق على الدراهم الفضيـة اسم (الورق).

وما وجد بدارين من الدراهم ربما وضع خلال الفترة الاسلاميـة المبكرة حيث ان المسلمين تعاملوا بالدراهم الساسانية فى فجر الاسلام وقد روى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه أنه قال « زوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة عليها السلام على أربع مائة وثمانين درهما ».

وعرفت بلاد فارس بعملتها الفضية حتى بعد قيام الدولة الأموية فمعظم دور السك كانت فى بلاد فارس مثل الرى وهمدان وسجستان وابراشهر ـ ويمكن اعتبار الدراهم الساسانية فى فجر الاسلام دراهم عربية بعد ان اجازها المسلمون وتعاملوا بها فى عهد الرسول « صلى الله عليه وسلم » وعهد خلفائه الراشدين حتى قبل محـاولات اضفاء الطابع الاسلامى عليها واستمرت التأثيرات الساسانية على الدرهم الاسلامى حتى بعد تمـيـز الدرهم العربى الاسـلامى كالأطواق الدائـرية الثـلاثة التى تحيـط بالنقـوش والكتابات ، واستعمال الدراهم الساسانية لفترة بعد ظهور الاسلام فى البلاد الاسلامية واستيراد تأثيراتها بسبب جودتها ومعاصرتها لفترة ظهور الاسلام فالدراهم التى تنتمى لعصر كسرى الثانى ٥٩٠ ـ ٦٢٨ معاصرة لهجرة الرسول صـلى الله عليه وسلم الى المدينة سنة ٦٢٢م والدراهم التى سكت فى عهد يزدجرد الثالث ٦٣٢ ـ ٦٥١م معاصرة لفترة الخلفاء الراشدين فى عهد ابوبكر وعمر « رضي الله عنهما » حيث زالت دولة الفرس على ايدى المسلمين فى عهد عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » والدراهم التى عثر عليها ترجع لفترة متأخرة للحكم الساسانى ولم يعثر على دراهم ترجع لعهد كسرى الأول الذى غزا بلاد جزيرة العرب والذى كان مولد الرسول « صـلى الله عليه وسلم » آخـر أيام حكمه .

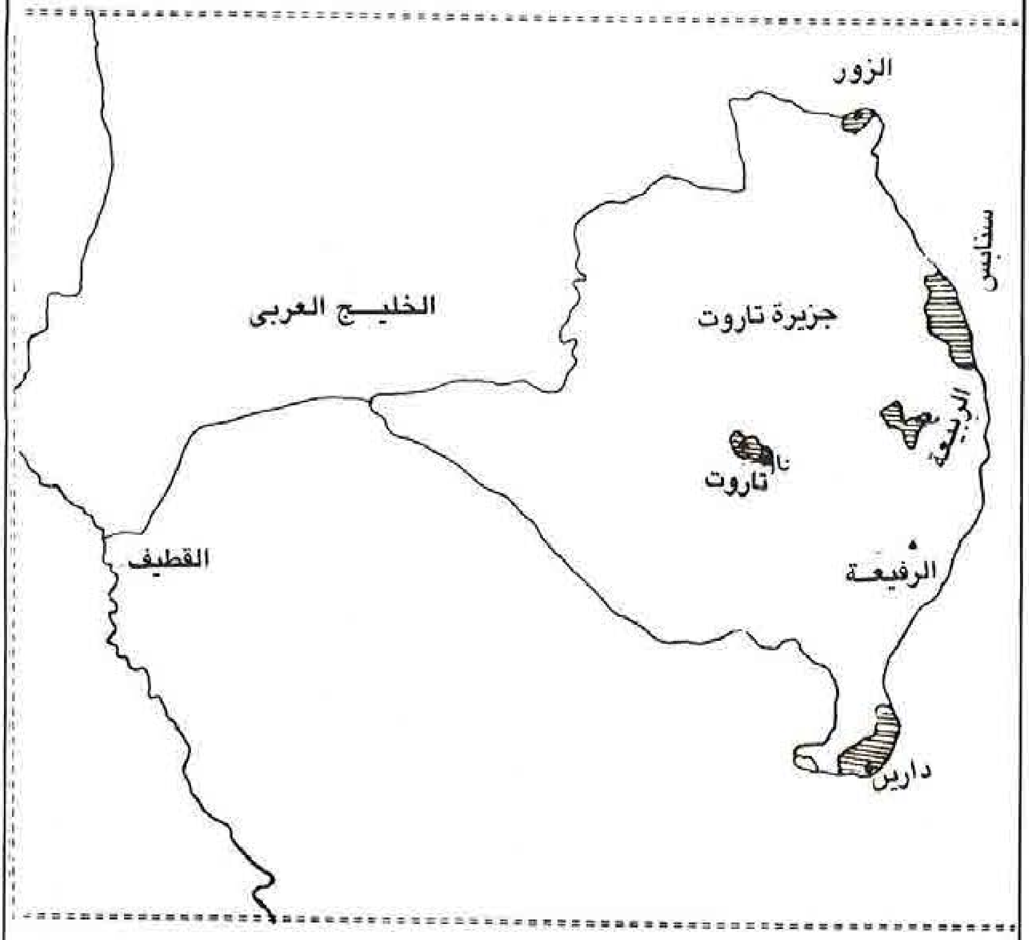


نموذج (٦) المجموعة الثالثة ـ وجهة العملة ـ تتماثل من حيث الكتابة خارج طوق العملة مع قطع نحاسية سكت في عهد عبيد الله بن زياد.



نموذج (٧) ـ خلف العملة ـ المجموعة الثالثة / وترى رموز مختلفة لمدن سك مختلفة.

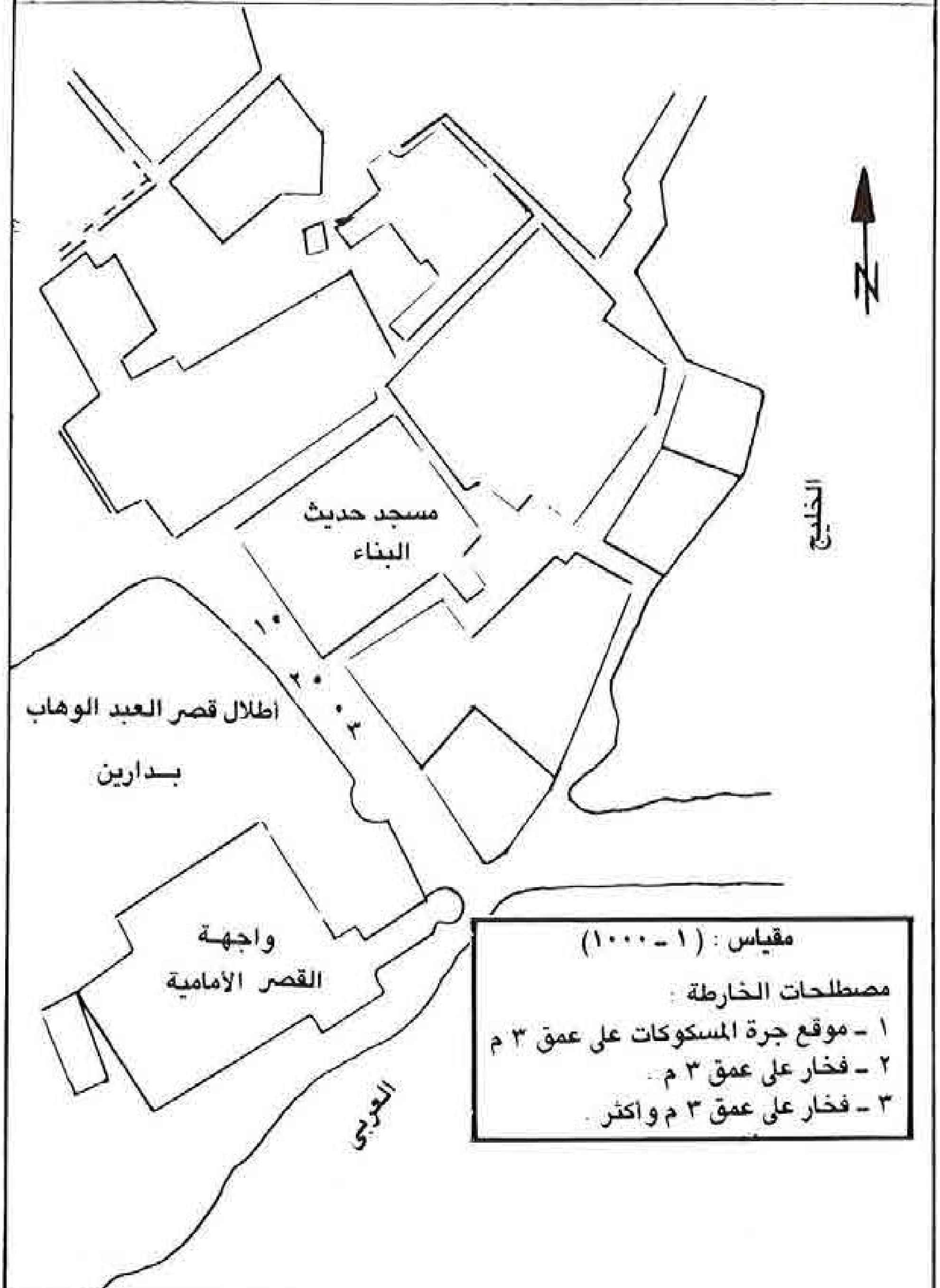
خريطة جزيرة تاروت وتوضح موقع القلعة البرتغالية وسط الجزيرة وموقع دارين الميناء القديم والرفيعة وسنابس والزور



مقياس الرسم

١ ـ ٥٠٠٠٠

مخطط للمباني القديمة التى بنيت فـوق التل الأثرى ببلدة دارين



ملحق خاص

بالمناطق الأثرية بمنطقة القطيف

منطقة القطيف :

تشمل مدينة القطيف وجزيرة تاروت ومدينة صفوى وام الساهك والأوجام وسيهات وعنك والقرى المجاورة ـ التوبى ، الخويلدية ، حلة محيش ، الملاحة والجارودية وأم الحمام والجش والبحارى والقديح والعوامية .

وعرفت بلاد القطيف قديما ببلاد « الخط » وبهذه المنطقة مواقع أثرية هامة وكثيرة ويعزى ذلك الى توسط البلاد الخط التجارى بين بلاد الرافدين وبلاد عمان وجنوب الجزيرة العربية بالاضافة الى كونها أرضا زراعية وتشتهر بوفرة مائها وهى من المراكز التجارية الهامة على الخليج العربى وكانت جزيرة تاروت منفصلة عن مدينة القطيف وفى الوقت الحاضر اتصلت بالمدينة بعد ردم جزء من مياه البحر وعمل خط اسفلتى عريض بمسارين .

المواقع الأثرية بالمنطقة :

عينت بعثة المسح الأثرى للمنطقة الشرقية عام ١٣٩٧/١٩٧٧م تسعة وعشرين موقعا أثريا بمنطقة القطيف وصنفت تلك المواقع الى مواقع ترجع تاريخيا الى فترات حضارية كتاريخ ما قبل الاسلام وتتدرج الى الفترات الاسلامية وعددها ستة عشر موقعا ومواقع ترجع الى فترات اسلامية مبكرة وحديثة حيث ان اغلب اللقى السطحية تتميز بطابعها الاسلامى وربما توغل هذه المواقع فى القدم وهذا ما ستكشفه الحفريات التى ستجريها الادارة العامة للآثار والمتاحف وعدد تلك المواقع احد عشر موقعا ، وتبعية هذه المواقع لمنطقة القطيف لقربها واعتبارها امتدادا لمواقع داخل الواحة نفسها او امتدادا لمواقع بالقرى او المدن التى تتبع منطقة القطيف من الناحية الادارية فى الوقت الحاضر .

أ / مواقع ما قبل الاسلام .. وتتدرج الى الفترات الاسلامية المبكرة

م	رقم الموقع	اسم الموقع	الفترة التقريبية	الابعاد الاحداثية « تحديده على الخريطة »			
				″	′	°	
١	٢٠٨/١١٩	جبل القرين	اغريقى/ اسلامى مبكر	١٥″	١′	٥٠°	شرق خـ ط
				٠	٢٩	٢٦	شمال خـ ع
٢	٢٠٨/١٢١	غرب سيهات	« « « « «	٣٩	٢٦	٤٩	شرق خـ ط
				١٢	٣٢	٢٦	شمال خـ ع
٣	٢٠٨/١٢٩	جاوان	« « « « ويتماثل وفخار هجرة ثاج .	٣٥	٥٧	٤٩	شرق خـ ط
				١٣	٤٢	٢٦	شمال خـ ع
٤	٢٠٨/١٣٠	جنوب غرب صفوى	اغريقى/ اسلامى مبكر	٤٥	٥٦	٤٩	شرق خـ ط
				١٥	٣٨	٢٦	شمال خـ ع
٥	٢٠٨/١٣١	٨ كم على طريق الجبيل القديم من صفوى شرق الخط بمسافة ١ كلم .	باربار ، ثاج اسلامى مبكر	٠٠	٥٤	٤٩	شرق خـ ط
				١٢	٤٣	٢٦	شمال خـ ع
٦	٢٠٨/١٣٢	جنوب شرق المدفن على الجانب المقابل شرق الخط الواصل بين صفوى ورحيمة .	اغريقى اسلامى	٤٥	٥٧	٤٩	شرق خـ ط
				٥	٤٠	٢٦	شمال خـ ع
٧	٢٠٨/١٣٣	جاوان	دلمون/اغريقى اسلامى مبكر	ـ	٥٨	٤٩	شرق خـ ط
				٣٠	٤٥	٢٦	شمال خـ ع
٨	٢٠٨/١٣٤	= =	اغريقى اسلامى مبكر	ـ	٥٨	٤٩	شرق خـ ط
				٣٠	٤٥	٢٦	شمال خـ ع

تابع (أ) مواقع « فترة ما قبل الاسلام »

م	رقم الموقع	اسم الموقع	الفترة التقريبية	الأبعاد الاحداثية « تحديده » على الخريطة			
٩	٢٠٨/١٣٥	جاوان	اغريقى اسلامى مبكر	٣٠	٥٤	٤٩	شرق خـ ط
				٤٥	٤٤	٢٦	شمال خـ ع
١٠	٢٠٨/١٣٦	= =	= =	٣٠	٥٤	٤٩	شرق خـ ط
				٣٥	٤٥	٢٦	شمال خـ ع
١١	٢٠٨/١٣٧	= =	= =	٤٠	٥٤	٤٩	شرق خـ ط
				٣٠	٣٦	٢٦	شمال خـ ع
١٢	٢٠٨/١٣٨	= =	= =	٤٥	٥٤	٤٩	شرق خـ ط
				٤٥	٤٥	٢٦	شمال خـ ع
١٣	٢٠٨/١٤٠	= =	= =	-	٥٦	٤٩	شرق خـ ط
				-	٤٣	٢٦	شمال خـ ع
١٤	٢٠٨/١٤٢	= =	= =	-	٥٦	٤٩	شرق خـ ط
				-	٤٤	٢٦	شمال خـ ع
١٥	٢٠٨/١٤٣	= =	= =	-	٥٦	٤٩	شرق خـ ط
				-	٤٥	٢٦	شمال خـ ع
١٦	٢٠٨/١٤٤	= =	= =	-	٥٦	٤٩	شرق خـ ط
				-	٤٥	٢٦	شمال خـ ع

ب/ مواقع ترجع الى فترات اسلامية مبكرة وحديثة .

م	رقم الموقع	اسم الموقع	الفترة التقريبية	الأبعاد الاحداثية « تحديده على الخريطة »			
١	٢٠٨/١١٦	غرب الجارودية	اسلامى مبكر ـ اسلامى معاصر	شرق خـ ط	٤٩	٥٨	٤٥
			الفترة البرتغالية	شمال خـ ع	٢٦	٣١	١٥
٢	٢٠٨/١١٧	امتداد للموقع ١١٦	معاصر الفترة البرتغالية والتركية	شرق خـ ط	٤٩	٥٨	١٢
				شمال خـ ع	٢٦	٥٢	٣٥
٣	٢٠٨/١١٨	امتداد للموقع ١١٧	== == ==	شرق خـ ط	٤٩	٥٨	٤٥
				شمال خـ ع	٢٦	٣٢	١٥
٤	٢٠٨/١٢٠	امتداد للموقع ١١٨	اسلامى مبكر عباسى	شرق خـ ط	٤٩	٥٩	ـ
				شمال خـ ع	٢٦	٣٠	٤٥
٥	٢٠٨/١٢٢	امتاد للموقع ١٢٠	== ==	شرق خـ ط	٤٩	٥٦	١٥
				شمال خـ ع	٢٦	٣٣	٣٠

وبعد

ان بالمنطقة الشرقية كنوزا اثرية لم تستبن بعد ، وباكتشافها ستلقى أضواء جديدة على حقائق تاريخية لها شأنها في تاريخ المنطقة في فترة ما قبل الاسلام .

على أن هذا الجزء كان عامرا حضاريا منذ قيام حضارة بلاد سومر وخلال حقب تاريخية لاحقة وكانت له أهمية اقتصادية لموقعه على الخليج العربي شريان التجارة القديمة وكان للجرهاء وتاروت وفيلكا دورا هاما في التجارة العالمية ، وعثر على دراهم يونانية بجزيرة فيلكا بالكويت وبدراسة تلك الدراهم اتضح أن بعضها سك بمدينة الجرهاء احد مراكز التجارة في الخليج ولم يحدد بعد موقع تلك المدينة ولكنها في الجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية وهذا يوضح سيطرت الجرهائيين على التجارة في الخليج في فترة سيادة البيزنطيين على التجارة القديمة وقد حاول انطياخوس الثالث ٢٠٥ ق . م بسط سيادته العسكرية على الجرهائيين ولكنه لم يستطع ولم يتمكن من احتلال بلادهم .

وعرفت بلاد البحرين برخائها المادي منذ القدم لتعدد مجالات النشاط الاقتصادي ووفرة ما عثر عليه من المسكوكات الساسانية في حرز واحد بدارين سنة ١٤٠١هـ يوضح الثراء المادي الذي تيمز به سكان المنطقة ، وفقدت كمية كبيرة من تلك المسكوكات عندما كسر الحرز وضاعت معظم محتوياته وما جمع منها عبارة عن كتل من الدراهم الفضية المتلاصقة توضح الكمية الكبيرة التي كانت بالحرز .

وتواجد الدراهم الاغريقية والساسانية يوضح الصلات التجارية لهذه البلاد ببلاد الشام وبلاد فارس وبلاد العراق والمنطقة ترتبط منذ القدم بخطوط القوافل التجارية البرية والطرق البحرية فهي همز وصل لتجارة جنوب الجزيرة وبلاد الرافدين .

والروايات التاريخية عن الغزو الساساني لبلاد العرب توضح اطماعهم في بسط نفوذهم على شبه الجزيرة وامتلاك زمام أمور التجارة وما روى عن رغبة اردشير في اقامة موانيء بحرية لدولته يوضح ذلك وندرة وجود تأثيرات حضارية ساسانية مبكرة على المنطقة يوضح رفض التبعية السياسية التي حاول الساسانيون فرضها كما حاول من قبلهم البيزنطيون .

وتواجد المسكوكات التي تمثل الفترة المتأخرة للحكم الساساني لا يعني تبعية سياسية حيث ان أجزاء كثيرة من بلاد الشام والعراق والجزيرة العربية كانت تتعامل بهذه الدراهم .

المراجع :

١ـ انستاس مارى الكرملى ـ النقود العربية وعلم النميات » رسائل فى النقود للبلاذرى والمقريزى والذهبى ـ محمد دمج ـ بيروت .
٢ ـ ادارة الآثار والمتاحف ـ تقرير المسح الاثرى للمنطقة الشرقية الرياض ١٩٧٧ .
٣ ـ ابن الأثير ـ الكامل فى التاريخ ـ الجزء الاول .
٤ـ ادارة الآثار والمتاحف ـ نقود يونانية من جزيرة فيلكا ـ مترجم الكويت ١٩٦٠م .
٥ـ جواد على ـ المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الثانى ـ مكتبة النهضة ـ بغداد ١٩٧٦م) .
٦ـ د / عبدالرحمن فهمى محمد ـ فجر السكة العربية ـ دار الكتب القاهرة ١٩٦٥م .
٧ـ د / عبدالرحمن فهمى محمد ـ النقود العربية وحاضرها دار العلم / القاهرة ١٩٦٤م .
٨ ـ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ بغداد .

— Al - Masry: Prehistory in NE Arabia; Field Research Project; 1974.
— Ancient Iran, Edith Porada, Crown Publishers, 1965.
— Frye, Richard Nelson, Sasanian Remains from Qasr-i-Abu Nasr Cambridge, Harvard University Press, 1973.
— Gordus, Adon A: Non Destructive Analysis Of Parthian, Sassanian and Umayyad Silver Coins. Beirut, American University, 1974.
— Morris, Roberts W. An Eight Century Hoard from Eastern Saudi Arabia: Paper 22 October, 1966.
— Otta Morkolm "Kuml", 1960.
— Post Card From the British Museum.
— Walker, John: A Catlogue of the Arab-Byzantine and Post-reform Umaiyad Coins. British Museum, London, 1956.

البحرين

في المصادر الجغرافية

دراسة أحوالها الادارية والاقتصادية

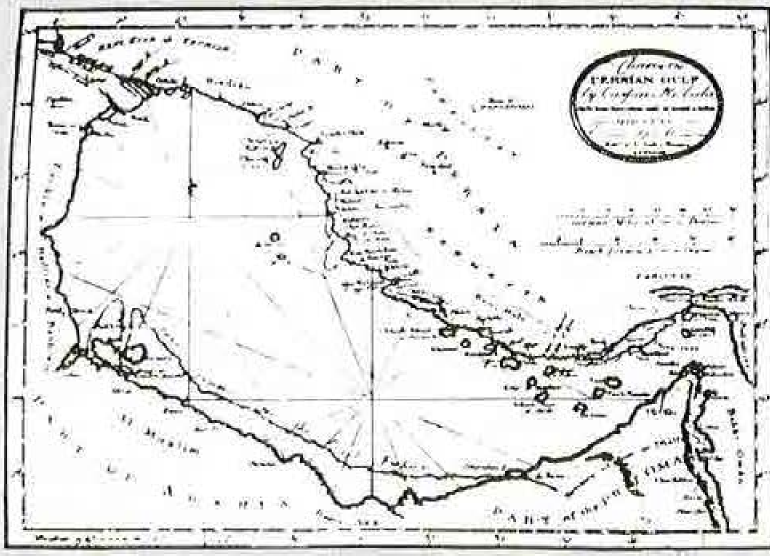
بقلم
الدكتور قحطان عبدالستار الحديثي

رأي العلماء القدامى حول سبب تسمية الدولة بالبحرين

كانت البحرين تشكل اهمية تاريخية في احداث شبه الجزيرة العربية والتاريخ العربي الاسلامي العام . نظرا لما تمتلكه من قدرة بشرية وموقع جغرافي هام جعلها ذات اثر بليغ في صياغة المواقف التاريخية التي ساهمت بشكل جدي وفعال في حضارة هذا الجزء الحيوي لمنطقة الخليج العربي بصورة خاصة .

ان تاريخ البحرين هو جزء من تاريخ الأمة العربية ، وقد برزت شخصيتها بعد تحريرها من السيطرة الفارسية ، وظهرت أكثر فعالية بعد سيطرة القرامطة عليها في القرن الثالث للهجرة . وهذا ما يفسر كثرة النصوص التاريخية وغناها في الحديث عن نشاطها السياسي في حين اغفلت المؤلفات الجغرافية تسجيل الكثير من نظمها الادارية وقدراتها الاقتصادية واحوالها الاجتماعية وأوضاعها الجغرافية ، ولعل ذلك سببه تخوف الجغرافيين العرب من دخول البحرين في القرن الثالث والرابع للهجرة وتدوين مشاهداتهم عنها . فجاءت رواياتهم منقولة لا تكفي في رسم الاطار العام الاداري والاقتصادي لها .

ان الكتابة عن البحرين في المصادر الجغرافية محاولة جريئة بحد ذاتها ، وان هذه المصادر لم تمنعني من الوصول الى الطموحات التى كنت اريدها في معرفة واقع البحرين ابان تلك الفترة ، كما ان هذه المصادر تفتقر الى الكثير من الاجوبة التى تثيرها التساؤلات الواردة في الأذهان . ومن هنا تكمن اهمية البحث في اثارة مثل هذه



التساؤلات الادارية والاقتصادية العامة للبحرين .

معناها واشتقاقها اللغوي

تعطي بعض الكلمات دلالات لغوية متعددة ومعاني كثيرة قد تكون مطابقة لأصلها واشتقاقها او مختلفة معها . فالبحرين بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء وفتح الراء المهملتين وسكون المثناة من تحت ثم نون التثنية[١]

وذكر ياقوت الحموي انه كان يتلفظ بها في حال الرفع والنصب والجر . ولم يسمع على لفظ المرفوع من احد منهم . الا ان الزمخشري على حد قوله قد حكي انه بلفظ التثنية فيقولون هذه البحران . وأنتهينا الى البحرين[٢]

ومن الجدير بالذكر ان من المدن العربية مالها معانى في تسميتها ومنها من له اكثر من اسم . فيذكر المقدسي ان البحرين كانت تسمى هجر[٣]

ويشير شيخ الربوة الى نص لا يذكر مصدره ان بحيرة هجر في بلاد البحرين وبها وبالبحر الكبير سميت أرض هجر بالبحرين[٤]

وفي الصحاح ان هجر بفتح الهاء والجيم ثم راء مهملة وينسب اليها هاجري على غير قياس ومن المشترك ان هجر يشمل جميع البحرين كالشام والعراق وليس هو مدينة بعينها[٥]

ويعقد ياقوت فصلا «طريفا» في تسمية البحرين وهجر فيذكر عن ابي بكر محمد بن القاسم ان في اشتقاق البحرين وجهين ، يجوز ان يكون ماخوذا من قول العرب .

بحرت الناقة اذا شققت اذنها . والبحيرة المشقوقة الأذن ، من قوله تعالى (ما جعل

الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة) . والبحيرة هي ابنة السائبة(٦)

قال ويجوز ان يكون البحرين من قول العرب : قد بحر البعير بحرا اذا أولع بالماء فأصابه منه داء . ويقال قد أبحرت الروضة ابحارا اذا كثر الماء فيها فأنبتت النبات . ويقال للروضة البحرة . ويقال للدم الذي ليست فيه صفرة دم باحري وبحراني(٧)

ويبدو ان هذه الالفاظ وتلك الاشتقاقات تظهر لنا تأويلات كثيرة ليس فيها ما يشير الى حقيقة تسميتها وقد رفضها ياقوت وقال بأن (هذا كله تعسف لا يشبه ان يكون اشتقاقا للبحرين)(٨)

ويعتقد بأن الصحيح عنده ما ذكره أبو منصور الأزهري حيث قال (انما سموا البحرين لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الاحساء وقرى هجر ، بينها وبين البحر الأخضر عشرة فراسخ)(٩)

أما هجر فهي الاخرى في اشتقاقها وجوه ويجوز ان يكون من هجر اذا هذى . ويجوز ان يكون منقولا من الفعل الماضي . أو من الهجرة واصله خروج البدوي من باديته الى المدن ثم استعمل في كل محل سكنه ومنتقل عنه . ويجوز ان يكون أصله الهجران كأنهم هاجروا ديارهم . وانتقلوا عنها(١٠)

وفي نص آخر يذكر اشتقاقها من هجرت البعير اهجره هجرا اذا ربطت حبلا في ذراعه الى حقوه وقصرته لئلا يقدر على العدو . ويجوز ان يكون . من التهجير وهو التبكير الى الحاجة . او من الهاجرة وهي شدة الحر وسط النهار او ان يكون شيء مهجر اذا افرط في الحسن والتمام(١١)

وعن ابن الحايك يذكر ياقوت ان الهجر بلغة حمير والعرب العاربة القرية فمنها هجر البحرين وهجر نجران وهجر جازان . وهجر مدينة وهي قاعدة البحرين وربما قيل الهجر بالألف واللام . وقيل ناحية البحرين كلها وهو الصواب(١٢)

وانا اميل الى رأي ياقوت ولا اوافق ابن الكلبي الذي ينقل عن الشرقي قوله (انما سميت عين هجر بهجر بنت المكفف وكانت من العرب المستعربة . وكان زوجها محلم بن عبدالله صاحب النهر الذى بالبحرين يقال له نهر محلم ، وعين محلم . وينسب اليها هاجرى على غير قياس(١٣)

وهذا يوضح مدى التداخل بين الالفاظ والاشتقاقات اللغوية في اصل التسمية مع الظواهر الطبيعية والنظم الادارية احيانا لبعض المدن والبلدان .

أوضاعها الجغرافية

تقع البحرين على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية المطل على الخليج العربي(١٤) يحدها من الجنوب شبه جزيرة قطر وعمان ، ومن الشمال البصرة ، وشرقها الخليج العربي وغربها اليمامة(١٥)

وذكر الاصطخري انها في ناحية نجد ولكنها ليست من الحجاز(١٦) ويجعلها ابن الفقيه من العروض التي تشمل بالاضافة الى البحرين اليمامة وعمان(١٧)

وعندما قسم الجغرافيون العرب المعمورة آنذاك الى اقاليم وضعوا البحرين في الاقليم الثاني(١٨) طولها من الغرب اربع وسبعون درجة وعشرون دقيقة وعرضها اربع وعشرون درجة وخمسة واربعون دقيقة(١٩)

تبعد البحرين عن البصرة بـ ١٨ مرحلة(٢٠) على جادة الساحل . وعليه جادة الطريق البحري بنحو ١١ مرحلة .

ومن البحرين الى عمان نحو شهر

وبين البحرين والمدينة ١٥ مرحلة[٢١]

ويذكر ابن الفقيه المسافة بين البحرين واليمامة بمسيرة عشرة ايام وبين البحرين والبصرة بـ ١٥ يوما على الابل[٢٢]

يكاد يكون مناخ البحرين جزءا من مناخات شبه الجزيرة العربية الذى يوصف بوجه عام بأنه حار لقربه من خط الاستواء وتتفاوت فيه درجة الحرارة بين الليل والنهار . وتتعرض البحرين لهبوب الرياح الرطبة ايام الخريف وهي على العموم كثيرة الرطوبة قليلة الامطار حتى كان يقال ان « من سكن البحرين عظم طحاله »[٢٣] . اما غرب البحرين فمناخه صحراوي وفي السروات يكون هواؤها معتدلا كما ان شتاء البحرين معتدل الحرارة قليل الأمطار[٢٤]

تشكل تضاريس البحرين جزءا مكملا لتضاريس شبه الجزيرة العربية .. فهي تعد امتدادا لهضبة نجد وللجناح الشرقي للعروض التى تضم ايضا اليمامة وعمان[٢٥] وتفصل البحرين عن عمان برية قاحلة[٢٦] كما ان الرمال المعروفة «بالهبير» الذى أصله من الشقوق ، تمتد الى الأجفر عرضا ، وطولها من وراء جبل طيء الى ان تصل بالخليج العربي شرقا ويكون منها جزء يشمل من القادسية حتى البحرين في غربها[٢٧]

وهناك بعض المساحات الرملية التى تشتهر بها البحرين فرمال (تامور) معروفة بين البحرين واليمامة[٢٨]

وفي البحرين توجد الرمال المنبطحة التى تسمى «مرداء» لا نبت فيها وهي في مدينة هجر القصبة[٢٩]

و(النبوك) نوع من الرمال اللينة ويبدو انها تشكل ارض (جرعاء) بأحساء هجر[٣٠] ، هذا بالاضافة الى الرمال الموضوفة (بيرين) وهي كثيرة وممتدة باتجاه اليمامة غربا بنحو مرحلتين[٣١] ، ومن خلال هذه الهضاب والرمال المختلفة تتناثر بعض الجبال والمرتفعات . وذكر ابن الفقيه ان الحجاج سأل ابن القرية عن البحرين فقال له « كناسه بين مصرين كثيرة جبالها »[٣٢]

فهناك جبل يدعى (الرام) وهو معترض مطلع اليمامة ويحول بينها وبين يبرين والبحرين والدو والدهناء[٣٣]

وقد ذكر ياقوت الحموي بعض الجبال المشهورة في البحرين فهناك جبل (باب) يقع قرب مدينة هجر[٣٤] وفي غرب البحرين جبل (تليل) ويكون بينها وبين مكة المكرمة[٣٥]

واما جبل (تيمار) فلا يحدد ياقوت موقعه في البحرين[٣٦] بينما يذكر جبل (الردوف) موقعه شرق البحرين باتجاه اليمامة[٣٧]

وهناك جبل (الشيعان) والذى لا ندرى موقعه وهو من الجبال التي يتبرد بكهوفها[٣٨] ومن الجبال المنيعة والشامخة يذكر جبل (عطالة) وهو لبني تميم ويذكر الخارزنجي انه هضبة مابين اليمامة والبحرين[٣٩]

وقال السكري ان (عماية) جبل معروف بالبحرين[٤٠] ولكن لا يحدد موقعه . وكذلك الحال بالنسبة لـ (غلغل) الذى يكتفي ياقوت بذكره في نواحي البحرين[٤١]

وفيما بين البحرين والبصرة يقع جبل (قالع) وهذا الجبل له واد معروف باسمه ايضا[٤٢]

ومن الجدير بالذكر ان البحرين تشتهر ببعض الوديان منها وادى (اصبغ) ووادي (السر) بين هجر وذات العشر من طريق حاج البصرة ، ويقال ان طوله مسافة ايام كثيرة[٤٣] ولعله اطول الوديان في البحرين و(الفروق) وادى بين هجر

والصمان[٤٤] وفيما بين هجر واليمامة يقع وادي (مـو) الذي نـزله الحـطيئـة عـلى الزبرقان بن بدر فلم يجهزه وقتها[٤٥].

ولم يشر ياقوت الى طبيعة هذه الوديـان وفيما اذا كان من الممكن الاستفادة منها في الزراعة ولكن يبدو من خـلال اشارتـه الى وادي (والغ) ان به عين ماء تدعى (أبـير) تشرف على ذلك الوادي وهي دون الاحساء ويتضح ان عليها تقوم زراعة النخيل[٤٦].

ولعـل هذا المكـان كان يسمى مـوضع (شرب السبع) في والغ والتي تشكل فلاة بين هجر والدهناء[٤٧].

وهناك عين مـاء تدعى (ثـاج) ويذكـر محمد بن ادريس اليمامي ان عليها تقع قرية ثاج بالبحرين[٤٨] كما ان عين ماء (حدر) هي في مدينة هجر[٤٩].

ومن جبل (الرام) تجري عين ماء تدعى (بجو) وهي في منتصف اليمامـة ويبرين والبحرين والدهناء[٥٠]. والسرى والصفا نهـران من نهر محلم المعـروف بالبحـرين والذى يسقى قرى هجر كلها[٥١].

وفي ديار عبدالقيس بالبحرين توجد مياه تـدعى (عينـين)[٥٢]، ويبـدو ان (عـين محلم) هي اكبر هذه العيون والتى تشكل نهرا كبيرا جاريا . ويذكر ابومنصور بأنها عـين فوارة لم يـر عينا اكثـر ماء منهـا في منبعها . فاذا برد فهو ماء عذب وبهذه العين اذا جرت في نهرها خلج كثيرة تتخلج منها لتسقي نخيل جواثا وعسلج وقريات من قرى هجر[٥٣].

ومن نـاحية المشقـر وفيما بينهـا وبـين الصفـا تتفرع عـين محلم لتسقي مـزارع المشقر[٥٤].

وفي مدينة الزارة توجد عـين ماء تسقي هذه المدينة[٥٥] كما ان في ديـار عبدالقيس توجد عـين ماء تسمى (جـه)[٥٦] ويشير ياقوت الى وجود موضع في البحرين يـدعى (العيون) لا يحدد موقعه[٥٧] . ولا ندري ان كـانت ميـاه نهـر محلم وبعض انهـار البحرين تنبع من هذا المكان ولكن بطبيعة الحال فان هذه العيون والأنهـار هي التى تتكفـل بعمليـة الارواء لأراضي البحـرين الزراعية وسقايتها والتى تمثل اقتصادها . كما ان من الممكن ان توجد حول بعض هذه العيون الواحات الزراعيـة والتي تستهوي نشوء القرى وائتلاف السكان لكي تكـون مراكز اقتصادية وأسواقا تجارية نشطة .

ومن التضاريس المهمة في البحرين تلك البحيرة التي تدعى (بحيرة هجر) والتى تقـع على بـاب الاحساء وقـد قدرت هـذه البحيرة بثلاثـة أميال في مثلهـا ولا يفيض ماؤها وهو راكد زعاق[٥٨].

سـكانها :

تقول الروايات الاسطورية القـديمة ان منـازل طسم وجديس كـانت اليمامـة وما حـولها الى البحـرين ، ومنازل عـاد الأولى الاحقاف[٥٩].

وهذا يدل على قدم البحرين وان العرب قد سكنتها منذ أزمان بعيدة . وانها كانت على اتصال وثيق بالموارد البشرية في شبـه الجزيرة العربية حيث انساحت اليها القبائل العربية وجعلتها مسرحا « لنشاطهم القبلي والسيـاسي » . وهكذا يتضـح ان البحرين كانت قبيل الفتوح الاسلامية موطنا لقبائل عبـد القيس في حين كـانت اليمـامـة لبني حنيفة ، والجزيرة لبنى تغلب[٦٠].

ومما يؤيد رواية البلاذرى التى يتحدث بها عن فتوحها فيذكر ان بها خلقا كثيرا من العرب من عبدالقيس وبكر بن وائل وتميم مقيمين في باديتها[٦١].

ويقـول البلخي ان البحرين بهـا قـرى كثيرة وفيها قبـائل من مضر ذو عـدد وقد احتفوا بها (٦٢) ويؤكد الاصطخرى عـلى وجود قبائل مضر في البحرين ويقول (انهم كانوا ذو عدد وقد اختطوها) (٦٣) وينوه الى بـادية البصـرة ويشير الى ان أكثـر هـذه البوادى أحياء وقبائل واكثـرها من تميم ، حتى يتصلوا بـالبحرين واليمـامـة ثم من ورائهم عبدالقيس (٦٤) .

كما يؤكد ابن حوقل على وجود قبائل مضر في البحرين وانهم كانوا ذو عدة وعدد وانهم اغتصبوا البحرين أيام ضعف السلطان من اربابها (٦٥) .

ولكن ابن حـوقـل لم يشر الى الوقت أو التـاريـخ الذى اغتصبت بـه مضر ولايـة البحرين أقبل الاسلام كان ذلك أم بعده ؟

وعندما تحدث ياقوت في ترجمة (فطيمة) ذكر وجود بني شيبان وبني ضبيعة وتغلب من ربيعة (٦٦) وهو الأخـر لم يذكـر الزمن الذى تتواجد فيه هذه القبائل ؟

ومن الطبيعى ان السـواحل الشـرقيـة لشبـه الجزيـرة العربيـة كـانت مسـرحـا « للقبائل العربية قبل الاسلام وبعده ، وقد سجلوا في تاريخ البحرين أحداثا اجتماعية وسياسية مهمة . ذكر ابن حوقل انه (فيما بين العراق والشام واليمن مكان) الا وهو في ديار طائفة من العرب ينتجعونه في مراعيهم وميـاههم ، الا ان يكـون بـين اليمـامـة والبحرين وبين عمان ، ومن وراء عبد قيس برية خالية من الآبار والمراعى (٦٧) وفي مكان آخر يشير الى ان أكثر هذه النواحى أحياء وقبائل . أكثرها تميم حتى يتصلوا بالبحرين واليمامة ، ثم وراء عبد القيس (٦٨) .

وفي جزيرة أوال يذكر المسعودى عرب بنو معن وخلائق كثيرة من العـرب (٦٩) وهكذا يتضح ان السكان الاصليين للبحرين كانوا من القبائل العـربية التى نـزحت اليها من الجـزيـرة العـربيـة واستـوطنتهـا قبيـل الاسلام ، وظلت هذه القبائل عـلى اتصال دائم بقلب الجزيرة العـربية ومـع بطونهـا وعشائرها . ترفد البحرين بموجات بشرية عربية استمرت حتى بعد اسلامها فـظلت البحرين بذلك محافظة عـلى عروبتهـا رغم وجـود بعض الجزر البشـرية فيهـا والتي وفدت اليها من أماكن مختلفة .

فيشـير البلاذرى الى وجـود (المجـوس واليهـود والنصـارى) الذين كـانـوا موجودين في بداية الفتوح الاسلامية ولعل المجوس كانوا من الأصول الايرانية ، ولكن لا ندرى من أى العناصر البشرية كان اليهود والنصارى . أكانوا من العرب أم من شعوب سكنت البحـرين قبـل الفتـوح بفتـرة من الزمن ؟

ويقول البلخي ان البحرين (أكثر يهودا «لانها ليست من الحجاز»)

كـمـا يـشـير البـلاذرى الى وجـود (الاسبذيين) الذين كانوا يعبدون الخيل قبل الفتوح الاسلامية كما يؤكد البلاذرى وجود العجم الا انهم كانوا قلة

ومما يؤكـد وجود الجـاليات الايـرانية رواية ياقوت التى تشير الى ذكـر (جيلان) وهم قوم من أبناء فارس انتقلوا من نواحي اصطخر فنزلوا بطرف من البحرين فغرسوا وزرعوا وحفروا واقاموا هنـاك فنزل عليهم قوم من بني عجل فدخلوا فيهم (٧٠)

كما توجد اشارة الى وجود (السنابـرة) ويبدو من تسمية احدهم (سابور) انهم من أصول فارسية (٧١) .

وفي المـائـة الثـالثـة للهجـرة أصبحت البحـرين ديار القـرامطة بعـد سيـطرتهم

عليها [٧٢] .

ويذكر ابن حوقل بعضا « من رسومهم بأن (ركوب مشائخهم وأولادهم كان فرادى فيجتمعون الى قبلة الاحساء ، بالمكان المعروف بالجرعاء . ويلعب أحداثهم بالرماح على خيولهم وينصرفون أفذاذا » بغاية من التواضع وقد لبسوا البياض لا غير [٧٣] .

وكان من رسومهم أيضا « (ان تقع شوراهم بالجرعاء فيمن يخرجون لما فدحهم وأهمهم ، فأن اتفق رأيهم على خروجهم بأجمعهم لم يتخلفوا ونفذوا . وتركوا في البلد أوثقهم وأنشطهم منزلة عندهم) [٧٤] .

لقد سكتت المصادر الجغرافية عن ذكر حياتهم الاجتماعية ونشاطاتهم اليومية وعاداتهم وتقاليدهم وطبائعهم وغير ذلك مما قد يشكل لدينا بعض الصور التى ربما قد تختلف عن تلك التى كانت سائدة في جميع أطراف شبه الجزيرة العربية .

فتوحها :

ان أوسع المصادر الأولية التى تحدثت عن فتوحها هو البلاذرى . ويذكر ان بداية فتوحها كان سنة ٨ هجرية عندما وجه الرسول (ص) العلاء بن عبدالله بن عماد الحضرمي حليف بني عبد شمس الى البحرين يدعو أهلها الى الاسلام او الجزية وكتب معه الى المنذر بن ساوى والى سيبخت مرزبان هجر يدعوهما الى الاسلام أو الجزية فأسلما وأسلم معهما جميع العرب وبعض العجم [٧٥] .

وهذا يعني ان البحرين كانت تحت سيطرة النفوذ الايرانى . أما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فانهم صالحوا العلاء وكتب بينه وبينهم كتابا « نسخته « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمي أهل البحرين . صالحهم على ان يكفونا ويقاسمونا التمر . فمن لم يف بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » وهكذا دخلت البحرين في ارض الصلح دون قتال ففرض على أهل الذمة الجزية على الرؤوس فأخذ لها من كل حالم دينارا » [٧٦] .

وعن ابن عباس قال إن رسول الله (ص) كتب الى أهل البحرين «أما بعد فانكم اذا اقمتم الصلاة وأتيتم الزكاة ونصحتم الله ورسوله وأتيتم عشر النخل ونصف عشر الحب ولم تمجسوا أولادكم فلكم ما اسلمتم عليه غير ان بيت النار لله ورسوله وان أبيتم فعليكم الجزية) فكره المجوس واليهود الاسلام وأحبوا اداء الجزية [٧٧] .

ويبدو ان هذه أول مرة يقبل فيها الرسول (ص) الجزية من المجوس وهم من غير أهل الكتاب وفي رواية أخرى يذكر البلاذرى ان الرسول (ص) وجه العلاء حين وجه رسله الى الملوك في سنة ٩ للهجرة [٧٨] . وعن العلاء الحضرمى قال (بعثنى رسول الله (ص) الى البحرين (أو قال هجر) وكنت آتى الحائط بين الاخوة قد اسلم بعضهم فأخذ من المسلم العشر ومن المشرك الخراج) [٧٩] .

وفي هذه الرواية ما يشير الى اسلام البعض من العرب ودخول بعض أراضي البحرين بالمصالحة وابقائهم على الشرك . وهم من أهل الكتاب . فأصبحت أراضيهم تدفع الضريبة الخراجية .

ويحدثنا قتادة قال (انه لم يكن بالبحرين أيام رسول الله (ص) قتال . ولكن بعضهم اسلم وبعضهم صالح العلاء على انصاف الحب والتمر) [٨٠] .

وهـذا يعني ان البحـريـن قـد دخلت الاسلام بغير اجاف خيل او ركاب ولم يكن فيها قتال . ولهذا يذكر الزهرى بأن رسول الله (ص) أخذ الجزية من مجوس هجر [٨١] ويبدو ان ذلك كان نتيجة لطبيعة البحـرين السياسية وارتباطها الاجتماعي وتكوينهـا البشرى .

ويحدثنا سعيد بين المسيب قـال (أخذ رسول الله (ص) الجزية من مجوس هجـر وأخذها عمر من مجوس فارس ، وأخذهـا عثمان من بربر [٨٢] .

وفي كـل من النصوص مـا يشير الى ان المجـوس واليهـود لم يسلمـوا وان الذين اسلموا هم العرب وهذا يعنى ان اليهود ربما كانوا من أجناس غير عربية في حين تناست الروايات وضع النصارى في الفتوح وهـذه رواية البلاذرى تذكر ان الرسول قد كتب الى المنذر بن ساوى وكان على البحرين يدعوه الى الاسلام فأسلم ودعا أهل هجر فكانـوا بين راض وكاره أما العرب فأسلموا ، واما المجوس واليهود فرضوا بالجزيـة فأخـذت منهم [٨٣] .

ولـما مات المنـذر بن ساوى بعـد وفـاة النبي (ص) بقليل ارتد من بالبحرين من ولد قيس بن ثعلبة مع سائر من بـالبحرين من ربيعة والمجوس . فسار اليهم العلاء ففتح حصن جواثا ودخل مدينة المشقر عنوة ثم فتح الزارة ودارين والسابون وكان ذلك في خلافة أبى بكر وعمر (رضى) [٨٤] .

وبعد حركات التحريـر العسكريـة هذه ارتبـطت البحرين بصـورة نهائيـة بالفكـر الاسلامى والحضارة الاسلامية وعادت الى أحضان الأم لتكون ولاية عربية اسلاميـة مرتبطة بـالحكم العربى الى وقتنـا الحاضر لتساهم في بناء التراث والمجد العربيين .

النظم الادارية :

تـرتبط التقسيمـات الاداريـة احيـانـا بالظواهر الطبيعية والجغرافية ، وفي أحيان أخـرى بالاعتبـارات السياسيـة والتى قد تكون مستندة في وقت ما على واقـع النظم القبليـة السائـدة آنذاك . وقـد وصلنا عن تقسيمات بلاد العرب تقسيمان :

التقسيم اليوناني الرومـاني : حيث قسم هؤلاء الكلاسيكيون بلاد العـرب الى ثلاثة اقسام :

أ ـ بـلاد العـرب السعيـدة أو العـربيـة السعيدة .

ب ـ بـلاد العرب الصخـرية أو العـربيـة الحجرية .

جـ ـ بلاد العرب الصحـراوية أو العـربية الصحراوية .

وهذا التقسيم في الواقع يتفق والناحية السياسية التى كانت عليها البلاد العربية في القرن الأول الميلادى [٨٥] .

فالقسم الأول مستقل ، والثاني قريب من الرومان ثم أصبح تحت نفوذهم ، والثالث فهو البادية الى نهر الفرات ويسيطر عليـه الفرثيون اسما [٨٦] . وكانت البحرين تقع ضمن القسم الأول [٨٧] .

٢ ـ **التقسيم العربى الاسلامي** : وهو في نظر المؤرخين المسلمين يشمـل تهامـة ، الحجاز ، نجد ، العروض ، اليمن . ويرجع الرواة اقدم النصوص في هذا التقسيم الى عبـدالله بن عبـاس [٨٨] ويبـدو ان هـذا التقسيم قد ورد في القرن الأول الهجري أو قبله بقليل .

واستنادا الى ما ذكـره ابن الفقيه فـإن البـحـريـن واليـمـامـة الى عـمـان من

العــروض [٨٩] وقـد سبق لابن الكلبي ان ذكـرها حيث قـال بأن العـروض هي بلاد اليمـامة والبحـرين ومـا والاهـا [٩٠] ومن اقسام العروض شبه جزيرة قطر التي تمتد من عمـان الى حـدود الاحسـاء [٩١] امـا الاحساء فكانت قديما تعرف بهجر والبحرين وكانت تطلق على المنطقة الممتدة من البصرة الى عمـان [٩٢] والبحرين فهي تلك الجـزر المنفصلة عن ساحل قطر والقطيف [٩٣] وقد ذكرها الأقدمون بأنها قـطر متسع مجـاور للبحر العربي كثير النخل والثمار والمشهورة فيـه من البـلاد هجـر وكـانت قـاعـدة البحرين [٩٤].

وقال عنها ياقوت بأنها (اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصـرة وعمان وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة وربما عـد بعضهم اليمامة من أعمالها [٩٥].

وعندما تحدث البلاذري عن فتوحها ذكر تعبير (أرض البحرين) واسبذ قريـة بهجر وان سيبخت مرزبان هجر [٩٦].

وهذا يعنى ان البحرين كـانت بلادا أو امارة أو ولاية وان هجـر هي قصبتها لأن مركز الادارة فيهـا لوجود المـرزبان . وان الرسـول (ص) كتب الى (أهل هجـر) مما يشـير الى أهمية المـدينة بكـونهـا قصبـة البحرين [٩٧].

ثم يذكر بأن القطيف والخط من نواحي البحرين [٩٨] وبان جواثا حصن بالبحرين وكذلك المشقر والزارة والسابون ودارين ثم مدينة الغابة [٩٩] التى تدل على انهـا مدن لورود تعبير (قرى من السابون) وان دارين جزيرة في البحر [١٠٠].

وحينمـا يتحدث ابن رستـة عن الاقليم الثاني من اقاليم المعمورة يذكر ان (اليمامة والبحرين وهجر)[١٠١] أي ان هنـاك فصلا «بـين البحرين وهجـر وانهما ليسـا شيئا واحدا» ويعدد ابن خرداذبه قرى البحرين بـأنها (الخـط والقطيف وهجـر والفـروق وبينونة والمشقر والزارة وجواثـا وسابـون ودارين والغابة والشنون) [١٠٢].

ويتضح ان جميع هذه التسميات كانت عنـد ابن خرداذبـه (قرى) وليست مـدنـا ولا ندرى ماذا يعني بكلمة قرى هذه ويبدو انه قد وقع في الخطأ أو من قبيل النساخ اذ لا يعقل ان تكون جميع تلك التسميات قرى في القرن الثالث للهجرة وان كانت من المدن الصغيرة علما بأنه ليست هناك صعوبة لديه في التفرقة بين المدن والقرى ؟!

وفي المائة الثالثة للهجرة كتب قدامه بن جعفر عن البحرين ويذكر مدنها (الرميلة ، جواثا ، الخط ، القطيف ، السابون ، سوم ، المشقر ، الدارين ، الغابة)[١٠٣].

ومن الملاحظ انه لم يذكـر (هجر) فلعله اعتبرها هي البحـرين أو انها سقـطت من النسخ .

ويقول البلخي ان هجر مدينة البحـرين وللاخيرة قرى كثيرة[١٠٤] ولكنه لم يحـدد هذه القرى أو يذكر مدنها .

ويقسم الاصـطخري ديـار العـرب الى الحجاز والذى يشمل مكة والمدينة واليمامة ومخاليفهما ونجد والحجاز المتصلة بأرض البحرين وباديـة العراق وبـادية الجـزيرة وبادية الشام واليمن وتهامة ونجد وعمـان وحضرموت وبـلاد صنعاء وعـدن وسـائـر مخاليف اليمن[١٠٥].

ثم يذكر بـأن للبحرين قـرى كثيرة وان هجر هي قصبتها[١٠٦] ولكنه سكت عن ذكر مدنها أو الاشارة الى قراها .

وفيما كان المسعودى يتحدث عن سواحل الخليج العربي ذكـر (بلاد البحـرين) كما

أشار الى جزيرة (أوال) التي بينها وبين مدن البحرين اقل من يوم [١٠٧] .

ثم يذكر مدن الساحل (الزارة والقطيف) من ساحل (هجر)[١٠٨] .

وفي المائة الثالثة للهجرة كتب ابن الفقيه عن البحرين وذكر بإن (هجر) مدينتها[١٠٩] ثم عدد مدنها وهي (الخط ، القطيف ، الارة ، هجر ، البينونة ، الزارة ، جواثا ، السابور (السابون) دارين الغابة) . ثم قال بأن قصبة هجر هي الصفا والمشقر والشيعان وان المسجد الجامع في المشقر)[١١٠] .

ثم ذكر بعدها قرى البحرين كالآتي : (الحوس ، الكثيب الأكبر ، الكثيب الأصغر ، أرض نوح ، ذو النار المالحة ، والبدى ، الخرصان ، المسهلة ، الجوجر ، الوجير ، الطربال ، المنسلخ ، المرزى الصلع ، الشط ، القرحاء ، الرميلة ، البحرة ، الرجراجة ، العرجة)[١١١] .

ومن الطريف ان ابن الفقيه يقول بإن هذه هي (قرى بني محارب بن عمرو بن وديعة ، اما قرى بني عامر بن الحارث بن انمار بن عمرو بن وديعة فهي اضعاف هذه)[١١٢] .

ومن الجدير بالذكر ان (الرميلة) التي اعتبرها قدامه من المدن . ذكرها ابن الفقيه ضمن القرى ولا نعلم هل كانت مدينة زمن قدامه ثم أصابها الخراب فأصبحت قرية أم ان احدهما وقع في الخطأ في احتسابها . ويبدو انها كانت قرية لأن الجغرافيين الذين سبقوا قدامة لم يذكروها ضمن تعدادهم لمدن البحرين .

واذا كان بن حوقل قد عرف عنه باستنساخه لكتاب الاصطخري فانه يتوسع عنه في بعض الاحيان ليذكر معلومات جديدة لعلها نتيجة لزياراته للمدن والأقاليم . ومن هنا فقد ذكر مدن البحرين كالآتي : (هجر ، الاحساء ، القطيف ، العقير ، بيشه ، الخرج ، أوال وهي جزيرة)[١١٣] وبذلك فقد خالف ابن حوقل من سبقه من الجغرافيين العرب في ذكره لمدن البحرين . ويبدو انه تحدث عن ادارتها وقت التوسع السياسى والعسكرى للبحرين أيام الخليفة المطيع عام (٣٦١ هـ)[١١٤] وعليه فلا نستغرب ان تكون مدن (بيشه والخرج والعقير) ضمن التقسيمات الادارية للبحرين . ومن يدرى فربما كانت أصلا تابعة لها وان الجغرافيين العرب قد تناسوها لاعتبارات معينة لم يذكروها .

ويبدو ان مدينة (هجر) قد أصبحت في النصف الثانى من القرن الرابع للهجرة اكبر مدن البحرين[١١٥] ويأتى المقدسى كعادته بتقسيم ادارى مغاير لمن سبقه من الجغرافيين . فيقول ان جزيرة العرب (قد جعلناه أربع كور جليلة وأربع نواحى نفيسة ، والكور أولها الحجاز ثم اليمن ثم عمان ثم هجر والنواحي الاحقاف والأشبار واليمامة وقرح)[١١٦] .

ان هذا التقسيم ينفرد به المقدسى ولا يشير اليه غيره مما يدل على ان هذا التقسيم من عنده ولا علاقة له بالادارة . ومن الطريف ان المقدسى قد جعل هجر هي البحرين وان التسمية لديه واحدة فالولاية يدعوها هجر وقصبتها الاحساء[١١٧] وفي ذكره للمدن المحيطة بقصبتها يقول (وللاحساء ـ قصبة هجر ـ الزرقاء ، سابون ، أوال ، العقير)[١١٨] .

ثم يضيف وناحيتها اليمامة ، (وأكثر مدن هذه الجزيرة صغار لكنها على ابين المدن)[١١٩] .

ثم يستعمل لفظه (الخزائن) فيقول (والزرقاء وسابون في خزائنهم وكذلك أوال وسائر المدن في البحرين أو قريبات من البحر)[١٢٠] .

ان أوسع المصادر الجغرافية التى تحدثت عن البحرين هو ياقوت الحموى حيث قدم لنا ترجمات واسعة ومتعددة عن مدن البحرين وقراها وأوضاعها الجغرافية العامة ، ففي حديثه عن هجر يقول (هجر مدينة وهي قاعدة البحرين .... وقيل ناحية البحرين كلها هجر وهو الصواب)[١٢١] .

ثم يذكر ياقوت أيضا بإن (هجر بلاد قصبتها الصفا) كما ينقل عن ابن موسى قوله : (هجر قصبة بلاد البحرين)[١٢٢] .

ثم يدون رواية ابن الفقيه عن مدن البحرين، وكيف أن قصبة هجر هي الصفا والمشقر [١٢٣] اما اهم مدن البحرين عند ياقوت فهي :

١ـ الاحساء : منها احساء بنى سعد ـ هجر احساء القطيف ـ مدينة بالبحرين معروفة مشهورة. كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر ابو طاهر الحسن بن ابى سعيد الجنابى القرمطى وبقيت الى زمن ياقوت مشهورة عامرة [١٢٤].

٢ ـ أوال : اشهر مدن البحرين (اليوم) [١٢٥].

٣ ـ بارنجان : بلد بالبحرين فتحه العلاء بن الحضرمي سنة ١٣ أو ١٤ هـ في أيام عمر بن الخطاب (رضى) [١٢٦].

٤ ـ جواثا : يقول ياقوت هو حصن لعبد القيس فتحه العلاء الحضرمي في أيام ابى بكر (رضى) عنوة سنة ١٢ هـ وينقل ابن الاعرابي نصا يفيد بأن جواثا مدينة الخط والمشقر مدينة هجر. وجواثا اول موضع جمعت فيه الجمعة بعد المدينة [١٢٧] .

٥ ـ حوارين : بلدة بالبحرين افتتحها زياد بن عمرو بن المنذر فكان يقال له زياد حوارين[١٢٨].

٦ ـ دارين : (فرضة بالبحرين) وقيل ان المسلمين اقتحموا الى دارين البحر مع العلاء الحضرمي. فأجازوا ذلك الخليج باذن الله جميعا. [١٢٩]

٧ ـ سفار : بلد بالبحرين [١٣٠].

٨ ـ الشبا : مدينة خربة بأوال يعنى بأرض هجر والبحرين [١٣١]

٩ ـ القطيف : مدينة بالبحرين هي في زمن ياقوت قصبتها واعظم مدنها وكان قبل ذلك اسم الكوت هناك غلب عليها اسم هذه المدينة [١٣٢].

١٠ ـ المشقر : عن ابن الفقيه انه حصن بين نجران والبحرين. وعن غيره هو حصن عظيم لعبد القيس يلي حصنا لهم آخر يقال له الصفا قبل مدينة هجر والمسجد الجامع بالمشقر ويذكر ياقوت ان الصفا قصبة هجر [١٣٣]

أما قرى البحرين التى ذكرها ياقوت فهي :

١ ـ ارض نوح [١٣٤]

٢ ـ اسبذ [١٣٥]

٣ ـ اوجار ـ قرية لبنى عامر بن الحارث من عبد القيس [١٣٦].

٤ ـ البدو : من قرى هجر بين الزرائب والحوضى [١٣٧]

٥ ـ ثاج [١٣٨]

٦ ـ انجار : قرية لبنى عبدالقيس ثم لبنى عامر منهم [١٣٩]

٧ ـ جبلة : قرية لبنى عامر بن عبد القيس (١٤٠).

٨ ـ جريب : تصغير جرب من قرى هجر (١٤١)

٩ ـ الجياز : قريتان بالبحرين (١٤٢).

١٠ ـ حران : حران الكبرى وحران الصغرى قريتان لبنى عامر بن الحارث (١٤٣)

١١ ـ الدبيرة : قرية بالبحرين لبنى عامر بن الحارث (١٤٤)

١٢ ـ الرافقة : من قرى البحرين عن نصر وقد خرج منها جماعة من اهل العلم ولهم تاريخ منهم محمد بن خالد بن بجيلة الرافقي كان ينزلها ويقال ان محمد بن اسماعيل البخاري روى عن الرافقي (١٤٥)

١٣ ـ الرجراجة : قرية لعبد القيس (١٤٦)

١٤ ـ رميلة : تصغير رملة قرية بالبحرين لبنى محارب بن عمرو. (١٤٧)

١٥ ـ ريمان : قرية لعبد القيس (١٤٨)

١٦ ـ الزارة : قرية كبيرة ومنها مرزبان الزارة وله ذكر في الفتوح وفتحت الزارة في سنة ١٢ هـ (١٤٩)

١٧ ـ السبخة (١٥٠)

١٨ ـ السهلة (١٥١)

١٩ ـ الصادر : قرية لبنى عامر بن عبد القيس (١٥٢)

٢٠ ـ الطربال (١٥٣)

٢١ ـ ظلامة (١٥٤)

٢٢ ـ الظهران قرية بالبحرين لبنى عامر من بنى عبد القيس (١٥٥)

٢٣ ـ عدولي (١٥٦)

٢٤ ـ العرجة : قرية لبنى محارب من بنى عبد القيس (١٥٧)

٢٥ ـ العقير : قرية على شاطىء البحر بحذاء هجر (١٥٨).

٢٦ ـ عنك (١٥٩)

٢٧ ـ عنيزة (١٦٠)

٢٨ ـ القرضة : قرية لبنى عامر بن الحارث. نسب اليها أحمد بن هبة الله بن محمد بن أحمد بن مسلم القرضي ابو عبدالله المقرى كان من اهل البصرة سكن دسكره نهر الملك وتولى الخطابة بها الى حين وفاته (١٦١)

٢٩ ـ كثيب : قريتان بالبحرين الكثيب الاكبر والكثيب الاصغر وموضعان هناك (١٦٢)

٣٠ ـ كنبوت : قرية لبنى عامر بن عبد القيس (١٦٣)

٣١ ـ المرزى : قرية بالبحرين يصلى فيها يوم العيد. وهي رملة لبنى محارب (١٦٤)

٣٢ ـ المريداء : وهو الذي لانبات فيه. قرية لبنى عامر بن الحارث بن عبد القيس (١٦٥)

٣٣ ـ المطلع : قرية لبنى محارب بن عمرو (١٦٦)

٣٤ ـ نبطاء : قرية لبنى محارب بن عبد القيس (١٦٧)

٣٥ ـ نجبة : قرية لبنى عامر بن عبد القيس (١٦٨)

٣٦ ـ النقية : من قرى البحرين لبنى عامر بن عبد القيس (١٦٩)

٣٧ ـ نها : قرية لبنى عامر بن الحارث (١٧٠)

٣٨ ـ وجرة قرية بهجر (١٧١)

ويذكر ياقوت بعض التسميات ويطلق عليها اسم (النواحى) وهي ادم، وحوار، والستار وسرع (١٧٢)

كما يطلق لفظه المواضع ايضا وهي : بابين، برقان، برك، الغماد، بينونة، توام، جيار، رعن، سابور، سلمى، السيدان، شبر، صحصح، طريف، قصر جواثا، مربع، هدن (١٧٣)

ومن الطريف ان بعض النواحي كانت كبارا وتحتوى على قرى كثيرة (١٧٤) في حين

نجد ان بعض المواضع كانت مدنا في القرن الرابع للهجرة مثل بينونة وسابور (١٧٥)

ولم يوضح لنا ياقوت ماذا تعني عنده (المواضع) ويمكن القول ان (النواحي) اوسع من المواضع وهي بمثابة المدينة التى تحوى تجمعات سكنية كثيرة.

ويذكر ابو الفداء ان البحرين في ناحية نجد وهي على شط بحر الخليج العربي ولها قرى كثيرة. ثم يقول (بلاد البحرين هي هجر ونهايتها الشرقية والشمالية. ثم ينقل عن المشترك رواية الازهرى (انما سميت هجر بالبحرين ببحيرة لها عند الاحساء وبالبحر الملح)(١٧٦) ثم يذكر بعدها اهم مدنها وهي الاحساء.

١ ـ الاحساء : بليدة في البرية وهي عند القطيف في الغرب بميله عن الجنوب على نحو مرحلتين وليس للاحساء سور(١٧٧).

٢ ـ اوال : جزيرة بالقرب من القطيف (١٧٨).

٣ ـ تاروت : من البلاد القريبة من القطيف. بليدة في الشرق منها. واذا مد البحر أحاط بها وباراضيها فتصير جزيرة واذا جزر البحر انكشف بعض الارض التى بينها وبين القطيف فيصل اليها الناس في البر (١٧٩).

٤ ـ حوارين : بلدة بالبحرين (١٨٠)

٥ ـ القطيف : بلدة بناحية الاحساء في شرقها وهي على شط الخليج العربي على نحو مرحلتين ولها سور وخندق ولها اربعة ابواب والبحر اذا مد يصل الى سورها واذا جزر ينكشف بعض الارض ولها خور في البحر يدخل فيه المراكب الكبار الموسقة في حالة المد والجزر. والقطيف قريب سليمة في القدر وهي اكبر من الاحساء (١٨١)

ويذكر شيخ الربوة الانصاري بأن هجر اسم واقع على مجموعة وليس بأسم مدينة كالشام والعراق وخراسان. ومن امصاره يذكر الاحساء وهي القصبة وتعرف باحساء سعد يحيط بها غوطة نخل، والقطيف يحيط بها ساحل البحر وساحل هذا الصقع يسمى الخط وجزيرة أوال وهي تجاه البحر بينها وبين البحرين يوم وبها مدينة لها جامع ايضا (١٨٢)

لقد ذكرت كتب الفتوح والمصادر الجغرافية معلومات طريفة عن التقسيمات الادارية للبحرين منذ الفتح العربي لها وحتى القرن الرابع للهجرة.

ولما كانت البحرين ارضا عربية فانها تقع ضمن المفهوم الاداري العربي لها. فلم تكن البحرين مدينة مستحدثة انشئت بعد الفتوح الاسلامية وانما كانت قديمة وخضعت لعملية التطور الاداري الذي صاحب المدينة العربية في الارض العربية. فيذكر ابن الفقيه عن الحسن نصا يفيد بأن عمر بن الخطاب (رضى) مصر (سبعة امصار المدينة. والبحرين والبصرة والكوفة والجزيرة والشام ومصر) (١٨٣) وعندما نريد ان نعلم بأن كلمة (مصر) تعنى وضع الحدود او العلامة لها ادركنا كيف ان عمر بن الخطاب (رضى) اراد ان يضع حدودا لهذه المدن السبع. وقد أكد ابن الفقيه هذه الناحية عندما اشار الى أن (أهل هجر يكتبون في شروطهم اشترى جميع الدار بمصورها اي بحدودها) (١٨٤).

وهكذا كانت البحرين جزءا من التقسيم الاداري الذى كان معمولا به في الجزيرة العربية على الاقل قبل الفتح العربي الاسلامى وبعده (١٨٥).

ومن الجدير بالذكر ان الجغرافيين العرب لم يتفقوا على التعابير الادارية التى استعملوها لوصف الاماكن وشرح تفاصيل الادارة.

ففي فتوح البلدان للبلاذرى ترد لفظة (القرية) [١٨٦] ثم ذكر بأن القطيف والخط من (نواحى) البحرين ومن الغابة (مدينة) ولمدينة السابون (قرى) [١٨٧].

وهذا يدل على ان اصغر التقسيمات الادارية عند البلاذرى هي القرية ثم تليها الناحية التى تعد جزءا من المدينة وان للمدينة قرى متعددة يتوقف حجمها وسعتها على عدد القرى والنواحى واهميتها الحضارية الاخرى ولكن البلاذرى لم يشر الى التقسيمات الادارية المعمول بها في القرن الأول الهجري وما اذا كانت البحرين (اقليما أو مملكة أو كورة أو ناحية) او غير ذلك من التعابير الادارية المستعملة وقتها [١٨٨].

كما لم يصرح البلاذرى عن عاصمة البحرين، ولكنه أشار الى مدينة (هجر) ويفهم من سياق الرواية التى ذكر فيها (مرزبان هجر) [١٨٩] وبأن الرسول (ص) كتب الى (اهل هجر) [١٩٠] بأن المدينة كانت قصبة البحرين.

لقد جعل ابن خرداذبة البحرين كلها (مدينة [١٩١] ولها (قرى) عديدة [١٩٢] هي في الحقيقة مدن ذكرها غيره من المؤرخين. ويبدو أن ابن خرداذبه قد وقع في لبس من أمر هذه (القرى) أو لعلها كانت من المدن الصغار التى لا تستحق ان تكون في (ايين المدن) [١٩٣] لقد وردت البحرين عند قدامة في قائمة ارتفاعات ابن المدبر لخراج المملكة الاسلامية سنة ٢٣٧ هـ [١٩٤] ولهذا لم يذكر هل كانت البحرين كورة او اقليما ولكنه يجعلها ضمن سياق (النواحى) التى بقى عليه ان يذكرها [١٩٥] ولهذه الناحية تسع (مدن) [١٩٦] في حين اغفل ذكر (هجر) وربما كانت عنده هي البحرين او انها كانت من زلات القلم.

لقد قال البلخي بأن (هجر) مدينة البحرين [١٩٧] اي قصبتها وهذا يدل على ان البحرين كانت لديه اقليما او كورة ولها (مدن) وان لهذه المدن (قرى) [١٩٨].

ويبدو أن الاصطخرى قد تابع البلخي في جعل البحرين أما اقليما أو كورة فقال (واما البحرين فانها في ناحية نجد (مدينتها هجر) [١٩٩] ويتضح ان ذلك قد جاء تأكيدا للتقسيم الذي ذكره الاصطخرى (لديار العرب) التى يفهم منه انه ضمن الكورة [٢٠٠].

لقد استعمل كل من البلخي والاصطخرى لفظة (ومدينتها هجر) للدلالة على القصبة العاصمة وهذا يدل على ان البحرين كانت (كورة) لها قصبة ومدن تابعة لقصبتها [٢٠١].

واستنادا الى ما ذكره ابن الفقيه فإن (هجر مدينة البحرين) [٢٠٢] وقد عدها القصبة ، وان البحرين ضمن هذا السياق تعد (كورة) وان لهذه الكورة (مدنا) تضم قرى عديدة [٢٠٣] هو اول من أشار الى ان القصبة منقسمة الى (الصفا والمشقر) ان المسجد الجامع في المشقر [٢٠٤].

وهكذا يتضح بأن نظام (الكورة) في التقسيمات الادارية قد اخذ به ابتداء من القرن الثالث للهجرة [٢٠٥].

وقد تابع ابن حوقل سلفه من الجغرافيين في جعل البحرين كورة لها مدن [٢٠٦] ويبدو ان الجغرافيين العرب قد اخذوا تقسيماتهم الادارية من الدواوين [٢٠٧] في حين نجد ان المقدسي قد وضع تقسيما «اداريا» مخالفا لهم. فهو يقسم جزيرة العرب الى اربع كور جليلة واربع نواحى نفيسة وعد البحرين ضمن الكور الجليلة [٢٠٨].

ومن الجدير بالذكر ان المقدسي قد جعل

(هجر هي البحرين) وان (الاحساء) هي القصبة ثم عدد المدن المحيطة بالقصبة [٢٠٩] ولا نفهم من أين جاء المقدسي بهذا التقسيم الاداري ولعله من اجتهادة.

وهكذا نخلص الى ان البحرين كانت كورة وان لهذه الكورة قصبة هي هجر وللبحرين مدن لها قرى عديدة الا ان المصادر الجغرافية قد سكتت عن ذكر كيف كانت طبيعة هذه التقسيمات الادارية وحجمها وسعتها وادارتها. كما لا توجد اشارة توضح لنا سبب جعل (هجر) قصبة البحرين وهل كان ذلك لاهمية موقعها الجغرافي أم لاعتبارات سياسية واقتصادية.

كانت البحرين من الولايات العربية القديمة التي تنتمي الى الجزيرة العربية اصالة ثم مصرها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضى) [٢١٠] وكانت قبل الاسلام من مملكة الفرس المجوس ويحكمها أمير عربي يعين من قبلهم والى جانبه رجل من الفرس ويدعى (المرزبان) وهذه السلطة السياسية والعسكرية كان مقرها (هجر) قصبة البحرين [٢١١].

لقد تحررت البحرين من سيطرة الساسانيين زمن الرسول (ص) سنة ٨ هـ على يد القائد العربي العلاء بن الحضرمي فكان أول من وليها [٢١٢].

وبذلك اصبحت البحرين ولاية تابعة للدولة الاسلامية التى مقرها المدينة وبهذا فقد اصبحت جزءا من السياسة والادارة التى تقررها العاصمة المدينة.

وبين ولاة البحرين زمن الرسول (ص) يرد اسم أبان بن سعيد بن العاص بن امية [٢١٣] وبعد وفاة الرسول محمد (ص) ارجع الخليفة ابو بكر الصديق (رضى) العلاء بن الحضرمى على ولاية البحرين، ويبدو انه قد بقى عليها الى سنة ٢٠ هـ حيث توفي فعين الخليفة عمر بن الخطاب مكانه أبا هريرة الدوسي [٢١٤].

وهكذا اصبح ولاة البحرين وامراؤها يعينون من قبل الخلفاء المسلمين.

وفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضى) تقررت الاجهزة الادارية التى تشرف على ادارة البحرين فقد ذكر البلاذرى ان قدامه بن مظعون على الجباية وابا هريرة الاحداث والصلاة [٢١٥].

وفي رواية اخرى عن الهيثم يذكر البلاذري ان قدامه بن مظعون على الجباية والاحداث وابو هريرة على الصلاة والقضاء [٢١٦].

ومن الجدير بالذكر انه في بعض الاحيان كانت تضم عمان الى ولاية البحرين في فترة الخلفاء الراشدين [٢١٧] ثم استحدثت وظيفة ادارية اخرى فيها وهو صاحب الجيش الذي يشرف على ديوان الجيش واموره العسكرية [٢١٨] والى جانب تنظيمات الجيش يبدو ثمة تنظيم آخر وجد في العهد العباسي ابان سيطرة القرامطة عليها وهو (سرايا) الامراء والذي كان أشبه بحرس الخليفة ولها امير يدعى (صاحب السرايا) [٢١٩].

ان هذه الاشارات القليلة التى تتحدث عن شكل الادارة وصورتها في البحرين لا تعطينا فكرة واضحة عن النظم الادارية التى كان معمولا بها. ولكنها كما يبدو كانت الاصول الاولى للتطور الاداري الذي صاحب اتساع الادارة الاسلامية وتطورها عبر العصور الاسلامية وبخاصة في العصر العباسي الاولى حيث اصبحت الدواوين هي الاجهزة الادارية التي تهيمن على ادارة الدولة والولايات العربية الاسلامية التابعة لها.

قائمة مدن البحرين عند الجغرافيين العرب

	البلاذرى	ابن خرداذبه	قدامه	ابن الفقيه	ابن حوقل	ياقوت
١	هجر	هجر	—	هجر	هجر	هجر
٢	القطيف	القطيف	القطيف	القطيف	القطيف	القطيف
٣	الخط	الخط	الخط	الخط		الخط
٤	جواثا	جواثا	جواثا	جواثا		جواثا
٥	المشقر	المشقر	المشقر	المشقر		المشقر
٦	الزارة	الزارة	—	الزارة		الزارة (قرية)
٧	السابون	سابون	السابون	السابور		سابور (موضع)
٨	دارين	دارين	الدارين	دارين		دارين
٩	الغابة	الغابة	الغابة	الغابة		
١٠	—	الارة	—	الآرة		
١١	—	الفروق	—	—		الفروق (قرية)
١٢	—	بينونة	—	بينونة		بينونة (موضع)
١٣	—	الشنون	—	—		
١٤	—	—	الرميلة	الرميلة (قرية)		الرميلة (قرية)
١٥			سوم	—		
					الاحساء	الاحساء
					العقير	العقير (قرية)
					بيشة	حوارين
					الخرج	سفار
					اوال	اوال
						الشبا
						بارنجان

النظم الاقتصادية :

تكون البحرين جزءا جغرافيا وتضاريسيا يشبه الجزيرة العربية، وتغطي اراضيها نسبة كبيرة من الرمال والهضاب التي لا تسمح بالزراعة .. وبهذا تكاد تكون الزراعة في البحرين محصورة بين الوديان وحول العيون والآبار(٢٢٠) .

يقول ابن خرداذبة (مدينة البحرين ولا زرع لهم)(٢٢١) ويؤكد ياقوت هذا الرأي فيذكر بأن (مرداء هجر رمله دونها لاتنبت شيئا)(٢٢٢) .

ويتضح ان القرى الزراعية كانت تنشأ على العيون وبعض مجاري المياه(٢٢٣) وفي

هذه القرى تقوم الزراعة القليلة والتي لا تشكل اهمية اقتصادية في البحرين .

ومن الجدير بالذكر ان الزراعة هي الركيزة الاساسية التي تقوم عليها الصناعة وبالتالي تقوم التجارة وتزدهر كما يلعب مناخ البحرين دورا «بارزا» في قدرة الولاية الزراعية وتخصصها ويكاد يشكل (النخل) علامة بارزة في اقتصاد البحرين الزراعي : فيذكر البلاذري ان (التمر) قد دخل في الاتفاقية المعقودة بين العلاء بن الحضرمي واهل البحرين عند فتحها في نص الاتفاق (ويقاسمونا التمر) وكذلك (عشر النخل)(٢٢٤) مما يدل على اهمية التمور عندهم وكثرتها كما يؤكد ابن خرداذبة وجود النخيل في ولاية البحرين(٢٢٥) .

ويشير ابن الفقيه الى قدرة البحرين في انتاج التمور بقوله (ريف الدنيا من التمر ما بين اليمن الى البصرة وهجر)(٢٢٦) ثم يعود فيذكر رواية عن الجاحظ انهم احصوا اصناف نخل البصرة دون نخل المدينة ودون مصر واليمامة والبحرين)(٢٢٧) .

ويقول الاصطخري ان البحرين وهي اكثر تمورا)(٢٢٨) ومن الطريف ان هناك بعض القرى التي اشتهرت بزراعة النخيل في البحرين، فالسايم هي (نخيل بناحية الاحساء وهجر)(٢٢٩) وقرية (طاب) قرية لعلها سميت بهذا التمر وهي تنسب اليه(٢٣٠) .

وهناك قرية (القرضة) التي يكثر بها نوع من التمر مشهور(٢٣١) .

وتأتي بعد النخيل في الاهمية زراعة الحبوب من الحنطة والشعير(٢٣٢) ولكن يبدو ان كميتها لا تكفي لاستهلاكهم وبهذا يذكر ابو الفداء بأن (اهل الاحساء والقطيف يجلبون التمر الى الخرج وادي اليمامة ويشترون بكل راحلتين من التمر راحلة من الحنطة)(٢٣٣) .

وهذا يشير الى انهم يستوردون الحبوب من خارج البحرين وبالاخص من المناطق القريبة منهم . وهناك اشارة ترد بوجود الفواكه عندهم (والكروم) الكثيرة والعنب المفضل)(٢٣٤) .

والى جانب ذلك يوجد الفلاة التي تنبت الغضى والارطى والبقول(٢٣٥) ويتضح ان الزراعة كانت في البحرين تكاد تكون اقطاعات لقبائل البحرين وعشائرها وافخاذها ـ فمن خلال دراستنا لقرى البحرين نجدها موزعة لبني تميم وعبد القيس خاصة(٢٣٦) .

ان هذا النوع من الزراعة المحدودة ربما يعين لنا نوع الثروة الحيوانية، ولعل الابل كانت هي الحيوان المفضل عندهم(٢٣٧) .

وقد لا نستبعد وجود الاغنام لديهم والخيول العربية الاصيلة ولكن المصادر الجغرافية لا تشير الى ذلك او الى غيره من الحيوانات .

وبنفس الغموض سكتت المظان الجغرافية عن ذكر الصناعات القائمة في البحرين وقد تكون هذه الصناعات قليلة وصغيرة وتقتصر على بعض الملابس ومنتوجات النخيل والصناعات التي يحتاج اليها البيت البحريني من الاواني وغير ذلك بالاضافة الى صناعة السفن في (عدولي)(٢٣٨) ومن خلال هذا الابهام والغموض لا نجد اية اشارة عن تجارة البحرين بهذا الخصوص .

ومن الجدير بالذكر ان البحرين تقع على طريق التجارة الذي يصل البصرة بجنوب شرق آسيا وسواحل افريقيا(٢٣٩) وهذا الطريق البحري كان له اهميته في ازدهار

مـالية البحـرين لانهم كانـوا يستحصلون الضريبة المفروضة على السفن .. يقول ابن حوقل (واوال وهي جزيرة .. بها الضريبـة العظيمة على المراكب المجتـازة بهم .. وبها امـوال وعشور ووجـود مـرافق وقـوانـين ومراصد وضروب مرسومة من الكلف)[٢٤٠] ومدينة دارين هي فرضة البحـرين ويجلب اليها المسك من الهند[٢٤١] .

وفي بعض المدن منها تـوجد مغـاصات اللؤلؤ التي اشتهرت بها البحـرين فيذكـر المقدسي ان (اللؤلؤ في الاقليم بحدود هجـر يغاص عليه في البحر بازاء اوال[٢٤٢] ويقول ابو الفداء ان (اوال وبها مغاص مفضل على غـيـره) وكـذلك الحـال بـالنسبـة ل (القطيف)[٢٤٣]

ويبدو ان هذه كانت هي المادة الوحيدة والاسـاسية التي تشكـل تجارة البحـرين وبخـاصة البحـرية منهـا . اضف الى ذلك المسـالك والطرق التجـاريـة التي تـربـط البحرين بمدن الجزيرة العـربية والبصـرة وقـد ذكرهـا الجغـرافيـون العـرب بحيث وضحـوا ارتباط البحـرين بمكة والمدينـة وعمان ومسقط واليمن والبصرة ومن خلالها يكون الاتصال بأنحاء العراق والشام ومصر[٢٤٤] .

ولهذا لا نستغرب وجود سوق لأهل نجد في مـراغـة هجـر[٢٤٥] كـانت الضـريبـة المفـروضـة عـلى البحـرين متغيـرة لتغـير الاوضاع السياسيـة في الدولة الاسلاميـة فلقـد استطاع العـلاء بن الحضـرمي ان يستحصـل من البحرين في أثنـاء الفتـوح الاسلامية عـلى (٨٠) ألف درهم[٢٤٦] وفي خلافة عمر بن الخطاب (رضي) اجتمع لابي هريرة مبلغ قدره عشرة الآف ، او اثنا عشر الفا ،[٢٤٧] ان هذه الغنائم لم تكن ثابتة على ما يبدو . ولكن (ارتفاع اليمامة والبحرين على ما ثبت في عمل كان ابن المدبر قد نظمة للارتفاع سنة (٢٣٧)من العين خمسمائة الف وعشرة الاف دينار)[٢٤٨] وهو مبلغ ليس بـالقليل اذا مـا اخـذ اقتصـاد البحـرين الزراعي والصناعي بعين الاعتبار .

وقـد يكون اكثـر ذلك عن طريق عشور التجارة وجماركها سواء كان ذلك في البر او البحر وما تجلبـه الضرائب الزراعيـة لهم حيث بلغ نحو ثلاثين الف دينار[٢٤٩] هذا بالاضافة الى ما يرد اليهم من مال البصرة والكـوفة ومـا يقبضونـه من الحجاج وقت سيـطرة القرامـطة عليها ومن (مـال عمان والغـنـائم دون الخـمس الخـارج عنـهم لصاحب الزمان الف الف دينار وربما زادت المائة والمائتي الف دينار »[٢٥٠] ويحـدثنا ابن حوقل عن توزيع هذه الاموال الواردة الى بيت مال البحرين فيـذكر ان ذلك كـان « لاتبـاعهم المعروفـين كانـوا بـالمـؤمنـين (فيعـزل الخمس بسهم صـاحب الزمـان والثـلاثة الاخمـاس لولد ابي سعيـد عـلى قوانين وضعوها بينهم وكان الخمس الباقي للسنابرة)[٢٥١]

وهكذا لم يوضح وجود بيت مال الامارة ليتوزع امواله على دواوينها وموظفيها .

ومن خلال ذلك نستطيـع ان نفهم كيف كانت النظم الاقتصـادية للبحـرين ودرجة تغيرها بالنسبة لبقيـة الولايات الاسـلامية وعليـه لا يمكن قياس تقـدمها وازدهـارها الحضـاري وفق تلك المتغيرات السيـاسية والادارية فيها آنذاك .

مصادر البحث

١ ـ الاصطخرى : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤١هـ)
مسالك الممالك دى غويه ـ بريل ـ ليدن ١٩٢٧م .
٢ ـ البلاذرى : احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)
فتوح البلدان
نشره د صلاح الدين المنجد .. القاهرة ١٩٥٦م
٣ ـ البلخي : ابو زيد احمد بن سهل (ت ٣٢٢ هـ)
صور الاقاليم مخطوطة المكتبة المركزية جامعة البصرة رقم ٦٣٧
٤ ـ ابن حوقل : ابو القاسم محمد بن علي (ت ٣٦٧ هـ)
صورة الارض ـ مكتبة الحياة ـ بيروت .
٥ ـ ابن خردانبة : ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ)
المسالك والممالك
دى غويه ـ بريل ـ ليدن ١٨٨٩م
٦ ـ الخوارزمى : ابو جعفر محمد بن موسى (ت ٢٣٢ هـ)
صورة الارض
فينا ١٩٢٦
٧ ـ شيخ الربوة : شمس الدين بن عبد الله محمد بن ابى طالب الانصارى الدمشقى (ت ٧٢٧ هـ)
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر
لا يبزج ١٩٢٣م
٨ ـ ابن رستة : ابو علي بن عمر (ت ٢٩٠ هـ)
الاعلاق النفيسة
دى غويه ـ بريل ـ ليدن ١٨٩١م
٩ ـ سهراب : عجائب الاقاليم السبعة
فينا ١٩٢٩م
١٠ـ ابو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن نور الدين محمد بن عمر (ت ٧٣٢ هـ)
تقويم البلدان . باريس ١٨٤٠م
١١ـ ابن الفقيه : ابو بكر احمد بن محمد الهمدانى (ت ٣٦٥ هـ)
مختصر كتاب البلدان
دى غويه ـ بريل ـ ليدن ١٨٨٥م

١٢ـ قدامة : ابو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٢٠ هـ)
الخراج وصنعة الكتابة
دى غويه ـ بريل ـ ليدن ١٨٨٩م
١٣ـ المسعودى : ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ)
مروج الذهب . مصر ١٩٦٤م
١٤ـ المقدسي : ابو عبدالله محمد بن احمد البشارى (ت ٣٥٧ هـ)
احسن التقاسيم
دى غويه ـ بريل ـ ليدن ١٩٠٦م
١٥ـ ياقوت : شهاب الدين ابى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى البغدادى (ت ٦٢٦ هـ)
معجم البلدان لا يبـزج ١٨٦٦ ـ ١٨٧٠ م

المصادر المساعدة

١ ـ البكرى : ابو عبيد عبدالله بن عبدالله الاندلسى (ت ٤٨٧ هـ)
معجم ما استعجم
القاهرة ١٩٤٥
٢ ـ الهمدانى : ابو محمد الحسن بن احمد (ت ٣٥٠ هـ)
الاكليل ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٩٨٠
٣ ـ الالوسي : محمود شكرى
بلوغ الارب . المطبعة الرحمانية
مصر ١٩٢٤م
٤ ـ البكر : د. منذر البكر
دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام
مطبعة جامعة البصرة ١٩٨٠
٥ ـ حتى : فيليب حتى وآخرون
تاريخ العرب ـ مطول
بيروت ـ ١٩٧٤م
٦ ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ الترجمة العربية
القاهرة ١٩٣٣
٧ ـ عزام : عبدالوهاب عزام
مهد العرب
٨ ـ علي : جواد علي
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام
بيروت ١٩٦٨م
٩ ـ وهبة : حافظ
الجزيرة العربية في القرن العشرين .

الهوامش

(١) ابو الفداء ـ تقويم البلدان ص٩٨
(٢) معجم البلدان ١ /٥٠٦
(٣) احسن التقاسيم ص٣٠
(٤) نخبة الدهر ص١٢١
(٥) ابو الفداء ـ تقويم البلدان ص٩٩

(٦) ياقوت ـ معجم البلدان ١ /٥٠٦
(٧) ن.م
(٨) ن.م
(٩) ن. م. وذكر ان في قصتها طول ذكرها في اخبار ابومحمد اليزيدي في كتابه (اخبار الادباء) .
(١٠) ن.م ٤/٩٥٢

(١١) ياقوت ـ معجم البلدان ٤/٩٥٢
(١٢) ن.م
(١٣) ن.م
(١٤) ابن خرداذبة المسالك والممالك ص٦٠ قدامة ـ الخراج ص١٩٣ ، البلخي ـ صور الاقاليم ورقة٧ .
(١٥) ن.م وانظر ابن رستة ـ الاعلاق النفيسة ص٨٧/ ١٨٢ الاصطخري ـ مسالك الممالك ص ١٩ ـ ابن الفقيه ـ البلدان ص ٣٠ ، ابن حوقل ـ صورة الارض ص٢٧ .
(١٦) المسالك والممالك ص١٩ ، والبلخي ـ صور الاقاليم ورقة ٧ .
(١٧) البلدان ص٢٧ .
(١٨) سهراب ـ عجائب الاقاليم ص١٩ ، ابن رستة ـ الاعلاق النفيسة ص٩٦ الخوارزمي ـ صورة الارض ص١٠ .
(١٩) ياقوت ـ معجم البلدان ١ /٥٠٦ وله رواية اخرى يذكر فيها ارقاما مغايرة نسبيا عن هذه في ٤/٩٥٢ .
الدرجة : ٢٥ فرسخا والدرجة تنقسم الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية
الفرسخ : ثلاثة اميال والميل اربعة الاف ذراع .
(٢٠) المرحلة : ١٢ فرسخا تقريبا . انظر هذا في مقدمة ياقوت لمعجم البلدان في الجزء الاول منه .
(٢١) الاصطخري . مسالك الممالك ص٢٧ ـ ٢٨ ، ابن حوقل ـ صورة الارض ص٤٥ ـ ٤٧ .
(٢٢) البلدان ص٣٠
(٢٣) انظر . ابن رستة ـ الاعلاق النفيسة ص ٨٣ ، ابن خرداذبة المسالك والممالك ص١٧١

(٢٤) المقدسي ـ احسن التقاسيم ص٩٥ .
(٢٥) الاصطخري ـ مسالك الممالك ص١٩ ، ابن الفقيه ـ البلدان ص٢٧
(٢٦) الاصطخري ـ مسالك الممالك ٢٦ ، ابن حوقل ـ صورة الارض ص٤٥ .

(٢٧) ابن حوقل ـ صورة الارض ص٤٢ .
(٢٨) ياقوت ـ البلدان ١/٧١٣
(٢٩) ن. م ٤/٤٩٢
(٣٠) ن. م ٤/٧٤٠ (جمع النبك وهو جمع نبكة) .
(٣١) ن. م ٤/١٠٠٦
(٣٢) البلدان ص٩٢ .
(٣٣) ن. م ص٢٨
(٣٤) معجم البلدان ١/٤٣٧
(٣٥) ن. م ١/٨٧٣ وهو تصغير التل

(٣٦) معجم البلدان ١/٩٠٨ .
(٣٧) ن. م ٢/٧٧٤
(٣٨) ن. م ٣/٢٥٥
(٣٩) ن. م ٣/٦٨٥ .
(٤٠) ن. م ٣/٧٢١ .
(٤١) ن. م ٣/٨٠٨ .
(٤٢) ن. م ٤/١٩ .
(٤٣) ن. م ١/٢٩٢ ، ٣/٧٦ .
(٤٤) ن. م ٤/٧٦
(٤٥) ن. م /٢٠٥ .

(٤٦) بلفظ التصغير كانه من الابر وهو إصلاح النخل البلدان ١/١٠٩ .
(٤٧) ن. م ٤/٨١٤
(٤٨) ن. م ١/٩١٣
(٤٩) ن. م ٢/٤٠٦ .
(٥٠) ابن الفقيه ـ البلدان ص٢٨
(٥١) ن. م ص٣٠ . ياقوت ـ البلدان ٣/٨٩/٣٩٧
(٥٢) واليه ينسب الشاعر خليد عينين ٣/٧٥٤ .
(٥٣) ن. م ٣/٧٦٤ وهي تنسب الى محلم بن عبدالله زوج هجر بنت المكفف من الجرامقة .

(٥٤) ابن الفقيه ـ البلدان ص٣٠
(٥٥) وقد سدها العلاء الحضرمي في اثناء حصاره للمدينة البلاذري ـ فتوح البلدان ص٩٣ .
(٥٦) ياقوت ـ البلدان ٤/٣٣ .
(٥٧) ن. م ٣/٧٦٦ واليها ينسب الشاعر علي بن المقرب بن الحسن بن عزيزالعيوني البحريني قدم الموصل وياقوت بها وقد لقيه سنة ٦٠٧ هـ . حيث مدح بها بدر الدين صاحب الموصل .
(٥٨) ن. م ١/٥٠٦ . وشيخ الربوة ـ نخبة الدهر ص١٢١ .
(٥٩) ابن الفقيه ـ البلدان ص ٢٧
(٦٠) ن. م ص ٢٨
(٦١) فتوح البلدان ص ٨٥

(٦٢) صور الاقاليم ص ٧
(٦٣) مسالك الممالك ص ٦١٩
(٦٤) ن . م ص ٣٥ والبلخي - صور الاقاليم ص ٣٩

(٦٥) صورة الارض ص ٣٩
(٦٦) معجم البلدان ٣/٩٠٣
(٦٧) صورة الارض ص ٤١
(٦٨) ن . م - والبلخي - صور الاقاليم ص ١
(٦٩) مروج الذهب ١/٢٣٩

(٧٠) معجم البلدان ٢/١٧٩
(٧١) ابن حوقل - صورة ص ٣٣

(٧٢) البلخي - صور الاقاليم ص ٧ ، الاصطخرى - مسالك الممالك ص ١٩ ، المقدسي احسن التقاسيم ص ١٠٤ ، ابن حوقل - صورة الارض ٣٨
لقد تحدثت الكثير من المصادر التاريخية عن سيطرة القرامطة على البحرين باسهاب في النواحي الدينية والسياسية والاقتصادية والفترة التى تمت بها السيطرة في كل جوانبها وابعادها .
امثال اليعقوبي ، والطبرى ، والمسعودى وغيرهم .
(٧٣) صورة الارض ص ٣٤
(٧٤) ن . م

(٧٥) فتوح البلدان ص ٨٥
(٧٦) ن . م ص ٨٦
(٧٧) ن . م

(٧٨) فتوح البلدان ص ٨٦
(٧٩) ن . م
(٨٠) ن . م ص ٨٧
(٨١) ن . م
(٨٢) ن . م

(٨٣) فتوح البلدان ص ٨٨
(٨٤) ن . م . ص ٩ - ٩٣ وانظر ياقوت - البلدان .
٢/١٦٩ . ٣ . ٦ . ٢/١٣٦ .

(٨٥) جواد علي - المفصل ١/١٦٣ . ومعذرة لاعتمادى على بعض النصوص التاريخية التى اقتضتها طبيعة البحث لمنح الاطار العام للتقسيم صورته المتكاملة تقريبا .
(٨٦) فيليب حتى - تاريخ العرب ١/٥٦ ، جواد علي - المفصل ١/١٦٣ .

(٨٧) انظر : د. البكر ـ دراسات ص ٦٨ وعن شمول كل تقسيم من هذه التقاسيم على المدن والاراضى والولايات .
(٨٨) الهمداني ـ صفة جزيرة العرب ص ٤ وقد ورد في تقويم البلدان لابى الفداء ص ٧٨ تقسيم الجزيرة للمدائني . وانظر ما اورده البكري ـ المعجم ١/٥ ما ذكره ابن وهب عن مالك .

(٨٩) البلدان ص ٢٧
(٩٠) ياقوت ـ البلدان ٤/٩٥٢
(٩١) عبدالوهاب عزام ـ مهد العرب ص ٨٤
(٩٢) وهبة ـ جزيرة العرب ٦٢
(٩٣) ن . م ص ٨٧ دائرة المعارف الاسلامية مادة البحرين ٢/٢٩٢
(٩٤) الالوسي ـ بلوغ الارب ١/١٩٧
(٩٥) معجم البلدان ١/٥٠٦
(٩٦) فتوح البلدان ص ٨٥

(٩٧) البلاذرى ـ فتوح البلدان ص ٨٥
(٩٨) ن . م ص ٨٨ ـ ٨٩
(٩٩) ن . م ص ٩١ ـ ٩٢
(١٠٠) ن . م ص ٩٢
(١٠١) الاعلاق النفيسة ص ٩٦
(١٠٢) المسالك والممالك ص ١٥٢
(١٠٣) الخراج وصنعة الكتابة ص ٢٤٩

(١٠٤) صور الاقاليم ص ٧
(١٠٥) مسالك الممالك ص ١٤
(١٠٦) ن . م ص ١٩ ، وابن حوقل ـ صورة الارض ص ٣٨
(١٠٧) مروج الذهب ١/٢٤٠
(١٠٨) ن . م
(١٠٩) البلدان ص ٣٠
(١١٠) ن . م ص ٣٠ ـ ٣٠

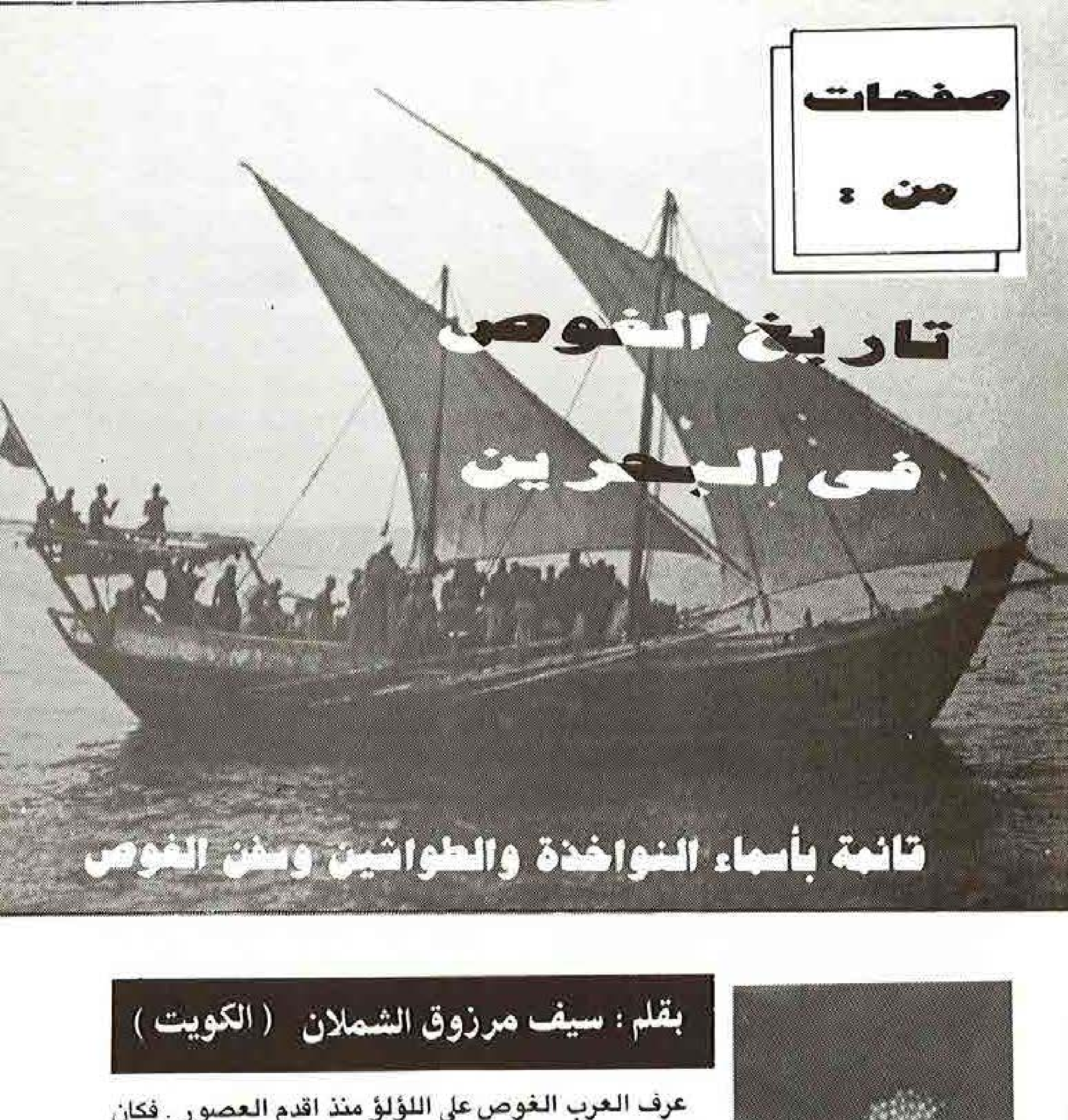
(١١١) ابن الفقيه ـ البلدان ص ٣٠ ـ ٣١
(١١٢) ن . م
(١١٣) صورة الارض ص ٣٣
(١١٤) ن . م

(١١٥) ابن حوقل ـ صورة الارض ص ٣٨
(١١٦) احسن التقاسيم ص ٦٨
(١١٧) ن . م ص ٩٣
(١١٨) ن . م ص ٥٣
(١١٩) ن . م ص ٧١
(١٢٠) ن . م ص ٩٤
(١٢١) معجم البلدان ٤/٩٥٢
(١٢٢) معجم البلدان ٤/٩٥٢ . وقد رتبت الاسماء جميعها حسب حروف المعجم .
(١٢٣) ـ ن.م ١/٥٠٦

(١٢٤) - ن.م ١٤٨/١
(١٢٥) - ن.م ٥٣٧/٢
(١٢٦) - ن.م ٤٦٥/١٠
(١٢٧) - ن.م ١٣٦/٢
(١٢٨) - ن.م ٣٥٤/٢
(١٢٩) - ياقوت - معجم ٥٣٧/٢
(١٣٠) - ن.م ٩٦/٣
(١٣١) - ن.م ٣٤٧/٣
(١٣٢) - ن.م ١٤٣/٤
(١٣٣) - ن.م ٥٤١/٤
(١٣٤) - ن.م ٢٠٨/١
(١٣٥) - ن.م ٢٣٧/١
(١٣٦) - ن.م ٣٩٧/١
(١٣٧) - ن.م ٥٤٨/١
(١٣٨) - ن.م /٩١٣
(١٣٩) - ن.م ٧/٢
(١٤٠) - ن.م ٢٧/٢
(١٤١) - ياقوت - معجم البلدان ٦٧/٢
(١٤٢) - ن.م ٣٥٤/٢
(١٤٣) - ن.م ٢٣٢/٢
(١٤٤) - ن.م ٥٤٨/٢
(١٤٥) - ن.م ٧٣٥/٢
(١٤٦) - ن.م ٧٥٤/٢
(١٤٧) - ن.م ٨٢٤/٢
(١٤٨) - ن.م ٨٨٩/٢
(١٤٩) - ن.م ٩٠٧/٢
(١٥٠) - ن.م ٣٠/٣
(١٥١) - ن.م ٢٠٥/٣
(١٥٢) - ن.م ٣٦٠/٣
(١٥٣) - ياقوت - معجم البلدان ٥٢٥/٣
(١٥٤) - ن.م ٥٨٠/٣
(١٥٥) - ن.م ٥٨١/٣
(١٥٦) - ن.م ٦٢٣/٣
(١٥٧) - ن.م ٦٣٨/٣
(١٥٨) - ن.م ٦٩٩/٣
(١٥٩) - ن.م ٧٣٧/٣
(١٦٠) - ن.م ٧٣٨/٣
(١٦١) - ن.م ٨٧٦/٣
(١٦٢) - ن.م ٢٣٧/٤
(١٦٣) - ن.م ٣٠٨/٤
(١٦٤) - ن.م ٤٩٦/٤
(١٦٥) - ياقوت - معجم البلدان ٥١٤/٤
(١٦٦) - ن.م ٥٦٦/٤
(١٦٧) - ن.م ٧٣٩/٤

(١٦٨) ـ ن.م ٤/٧٤٥
(١٦٩) ـ ن.م ٤/٨١٠
(١٧٠) ـ ن.م ٤/٨٢٦
(١٧١) ـ ن.م ٤/٩٠٥
(١٧٢) ـ ن.م في ١/١٦٩، ٢/٣٥٣، ٣/٣٨، ٣/٧٦ على التوالى.
(١٧٣) ـ ن.م ١/٤٥٢، ١/٥٧٠، ١/٥٨٩، ١/٨٠٢، ١/٨٨٧، ٢/١٦٩، ٢/٧٩٢، ٣/٦، ٣/١٢٤، ٣/٢١١، ٣/٢٥١، ٣/٣٧١، ٣/٥٣٦، ٤/٤٨٥، ٤/٩٥٧ على التوالى.
(١٧٤) ـ ن.م ٣/٣٨
(١٧٥) ـ ابن الفقيه ـ البلدان ص ٣٠ ـ ٣١.
(١٧٦) ـ تقويم البلدان ص ٩٩.
(١٧٧) ـ ن.م
(١٧٨) ـ ن.م ص ٣٧١
(١٧٩) ـ ن.م ص ٨٣
(١٨٠) ـ ن.م
(١٨١) ـ ن.م ص ٩٩
(١٨٢) ـ شيخ الربوة ـ نخبة الدهر ص ٢٢٠
(١٨٣) ـ البلدان ص ٥٨
(١٨٤) ـ ن.م ص ٥٧
(١٨٥) ـ الهمداني ـ الصفة ص ٤
(١٨٦) ـ البلاذرى ـ فتوح البلدان ص ٨٥.
(١٨٧) ـ ن.م ص ٩١ ـ ٩٢.
(١٨٨) ـ انظر معاني هذه الالفاظ عند ياقوت في مقدمته لكتاب البلدان.
(١٨٩) ـ البلاذرى ـ فتوح البلدان ص ٨٥.
(١٩٠) ـ ن.م ٨٦، ٨٧.
(١٩١) ـ المسالك والممالك ص ٦٠
(١٩٢) ـ ن.م ص ١٥٢
(١٩٣) ـ المقدسى ـ احسن التقاسيم ص ٧١.
(١٩٤) ـ قدامة ـ الخراج ص ٢٤٩
(١٩٥) ـ ن.م ص ٢٤٨
(١٩٦) ـ ن.م ص ٢٤٩
(١٩٧) ـ صور الاقاليم ص ٧
(١٩٨) ـ ن.م
(١٩٩) ـ المسالك والممالك ص ١٩
(٢٠٠) ـ ن.م ص ١٤
(٢٠١) ـ ن.م ص ١٩.
(٢٠٢) ـ البلدان ص ٣٠
(٢٠٣) ـ ابن الفقيه ـ البلدان ص ٣٠
(٢٠٤) ـ ن.م
(٢٠٥) ـ ابن خرداذبة ـ المسالك والممالك ص ٣٩.
(٢٠٦) ـ صورة الارض ص ٣٣.
(٢٠٧) ـ ابن خرداذبة ـ المسالك والممالك ص ٣٤، قدامه ـ الخراج ص ٤٩
(٢٠٨) ـ احسن التقاسيم ص ٦٨.
(٢٠٩) ـ ن.م ٥٣، ٩٣
(٢١٠) ـ ابن الفقيه ـ البلدان ص ٨٥ والمصر في لغة أهل هجر يعنى الحدود في شروطهم ن.م ص ٥٧

(٢١١) ـ البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٨٥.
(٢١٢) ـ ن.م ص ٨٥ ـ ٨٦.
(٢١٣) ـ ن.م ص ٨٦
(٢١٤) ـ ن.م ص ٩٠
(٢١٥) ـ البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٨٩.
(٢١٦) ـ ن.م
(٢١٧) ـ ن.م.
(٢١٨) ـ ابن حوقل ـ صورة الارض ص ٣٤.
(٢١٩) ـ ن.م
(٢٢٠) ـ انظر الفصل الخاص بجغرافيا البحرين وعن العيون والانهار .
(٢٢١) ـ المسالك والممالك ص ٦٠
(٢٢٢) ـ معجم البلدان ٤/٤٩٢
(٢٢٣) ـ هامش رقم (١)
(٢٢٤) ـ فتوح البلدان ص ٨٦
(٢٢٥) ـ المسالك والممالك ص ٦٠
(٢٢٦) ـ البلدان ص ١١٤
(٢٢٧) ـ ن . م ص ٢٥٣
(٢٢٨) ـ مسالك الممالك ص ١٩ ، وابن حوقل ـ صورة الارض ص ٣٣ ، ٣٨
(٢٢٩) ـ ياقوت ـ البلدان ٣/٩١
(٣٣٠) ـ ن . م ٣/٤٨٥ وابوالفدا البلدان ص ٩٩
(٢٣١) ـ ن . م ٣/٦٧٦
(٢٣٢) ـ البلاذرى ـ فتوح البلدان ص ٨٦ ، ابن حوقل ـ صورة الارض ص ٣٣
(٢٣٣) ـ تقوم البلدان ص ٩٩
(٢٣٤) ـ ابن حوقل ـ صورة الارض هي ٣٣ ، ابو الفداء ـ البلدان ص ٨٣
(٢٣٥) ـ ياقوت ـ البلدان ٣/١٨٤
(٢٣٦) ـ انظر الفصل الخاص بالنظم الادارية
(٢٣٧) ـ ابن خرداذبة ـ المسالك والممالك ص ٦٠
(٢٣٨) ـ ياقوت ـ البلدان ٣/٦٢٣
(٢٣٩) ـ المقدسي ـ احسن التقاسيم ص ٩٨
(٢٤٠) ـ صورة الارض ص ٣٣
(٢٤١) ـ ياقوت ـ البلدان ٢/٥٣٧
(٢٤٢) ـ احسن التقاسيم ص ١٠١
(٢٤٣) ـ تقويم البلدان ص ٩٩ ، ٣٧١
(٢٤٤) ـ انظر : ابن رستة ـ الاعلاق النفيسة ص ١٨٢ ، ابن خرداذبة ـ المسالك والممالك ص ٦٠
(٢٤٥) ـ ياقوت ـ البلدان ٤/٧٧
(٢٤٦) ـ البلاذرى ـ فتوح البلدان ص ٨٨
(٢٤٧) ـ ن ٠ م ص ٩٠
(٢٤٨) ـ قدامة ـ الخراج ص ٢٤٩ ، ٢٥١
(٢٤٩) ـ ابن حوقل ـ صورة الارض ص ٣٣
(٢٥٠) ـ ن ٠ م ص ٣٥
(٢٥١) ـ ن ٠ م ص ٣٣



صفحات من :

تاريخ الغوص في البحرين

قائمة بأسماء النواخذة والطواشين وسفن الغوص



بقلم : سيف مرزوق الشملان (الكويت)

عرف العرب الغوص على اللؤلؤ منذ اقدم العصور . فكان سكان الخليج العربي يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ ، وفي العصر الجاهلي ذكر بعض الشعراء طريقة الغوص على اللؤلؤ . وقد اطلعت على شاعرين جاهليين ذكرا الغوص على اللؤلؤ في شعرهما وهما (المسيب بن عباس) الشاعر الجاهلي المعروف . و (المخبل) السعدي من الشعراء المخضرمين عمر طويلا وتوفي في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وهذه قصيدة المسيب يصف غواصا :

كجمانة البحرى جاء بها
غواصها من لجة البحر
اشغى يمج الزيت ملتمس
ظمآن ملتهف من الفقر
قتلت اباه فقال اتبعه
او استفيد بقية الدهر
نصف النهار الماء غامره
ورفيقة بالغيب لا يدرى
فأصاب منيته وجاء بها
صدفية كمضيئة الجمر
يعطى بها ثمنا فيمنعها
ويقول صاحبه الا تشرى

والشاعر هنا يصف الغوص وان الغواص (الغيص) اشغى وهو الشخص الافوة الذى انتشرت اسنانه والمسيب يصف غواصا يمسك الزيت فى فمه فاذا غاص نفخه فى الماء فاضاء له البحر حتى يبصر . ويظهر من قول المسيب ان هذا الغائص يستعمل الزيت ليضيىء له البحر . وهذا الغواص ذهب والده ضحية الغوص . كأن يكون افترسه القرش . وانه خلال نصف النهار يغوص فى البحر ومعه رفيق له . واخيرا يوفق هذا الغائص بالعثور على لؤلؤة فريدة تضىء كموقد الجمر . وانه يعطى بها ثمنا فلا يبيعها .

وعندنا فى الكويت يستعمل بعض الغواصين (الصل) الزيت المستخرج من الاسماك الكبيرة لدهان السفن ، يلقون بالصل على سطح البحر ليكون البحر صافيا فيشاهد الغواص قاع البحر واضحا . ويستعمل هذه الطريقة بعض الغواصين الصغار فى المياه غير العميقة احيانا .

يقول المخبل السعدى من قصيدة طويلة مطلعها :

ذكر الرباب وذكرها سقم
فصبا وليس لمن صبا حلم
واذا الم خيالها طرفت
عينى فماء شئونها سجم
كاللؤلؤ المسجور اغفل فى
سلك النظام فخانة النظم
وتريك وجها كالصحيفة لا
ظمآن مختلج ولا جهم
كعقيلة الدر استضاء بها
محراب عرش عزيزها العجم
اغلى بها ثمنا وجاء بها
شخت العظام كأنه سهم
بلبانه زيت واخرجها
من ذى غوارب وسطه اللخم

الشاعر يصف دموعه المتناثرة لدى ذكر حبيبته كاللؤلؤ المسجور اى المنظوم انقطع سلكه فتناثر . وعقيلة الدار اى خيارها واحسنها . وقد ازدان بها عرش كسرى . واغلى بها كسرى اى اشتراها بمبلغ كبير . وشخت العظام دقيقها ويعنى الغائص الذى جاء بها وهو سريع فى عمله كالسهم . ويقول المخبل ان بلبان هذا الغائص اى بصدره . وانما جعل الزيت على صدره لتجفيف ماء البحر وملوحته . والغوارب الامواج ويعنى بذى الغوارب البحر . ويقول انه فى وسط هذا البحر توجد اللخم من انواع الاسماك وهى تؤذى الغواصين كثيرا واحيانا تقتل من تجثم عليه ، او تضربه بشوكتها السامة .

والمخبل يصف لنا الغيص بأنه ضعيف وهذا شيء معروف . فدائما يكون الغيص نحيفا بارزة عظامه . ويقول بأن الغيص يضع الزيت على صدره . ربما فى الماضى كان الغواصون يعملون هذا العمل واما الغواصون عندنا وفى الخليج العربى فانهم لا يضعون الزيت على صدورهم .

وهناك شاعر اموى هو القطامى واسمه عمير بن شييم قال ابياتا يصف فيها احد الغواصين من قصيدة طويلة فى ديوانه صفحة ٩٧ يقول :

او درة من هجان الدر ادركها
مصعر من رجال الهند قد سهما
او فى على ظهر مسحاج تقد به
غوارب الماء قد الفت به قدما
جوفاء مطلية قارا اذا اجتنحت
به غوابة قحمنها قحما
حتى اذا السفن كانت فوق معتلج
القى المعاوز عنه ثمت انكتما
فى ذى حبوك يغشى الموت صاحبه
اذا الصرارى من اهواله ارتسما
غواص ماء يمج الزيت منغمسا
اذا العمورة كانت فوقه قيما
حتى تناولها والموت قاربه
فى جوف ساج سوادى اذا فحما

يصف القطامي بشعره درة كريمة ادركها احد الغواصين الهنود ويصفه بانه مصاب بالسهام الضمر وتغير اللون وذبول الشفتين وهكذا حال الغيص. وانه ركب سفينة سريعة ومطلية بالقار لئلا يدخلها الماء .

ويلقى الغيص عنه المعوز الخرقة ثم يرمى نفسه فى البحر . وانه يخشى عليه من الموت ، والصرارى الملاح . ثم يصف الغواص كما وصفه قبله المسيب والمخبل بانه يستعمل الزيت والقطامى يقول بانه يمجه من فمه فى البحر . وبعد تعب شديد اوشك به على الموت تناول الصدفة فى بحر ساكن أسود اللون .

وبعد هذا لنقرأ ما كتبه على بن الحسين المسعودى ، المؤرخ المعروف فى كتابه (مروج الذهب) الجزء الاول صفحة ١٤٨ عن طريقة الغوص فى زمنه والمسعودى توفى سنة ٣٤٦ هـ يقول . تحت عنوان الغوص على اللؤلؤ :

(والغوص على اللؤلؤ فى بحر فارس ، وانما يكون من اول نيسان الى اخر ايلول . وما عدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيها . وقد اتينا فيما سلف من كتبنا على سائر مواضع الغوص فى هذا البحر . اذ كان ما عداه من البحار لا لؤلؤ فيه ، وهو خاص بالبحر الحبشى من بلاد خارك وقطر وعمان وسرنديب وغير ذلك من هذا البحر . الى ان قال وان الغاصة لا يكادون يتناولون شيئا من اللحمان الا السمك والتمر وغيرهما من الاقوات ، وما يلحقهم . وذكر شق أصال آذانهم لخروج النفس من هناك بدلا من المنخرين حيث يجعل عليهما شيء من الذبل وهو ظهور السلاحف التى تتخذ منها الامشاك او من القرن يضمهما كالمشقاص لا من الخشب ، وما يجعل فى أذانهم من القطن فيه شيء من الدهن . فيعصر من ذلك الدهن اليسير فى الماء فى قعرة ، فيضيء لهم بذلك فى البحر ضياء بينا . وما يطلون به اقدامهم واسواقهم من السواد خوفا من بلع دواب البحر اياهم ولنفورها من السواد ، وصياح الغاصة فى قعر البحر كالكلاب ، وخرق صوت الماء ويسمع بعضهم صياح بعض .

وللغوص واللؤلؤ وحيوانه اخبار عجيبة ، وقد اتينا على جميع اوصاف ذلك وصفات اللؤلو وعلاماته واثمانه ومقادير اوزانه فيما سلف من كتبنا) .

وهذا تعليقى على ما ذكره المسعودى :

١ ـ قوله ان الغوص يكون فى اول نيسان الى اخر ايلول صحيح .

٢ ـ يقول ان الغاصة لا يتناولون شيئا من اللحم سوى السمك والتمر ، صحيح

فـالغـاصــة يـأكلون قليــلا من الطعــام . والغواصون عمادهم التمر ومن ثم السمك .
٣ - يقـول بأن الغـاصة يشقـون اصـول أذانهم بخروج النفس بدلا من المنخرين ، الغاصة عندنا وفي الخليج العربي لا يعملون هذا العمل ولم اسمع به مطلقا .
٤ - يقول بأن الغاصة يضعون على انوفهم قـطعة من الذبـل صحيـح . وتسمى هـذه الاداة الصغيـرة (الفـطام) تصنــع من العظام ويستعملها الغـواصون في الكـويت والخليج العربي .
٥ - يقول بأن بعض الغواصين يضعون في اذانـهم القـطن وفـيـه شيء مـن الدهـن ويعصـرون القطن ليضيء لهم الدهن قـاع البحـر . نفس هذا القـول قـاله الشعـراء الثلاثة السابقون والغـواصون عنـدنا وفي الخليج العربي لا يعملون هذا العمل . يجوز انهم يسدون آذانهم بالقطن اذا كانت تؤلمهم او يخشون من تسرب الماء داخلها لمرضها .
٦ - يقـول بأن الغـاصة يـطلون اقدامهم وسيقانهم باللون الاسود خوفا من بلع دواب البحر اياهم لنفورها من السواد . الغاصة عندنا في الخليج لا يعملون هذا العمل انما يلبسون سروالا قصيرا اسود اللون اثناء الغوص كي لا يكون الغواص معرضا للخطر لو لبس سروالا احمر اللون . فاللون الاحمر خطر جدا .
٧ - يقول بان الغـاصة يصيحـون في قعر البحـر كالكـلاب، ويسمع بعضهم صيـاح بعض والغاصة عندنا وفي الخليج العربي لا يصيحون كالكلاب لتنفر منهم دواب البحر . انمـا يتكلمون في قـاع البحر مـع بعضهم البعض . وسمعت ان بعضهم يغنون في قاع البحـر، ويمـزحـون مـع بعضهم البعض، وبعضهم لا يستـطيـع ان ينـطق في قعـر البحر . وهذه تكون بالمران .

ابن بطوطة الرحالة الشهير والمتوفى عام ٧٧٩هـ - ١٣٧٧م زار البحـرين والقطيف وبعض الجـزر في الخليـج العـربي ومنهـا جـزيرة (قيس) وجـزيرة (خـارك) من اهم مـواطن الغـوص، وزار بعض البلدان في الخليج العربي . وتحدث في رحلته عن طريقة الغوص على اللؤلؤ ففي رحلته صفحة ٢٧٩ الطبعة الجديدة يقول :

(ذكر مغاص الجوهر : ومغاص الجوهر فيما بين سيراف والبحرين في خور راكد مثل الوادي العظيم، فاذا كان شهر ابريل وشهر مـايه تـأتي اليـه القـوارب الكثيـرة فيهـا الغـواصـون وتجـار فـارس والبحـرين والقطيف، ويجعل الغواص على وجهه مهما اراد ان يغـوص شيئـا يكسـوه من عـظم الغيلم، وهي السلحفاة . ويصنع من هـذا العظم ايضا شكلا شبه المقراض يشده على انفه، ثم يربـط حبلا في وسـطه ويغوص . ويتفـاوتون في الصبـر في الماء . فمنهم من يصبر الساعة والساعتـين فما دون ذلك . فاذا وصل قاع البحر يجد الصدف هنالك فيما بين الاحجار الصغار مثبتا في الرمل . فيقتلعه بيده او يقطعه بحديدة عنده معدة لذلك . ويجعلها في مخلاة جلد منوطة بعنقه . فاذا ضاق نفسـه حرك الحبـل، فيحس به الرجل الممسك للحبل على الساحل، فيرفعه الى القـارب، فتؤخـذ منـه المخـلاة ويفتـح الصدف فيوجد في اجوافها قطع لحم تقطع بحديدة فاذا باشرت الهواء جمدت فصارت جواهر . فيجمـع جميعها من صغـير وكبير فيـأخذ السلطان خمسـه والباقي يشتـريه التجار الحاضرون بتلك القوارب . واكثرهم يكون له الدين على الغواصين فيأخذ الجوهر في دينه او ما وجب له منه) .
١ - يقول بان الغواص يجعل على وجهه اذا اراد ان يغـوص شيئـا يكسـوه من عـظم

الغيلم . الغاصة لا يضعون ما وصفه على وجوههم مطلقا انما يضعون الفطام على انوفهم كما ذكره ابن بطوطة وانه يشبه المقراض .

٢ - يقول بان الغواص يربط حبلا على وسطه ويغوص . الصواب ان الغيص او الغواص يمسك الحبل بيده حبل الانقاذ فاذا اوشك ان ينقطع نفسه جره فيتنبه صاحبه الذي على سطح السفينة فيجره اليها .

٣ - يقول بان الغاصة يمكثون تحت الماء الساعة والساعتين فما دون ذلك . الغيص لا يستطيع ان يمكث اكثر من دقيقتين . اللهم الا اذا كان الغاصة الذين يصفهم ابن بطوطة كانوا يستعملون جهازا يساعدهم على التنفس، ولكنه لم يذكر لنا ذلك .

٤ - يقول بان الغيص يقطع الصدف بيده صحيح، او يقطعه بحديدة عنده، يجوز ان تكون معه حديدة في الماضي واما الغواصون الذين شاهدتهم عندنا في الكويت فانهم يقتلعون المحار باليد . ويقول بانهم يضعون الصدف في مخلاة جلد منوطة بعنقه صحيح ما ذكره، وتعمل من الحبال وتسمى عندنا (الديين) .

٥ - يقول بان الغيص اذا ضاق نفسه حرك الحبل فيحس به الرجل المسك للحبل على الساحل فيرفعه الى القارب . صحيح، ولكن هناك خطأ مطبعيا والصواب ان يكون على القارب بدلا من على الساحل، لانه قال بعد ذلك ورفعه الى القارب .

٦ - يقول بانهم يفتحون الاصداف وفي اجوافها لحم فاذا باشرت الهواء جمدت فصارت جواهر . قول عجيب وغريب . اللؤلؤ يتكون داخل الصدفة واللحم ويسمى عندنا (الخرط) بكسر الخاء واسكان الراء، الخرط هو الذي يكون اللؤلؤ .

ابو الريحان محمد بن احمد البيروني المتوفي سنة ٤٤٠هـ - ١٠٤٨م عالم جليل له عدة مؤلفات قيمة منها كتاب (الجماهر في معرفة الجواهر) كتاب مهم جدا اعتمدت عليه كثيرا في بحثي هذا . والكتاب مطبوع في حيدر اباد الدكن سنة ١٩٣٦م . وتحدث عن اللؤلؤ من صفحة ١٠٤ - ١٦٠ كما تحدث عن اللؤلؤ ايضا في آخر الكتاب وهذه هي العناوين في موضوع اللؤلؤ في الصفحات المذكورة (اللؤلؤ - اسماء اللآلىء وصفاتها عند اللغويين - مائية اللؤلؤ الرطب - صفات اللآلىء والقابها عند الجوهريين - قيم اللآلىء - حال الثقب في اللآلىء - في ذكر اوقات الغوص - ذكر كيفية الغوص - في ذكر الاخبار في اللآلىء - في ذكر الاصداف ومواضع اللآلىء في ذكر المغاصات - في ذكر اعماق المغاصات) .

في صفحة ١٤٥ تحدث البيروني عن كيفية الغوص، وعلق على قصيدتي المسيب بن عباس والقطامي بقوله : (ليس هذا ما تعرفه الغاصة الآن، وهم يبصرون في ماء البحر ويفتحون اجفانهم ولا تضر الملوحة باحداقهم، ثم انه ليس الزيت في ذاته ضوءا) . ويقول بعد ذلك نقلا عن نصر في كتابه ان من اراد تعلم الغوص يقوم بحشو اذنيه بالقطن حتى تتعفن وتتزود وينفتح له الى الحلق طريق يتنفس منه تنفسا ضعيفا داخل الماء . وذكر الكندي ذلك على صورة اخرى وهو ان يحبس نفسه في بدء التعلم فيرم لذلك اصل اذنه ويجتمع فيه الدم ثم يتفجر الى حلقه وينخرق ما بينهما خرقان اذا اندملا خرج بهما النفس خروجا ضعيفا معينا على الزيادة في اللبث وامساك النفس في الاكثر من ربع ساعة ..

يعلق البيروني على هذا الحديث وغيره تعليقا علميا فيقول : (واظن هذا الخبر من اساطير الحمقى وتسوق الغواصين على

تجارهم حتى تواتر ذلك فاشتغل هذان الفاضلان بتوجيه وجوه له بعد تصديقه ..) ويعني بالفاضلين نصر والكندي .

ذكر البيروني ان الغواصين ينتظرون وقت الظهيرة ليضيء البحر فيغوصون ويقول بان الغيص ينتحب ويعوى ويصيح لتنفر منه دواب البحر المؤذية . وان الغيص يضع على انفه الفطام ويأتزر بفوطة ويضع في عنقه المخلاة (الديين) ويذكر الحجر وان لونه اسود لابعاد حيوانات البحر عن الغيص، وتحدث حديثا غريبا عن حيوانات البحر وانها توشك ان تقلب الزورق في البحر بمن فيه . ويقول ان الغيص يغوص من الضحوة الى الظهيرة اكثر من ثلاث مرات او اربع وهو على الريق . وان الغيص بعد ذلك يتناول طعامه وبعد ان يفرغ منه يفتح الصدف بحثا عن اللؤلؤ واذا كان اخيرا سلم اللؤلؤ الى التاجر . ويقول بأنه ربما التقى على الصدفة غواصان فيتنازعان عليها ويأخذها القوي منهما . وان عدد الغواصين في الزورق من ستة نفر الى اثني عشر . ويعلق البيروني على صياح الغاصة ونباحهم بقوله :

(وما أظن ذلك ممكنا في فم ليس له وجه غير الانطباق والصوت لا يتم الا بفتحه وخروج الهواء ولا يخرج الا بدخول بدله من الماء . ولو امكنه فتح الفم لما صرخ عند بروزه بشوقه الى استنشاق الهواء . وهذا من قوله اشد استحاله من التنفس باصول الآذان) . ويقول البيروني ان الصدف يترك حتى يموت حيوانه فيسهل اخراج ما فيه . والغواصون في الخليج العربي يتركون الصدف حتى يموت حيوانه وفي الصباح الباكر يفتحون المحار (الاصداف) .

جهاز الغوص

يقول البيروني في وصف جهاز الغوص صفحة ١٤٩ ما يلي :

(واخبرني احد اهل بغداد ان الغواصين قد استحدثوا في هذه الايام للغوص طريقا زالت به مشقة امساك النفس وتمكنوا من التردد في البحر من الضحوة الى العصر ما شاءوا وبحسب محبة المكري اياهم وتوفره عليهم . وهي آلة من جلود يدخلونها الى اسفل صدرهم ثم يشدونها عند الشراشف شدا وثيقا ثم يغوصون ويتنفسون فيها من الهواء الذي داخلها ولا بد في هذا من ثقل عظيم يجذبه مع ذلك الهواء الى اسفل ويمسكه في القرار واصرف منه ان يوصل بأعالي تلك الآلة بازاء الهامة بربخ من جلد على هيئة الكم مستوثق من دروزه بالشمع والقير . وطوله بقدر عمق ما يغوص فيه ويوصل رأس البربخ بحفنة واسعة من ثقبة باسفلها ويعلق في حافتها زق اوزقاق منفوخة يدوم بها طفوها فيجري نفسه في تجويف البربخ جذبا وارسالا ما شاء مدة اللبث في الماء ولو اياما . ويكون الثقل الراسب به اقل مقدار لحصول الطريق للهواء ينحصر به والله اعلم) .

هذه الآلة عجيبة، وتدل دلالة كبيرة على اهتمام الناس في ذلك الوقت في عصر الدولة العباسية بالغوص على اللؤلؤ في مياه الخليج العربي حتى استنبطوا مثل هذه الآلة ولها بربخ اي انبوبة طويلة ترتفع عن سطح الماء حتى يتنفس منها الغائص . ويعلق محمد بن الخطيب في الهامش بانه لا بد وان تكون هذه الآلة من جلود شفافة حتى يتمكن الغواص من مشاهدة الاصداف وما حوله .

تحدث البيروني في آخر كتابه تحت

عنوان (في ذكر اعماق المغاصات) فذكر قياس العمق بالباع بالباع نفس القياس المعروف عندنا وان عمق المغاصات يتراوح بين اربعة عشر باعا وثمانية عشر باعا .

المهم في حديث البيروني عن عمق المغاصات هو ذكره للبلد واسماء (الابراد) وهو ان يوضع حبل دقيق فيه علامات على قدر الباع وتربط بـه قطعة من الرصاص لتنزل الى القعر . ويقول البيروني ان الغواصين يعرفون قاع البحر ان كان طينا او رملا او ما شابه ذلك بواسطة ما يعلق في اسفل القطعة الرصاص . نفس الطريقة المعروفة عندنا وبها يستدلون على قاع البحر . وذكر البيروني بعض الالفاظ البحرية التي يستعملها البحارة عندنا .

كيف يتكون اللؤلؤ ؟

في الكتب العربية القديمة احاديث كثيرة عن اللؤلؤ، وتكون اللؤلؤ . وتكاد ان تجمع هذه المصادر العربية على ان اللؤلؤ يتكون من قطرات المطر . وفي هذا الحديث سوف انقل للقارىء بعض ما جاء في هذه المصادر :

١ ـ يقول المسعودي في كتابه (مروج الذهب) الجزء الاول صفحة ١٤٨ : (وقد ذكرنا كيفية تكون اللؤلؤ وتنازع الناس في تكونه . ومنهم من ذهب الى ان ذلك من المطر، ومنهم من ذهب الى ان ذلك من غير المطر . وصفة صدف اللؤلؤ العتيق منه والحديث الذي يسمى بالمحار، والمعروف بالبلبل، واللحم الذي في الصدف والشحم، وهو حيوان يفزع على ما فيه من اللؤلؤ والدر خوفا من الغاصة كخوف المرأة على ولدها) .

٢ ـ يقول البيروني في كتابه (الجماهر، في معرفة الجواهر) صفحة ٥ اخر الكتاب نقلا عن (نصر الدينوري) من العلماء بأن اللؤلؤ يتولد من المطر ثم يربيه الصدف ويستدل على ذلك بان المطر كلما كان اكثر في سنة واعجل في وقته كان وجود اللؤلؤ اوفر . والكندي يحكي هذا عن اصحاب التجارب .

قال نصر ان القطر اذا وقع فيه انعقد ثم اخذ في النمو والبريق فما يرد في وسط الفم تدحرج وكان عيونا رطبا نفيسا، واذا وقع في زاوية من الفم اعوج ولم يستو لانه يتدحرج بالريق . وربما كان اعوجاجه من ضغط الصدف اياه فيؤثر فيه ..

٣ ـ يقول ابن الاكفاني في كتابه (نخب الذخائر، في احوال الجواهر) صفحة ٢٨ واختلفوا في تولده في هذا الصدف . فمنهم من قال انه يتولد فيه، كما يتكون البيض في الحيوان البياض . ذكر ذلك جمع من المحققين .

وقيل بل يطلع الى سطح البحر في شهر نيسان وينفتح الصدف ويتلقي المطر فينعقد حبا ، ذكره الجواهرى وكثير من الناس .

واقول عند التدقيق لاتضاد بين القولين، لجواز ان يكون تكون اللؤلؤ في صدفة كتكون البيض . ويكون قطر نيسان بمثابة النطفة) .

٤ ـ يقول الصوفي الدمشقي في كتابه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) صفحة ٧٧ نقلا عن (أرسطو) الفيلسوف اليوناني المتوفي سنة ٣٢٢ قبل الميلاد . والف كتابا اسمه (الاحجار) عن الاحجار الكريمة ومنها اللؤلؤ . وكثير من العلماء العرب ينقلون عنه . ويظهر من كلامه ان اللؤلؤ يتكون من قطرات المطر .

٥ ـ يقول القزويني في كتابه (عجائب المخلوقات) على هامش حياة الحيوان الكبرى للدميري صفحة ٢٠٠ :

(ان الرياح وقت الربيع تحمل الى بحر فارس رشاشات او قاس وفيه ماء شبيه

بالزئبق لونه مثل الغراء . فيتولد منه الدر . بان تقع تلك الرشاشات في محل الصدف فيلقمه الصدف كما يلقم الرحم المني . فربما وقعت فيه قطرة كبيرة فتنعقد درا كبيرا . وربما وقعت رشاشات فتعقد منها اجزاء صغارا كما ترى في اكثر الاصداف) .

٦ ـ يقول الابشيهي في كتابه (المستطرف) الجزء الثاني صفحة ١٤٣ :

(الاحجار الجوهرية : اصل الجوهر هو الدر على ما قيل ان حيوانا يصعد في البحر على ساحله وقت المطر ويفتح اذنه يلتقط بها المطر . ويضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قاعه ولا يزال طابقا اذنه على ما فيها خوفا من ان يختلط باجزاء البحر حتى ينضج ما فيها ويصير درا . فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة . وان كانت كبيرة فكبيرة . فان كان في بطن هذا الحيوان شيء من الماء المر كانت الدرة كدرة . وان لم يكن كانت صافية . وقيل غير ذلك . والدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة الى مثقال) .

هذا ما رأيت ذكره عما جاء في المراجع العربية القديمة عن تكون اللؤلؤ لاعطي القارىء الكريم فكرة . والحقيقة العلمية تعارض ما ذكره هؤلاء العلماء وبعض الشعراء ذكروا في اشعارهم ان اللؤلؤ يتكون من قطرات المطر، ويقولون ان قطرات المطر عندما تتلقفها الافاعي تكون سما ويقول احد الشعراء :

كقطر الغيث في الاصداف درا
وفي جوف الافاعي صار سما

هناك شيئان مهمان يراهما منذ القديم اهل البحر، وهذان الشيئان يفندان آراء هؤلاء العلماء .

الشيء الاول : انه لم يشاهد اي شخص كان مسافرا في البحر، او يعمل في البحر، لم يشاهد الاصداف تطفو على سطح البحر تتلقف قطرات المطر، ولم يشاهد اي كان ان الاصداف تأتي الى الساحل وبعد ذلك تعود الى قعر البحر . هذا السبب وحده حجة دامغة .

الشيء الثاني : ان الاصداف تكون ثابتة في قاع البحر . وبعضها لا يقلعه الغيص الا بقوة . اذن كيف تطفو على سطح البحر ثم تعود .

الحقيقة العلمية ان اللؤلؤة تتكون من جسم غريب او ذرة رمل او ما شابه ذلك تدخل بداخل المحارة الصدفة فيتأذى الحيوان الرخو الذي يسكن داخل الصدفة فيدافع عن نفسه بان يفرز مادة لؤلؤية تجعل ذلك الجسم الغريب املس ناعما مستديرا تقريبا حتى لا يؤذيه حيث يكسوه بطبقات من افرازه فتتكون من جراء ذلك اللؤلؤة . وتكون جيدة على قوة افراز الحيوان، والحيوان نفسه بواسطة افرازاته يجعل داخل المحارة لامعا املس . وهذا السطح اللماع هو الذي يساعد على تكون اللؤلؤة فيعطيها الضوء اللازم .

جاء في (الموسوعة العربية الميسرة) صدرت عام ١٩٦٥م في مجلد كبير باشراف (محمد شفيق غربال) عن اللؤلؤ صفحة ١٥٨٠ :

(اللؤلؤ : مادة تفرزها بعض الرخويات المحارية . وتستعمل في صناعة الجوهر، ويتكون اللؤلؤ من نفس المادة التي تتكون منها صدفة الحيوان الرخو (مولك) في هيئة طبقات متبادلة حول نواة قد تكون حبة من رمل او طفيلي . وتوجد اللآلىء في اشكال والوان مختلفة تبعا لنوع الحيوان الرخو ونوع الطفيلي او الجسم) .

تتكون الصدفة نفسها من «كربونات

الكالسيوم» ومن مواد اخرى بلورية ومن مادة عضوية قرنية تعرف باسم (كوتكيولين) وداخل الصدفة بطنها الابيض اللماع يتكون من عرق اللؤلؤ . من نفس مادة اللؤلؤ بيد ان الفرق بعيد جدا بين ثمن اللؤلؤ وثمن باطن الصدف الذي تعمل منه الازرة والمقابض ونحوها .

اللؤلؤ الطبيعي

اللؤلؤ من الاحجار الكريمة . وتحدث عنه ارسطو في كتابه (الاحجار) ويقول بأنه حجر شريف، وجوهر ثمين معدني حيواني . وهو من اجل الاحجار قيمة وقدرا ونفعا وحلية تلبس وتكوينه مباين لسائر ما عداه من الجواهر الشفافة لانها ترابية وهو حيواني . واللؤلؤ نوعان كبير ويسمى الدر . وصغير ويسمى اللؤلؤ . واجود الدر المدحرج الصافي الشفاف الكبير الحجم الرزين النقي ويتفاوت في الوزن من نصف مثقال الى مثقال ونصف . واجود اللؤلؤ النقي المستدير . واللؤلؤ الوان فمنه اصفر مستدير ومنه اخضر ومنه ازرق . وهذه الالوان لملاصقتها لاعضاء الحيوان الذي جاوره فالذي جاور الطحال صار احمر، والذي جاور المرارة صار اخضر بحريا .

تحدث ابن الاكفاني في كتابه (نخب الذخائر في احوال الجواهر) من صفحة ٢٦ ـ ٤٧ حديثا ممتعا يقول : (ويختلف اللؤلؤ ايضا في شكله فمنه (المدحرج) ويعرف (بالعيون) واذا كثرت استدارته وماؤه سمي (نجما) ومنه (الزيتوني) ومنه (الغلامي) وهو المستدير القاعدة، المحدد الرأس، كأنه مخروط . ومنه (الفلكي) المفرطح ومنه (الفوفلي)، و (اللوزي)، و (الشعيري) ومنه (المضرس) وهو ادونها شكلا .

يختلف اللؤلؤ ايضا في لونه . فمنه (النقي البياض) ومنه (الرصاصي) ومنه (العاجي) . وصفرته غالبا في حساب المرض له، واذا زاد وطال زمانه اسود واللؤلؤ سريع التغير لانه حيواني بخلاف الجواهر المعدنية . فان اعمارها لاتعني بتغيير اكثرها . ويثقب هذا الحب لانه يزدان بالتأليف في النظم حسنا ورونقا وقيمة . وانما يثقب بالماس فلذلك لم يستعمل الاطباء في الادوية الا البكر غير المثقوب) .

يوجد اللؤلؤ في البحار الآتية (الخليج العربي ـ سيلان ـ بعض شواطىء الهند ـ البحر الاحمر ـ اليابان ـ استراليا ـ ارخبيل سولو في شمال شرق بورنيو وبعض جزر المحيط الهندي ـ وامريكا الوسطى الغربية ـ المكسيك ـ والبحر الكاريبي) .

الى جانب اللؤلؤ الذي يستخرج من البحار، فهناك لؤلؤ يستخرج من الانهار من انهار بريطانيا ـ كندا ـ الصين ـ اليابان ـ سكسونيا ـ تشيكوسلوفاكيا ـ بافاريا ـ في شمال امريكا واللآلىء المستخرجة من المياه العذبة ليست لها قيمة كبيرة . فاطيب انواع اللآلىء المستخرجة من البحار . واذا كان في البحر نفسه او قربه عيون ماء حلوة تنبع داخل البحر اذن يكون اللؤلؤ ممتازا . ولذلك فان لآلىء البحرين ممتازة لان في مياه البحرين عيون ماء حلوة تنبع بداخلها .

الدرة اليتيمة

أكبر لؤلؤة عرفها العرب هى (الدرة اليتيمة) وسميت اليتيمة لأنه ليست هناك

درة فريدة مثلها تحاكيها ، فهى درة كبيرة حائزة على جميع الصفات المطلوبة . وللدرة اليتيمة ذكر طويل فى الكتب . وهناك اختلاف فى الروايات حولها . واليكم ما جاء عنها فى المصادر العربية القديمة :

١ ـ فى كتاب (الجماهر ، فى معرفة الجواهر) للبيرونى صفحة ١٥٢ يقول : (فأما الدرة اليتيمة فقد أتى بها هشام بن عبد الملك .. ويقول ان وزنها ثلاثة مثاقيل حائزة جميع الصفات . محاسن الصفات . مدحرجة نقية رائقة رطبة من كثرة الماء وقال نصر : وزنها مثقالان ونصف وثلث واشتريت بسبعين الف دينار) .

٢ ـ فى كتاب (نخب الذخائر ، فى أحوال الجواهر) لابن الاكفانى صفحة ٣٤ يقول عن الدرة اليتيمة (بأنها أعظم ما وجد من اللؤلؤ ، وانها لعبد الملك بن مروان وزنها ثلاثة مثاقيل) .

٣ ـ فى كتاب (الذخائر والتحف) للقاضى الرشيد بن الزبير صفحة ١٧٧ بأن الدرة اليتيمة لهارون الرشيد اشتراها من مسلم بن عبدالملك العراقى أحد من يجهز الغاصة فى عمان لطلب اللؤلؤ بمبلغ سبعين الف دينار .

٤ ـ فى كتاب (عجائب الهند) لبرزك بن شهريار صفحة ١٣٥ قصة عجيبة عن حصول مسلم بن بشر على الدرة اليتيمة وأنه باعها لهارون الرشيد بسبعين الف دينار . وأورد كيفية حصول مسلم على الدرة فى قصة يطول شرحها .

ـ يقال بأن الدرة اليتيمة عثر عليها الغواصون فى جزيرة (خارك) فى الخليج العربى . وخارك من مراكز الغوص والى عهد قريب . ومن الجزر المعروفة لدى العرب قديما وهذا اسمها ونسميها (خارى) بالياء بدلا من الكاف .

المحارة « الصدفة »

لفظة المحارة بفتح الميم والحاء عربية فصيحة . ونحن نلفظها بتشديد الحاء فنقول محارة . المفرد محارة والجمع محار بتشديد الحاء وحذف التاء المربوطة واللفظ الصحيح بدون تشديد .

جاء فى لسان العرب لابن منظور عن المحار ما يلى : (الليث : المحارة دابة فى الصفين . قال : ويسمى باطن الأذن محارة . قال : وربما قالوا لها محارة بالدابة والصدفين . وروى عن الأصمعى قال : المحارة الصدفة ..) .

يعنى ابن منظور الدابة التى فى الصدفين أى الحيوان الرخو الذى يكون داخل المحارة ويكون اللؤلؤ ونسميه عندنا (الخرط) بكسر الخاء . وأما الصدفة فمعروفة عند العرب منذ القديم وجمعها أصداف . ويقول ابن منظور فى لسان العرب :

والصدف المحار واحدته صدفة . الليث : الصدف غشاء خلق فى البحر تضمه صدفتان مفروجتان عن لحم فيه روح يسمى المحارة وفى مثله يكون اللؤلؤ . الجوهرى : وصدف الدرة غشاؤها الواحدة صدفة . وفى حديث ابن عباس اذا أمطرت السماء فتحت الأصداف أفواهها . الأصداف جمع الصدف وهو غلاف اللؤلؤ وهو من حيوان البحر ..) .

اللفظة العامة عندنا والمعروفة هى المحارة فقط وأما الصدفة فلم أسمع أنها تطلق على المحارة . انما هناك نوع من المحار يسمى (اصديفى) بكسر الهمزة واحدته اصديفية .

الحيوان الهلامى الذى يكون فى المحارة ويكون اللؤلؤ اسمه عندنا (الخرط) بكسر الخاء واسكان الراء وجمعه (اخروط)

بكسر الهمزة واسكان الخاء . والخرط هذا من الاكلات الطيبة والغالية الثمن في فرنسا وايطاليا وغيرهما واما عندنا في الكويت فليست لها قيمة وتلقى في البحر مع المحار المفتوح. انما يأكل الغواصون الخرط اذا لم يكن عندهم (ايدام) من السمك فيضطرون عندئذ الى أكل الخرط مشويا ويعملون منه (المرق). ويضعون الخرط داخل المحارتين ويشوونه على النار بهذه الطريقة ويسمونها (طبوخة) بفتح الطاء.

الشيء العجيب عن المحار أنه يكون في بعض الاحيان غير متكامل النمو من الداخل أعني الحيوان الهلامي الرخو الذي بداخله فيسمى الغواصون المحار الذي من هذا النوع (المحار الحايض) أو يقولون (محار حايض). ويقولون إنه يحيض، كما تحيض المرأة. ولما سألت محدثي الأخ (ثنيان أحمد العميري) وهو من الغاصة المعروفين عن الموضوع قال: «هذا معروف عندنا اذا فتحنا المحارة نجد بداخلها مادة حمراء فلهذا نسميها محارة حايضة ولا يكون فيها لؤلؤ إلا ما ندر. والغواصون لا يغوصون في المغاصات التي يكون محارها حائضا». ويقول: «أنه بعد مدة يذهب الحيض عن المحارة فتعود محارة عادية فيغوصون عليها في نفس المغاص السابق».

هذه المسألة من ناحية أن المحار يحيض مسألة جديرة بالبحث العلمي، ولم أطلع في الكتب على ذلك.

وهناك مسألة جديرة بالبحث العلمي ايضا هي ان المحار ينمو على جسم السفينة الشراعية من الخشب الجسم الذى يغمره الماء دائما اسفل السفينة ونسميه (الحملة) بفتح الحاء . في سفن السفر الكبيرة التي تمكث في البحر مدة طويلة نحو تسعة شهور او ثمانية وتجوب عدة بحار ، هذه السفن ينمو على جسمها السفلي المحار . وقد شاهدت بنفسي هذا المحار الصغير وبعد أن توضع السفينة على النقعة (الحوض البحري) ينظف البحارة اسفل السفينة من هذا المحار وغيره . وكنت مع رفاقي الأطفال نجمع هذا المحار .

اخبرني الأخ ثنيان العميري ان المحار ينمو كثيرا على الاخشاب وضرب مثلا لي بأن الغواصين في الكويت قديما ـ كما سمع ـ كانوا يلقون بالعساوة عيدان النخيل وتعمل منها الحبال هذه العساوة بكسر العين تكون مثل السماد في الارض لينمو المحار عليها او حولها .. كما ان المحار نفسه الذي يلقونه في البحر بعد فتحه مع الخرط يكون بمثابة السماد ايضا .

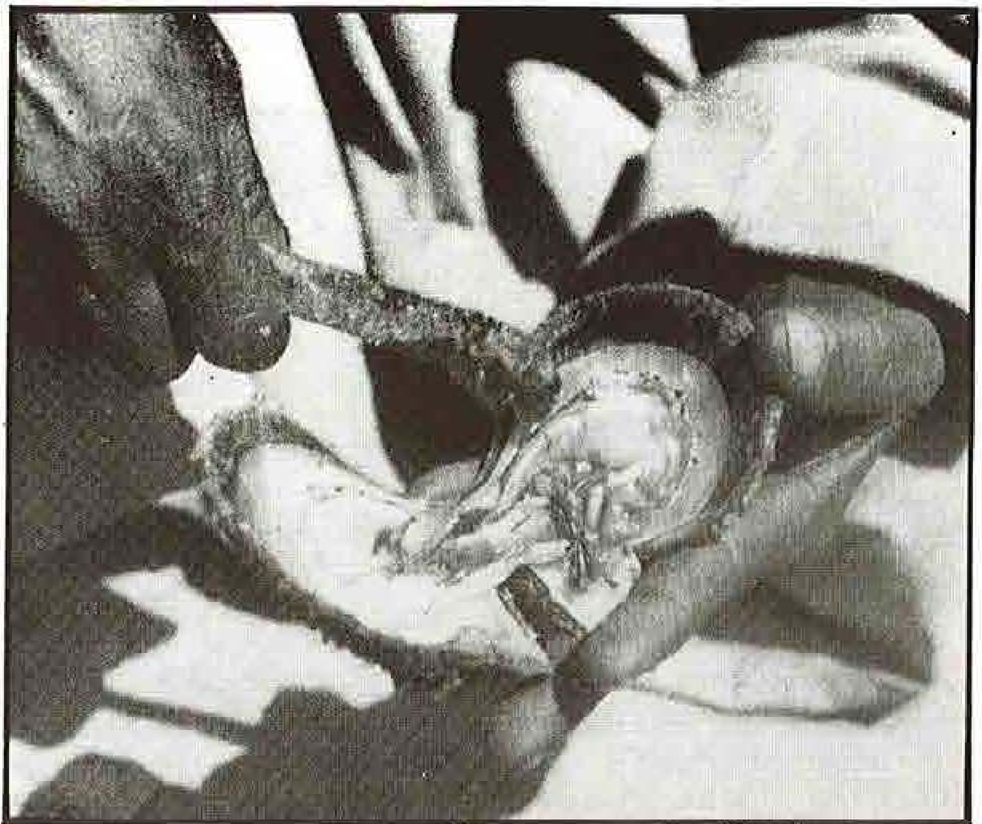
وفي (القاموس العصري) عربي ـ انجليزي ، الطبعة التاسعة لالياس انطون الياس صفحة ٣٦٩ ذكر الصدف والمحار فقال :

صدف ، محار Sea-Shell
صدفة محارة Ashell
شغل الصدف Shell Work
علم الاصداف، Conch Olagy

أنواع المحار

للمحار أنواع وهذا المعروف منها في الكويت . ومنها انواع تشبه المحار لكن يوجد فيها لؤلؤ احيانا قليلة فتحسب في عداد المحار العادي . وهذه انواعها :

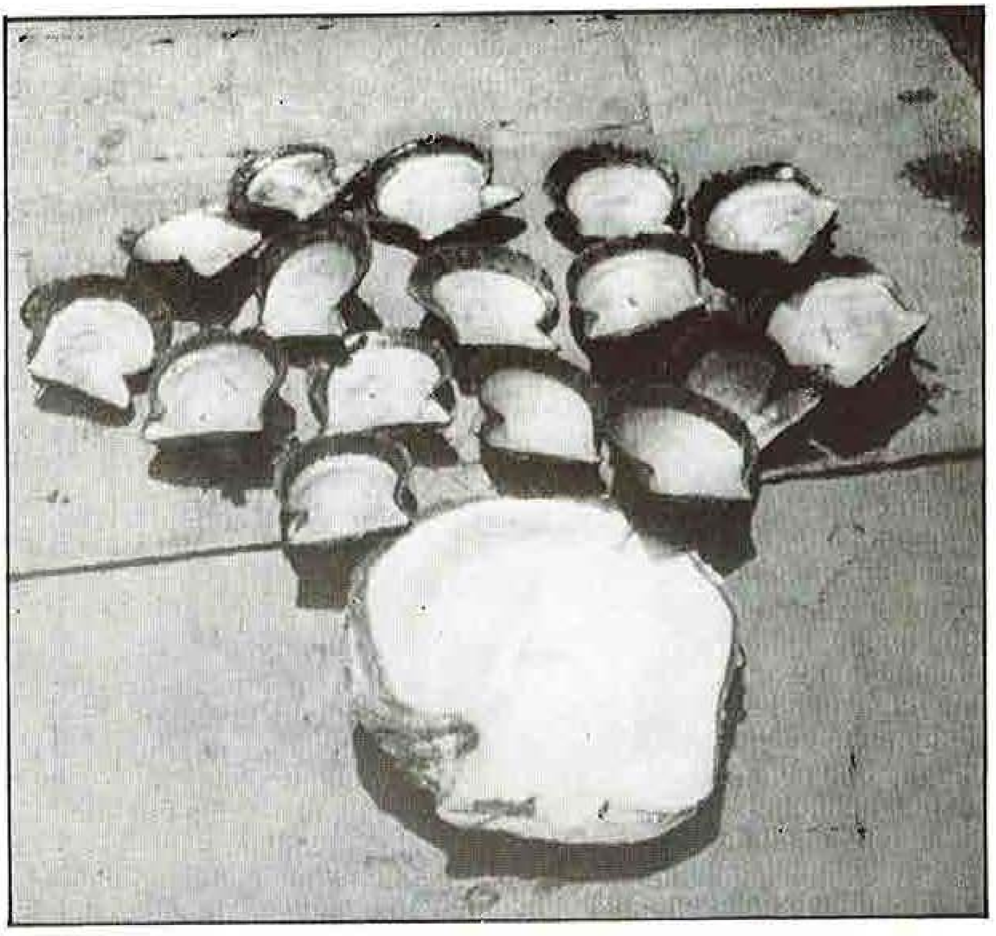
١ ـ المحار العادي معروف وعليه عماد الغواصين . وينقسم الى نوعين محار كبار ومحار صغار وأصغر محارة تسمى (فصمة) بفتح الفاء . ومن أنواعه من ناحية الشكل (مصفوفة) و(مكركرة) :



أسماء أجزاء المحارة والخرط

محارة مفتوحة ويظهر (الخرط) لحما بارزا . ويكون بداخله اللؤلؤ . وهذه أسماء أجزاء المحارة والخرط :

١ ـ السارب : ما يحيط بالخرط من الداخل على شكل نصف دائرة تقريبا .
٢ ـ الوجنة : الجزء الذى يقع بعد الشارب ويسمى اللحمة .
٣ ـ العمر : بضم العين والميم اللحمة الثابتة على المحارة .
٤ ـ الكرش : من أجزاء الخرط وهو مجمع الأوساخ .
٥ ـ الديد : بتشديد الدال أى الذى يقع بجانب الكرش .
٦ ـ الغب : بضم الغين داخل المحارة .
٧ ـ العرج : ما يمسك المحارة في القاع كعرق الشجرة .
٨ ـ الخنصر : من أجزاء المحارة من الداخل يقع أعلى .
٩ ـ الشخر : بتشديد الشين طرف المحارة من أعلى .
١٠ ـ زرن : طرف المحارة من اعلى يسمى كل واحد منهما زرن في الزاوية اذا فتحت المحارة يسمى القسم الواحد (دست) بفتح الدال . والدست العميق قعره يسمى (جدر) والدست الطافح يسمى (صحن) .



صورة اصديفية كبيرة وحولها مجموعة من المحار العادى

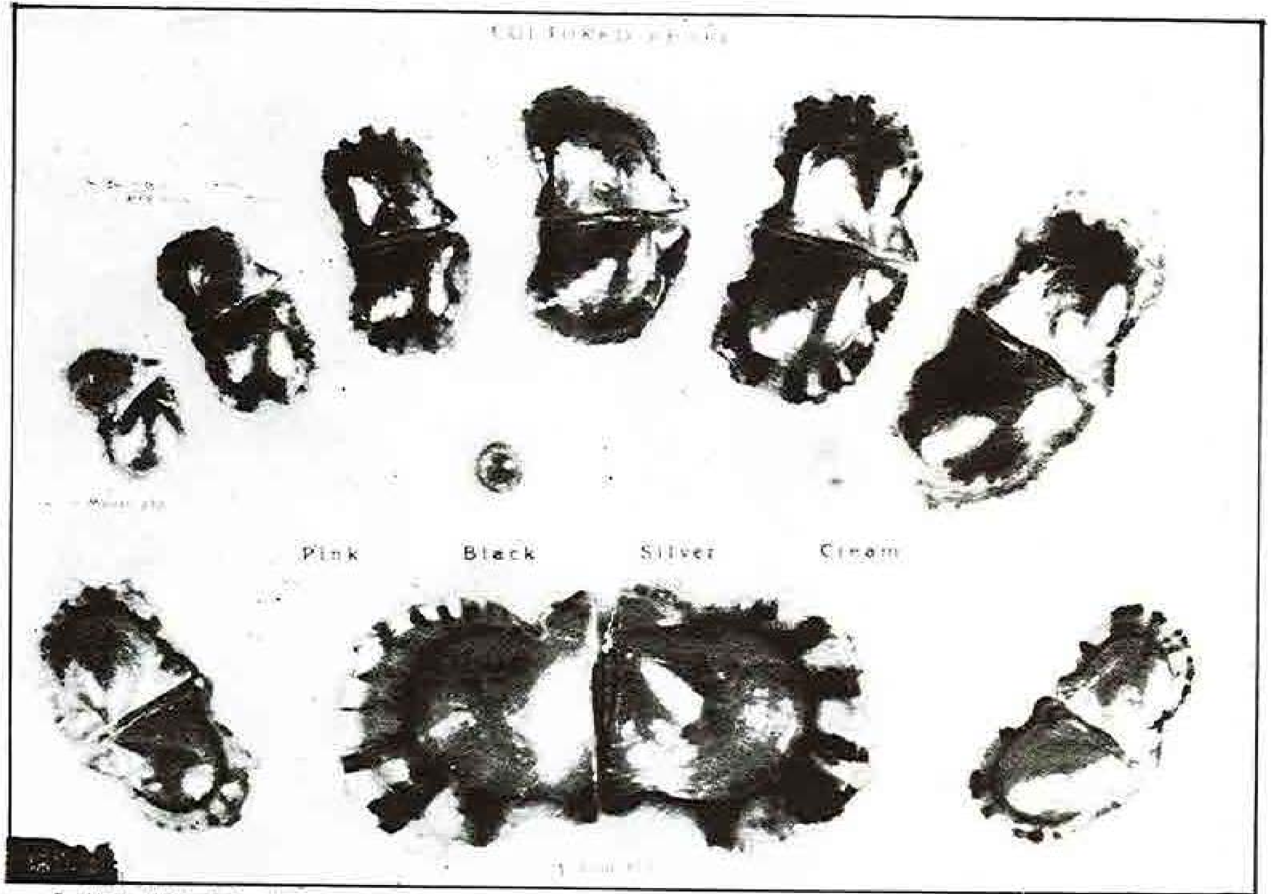
٢ ـ عيسرين : بكسر العين نوع من المحار اصغر حجما ، ويكون في العيسرين لؤلؤ .

٣ ـ اصديفي : بكسرة الهمزة محار معروف وحجمه كبير ولونه جميل جدا شديد اللمعان ويستعمل للزينة .. ويوجد في الجزر وخاصة في جزيرة قاروه ويكون فيه احيانا اللؤلؤ . كما انه في بعض الاحيان يعثرون في الصديفي على لؤلؤة فريدة (دانة) . وسمعت ان اللؤلؤة الكريمة التى حصل عليها المرحوم (حمد الفلاح) من نواخذة الغوص في الكويت وجدها في الصديفي . ويباع الصديفي في البحرين حيث يوجد في مغاصاتها ومغاصات عمان .

٤ ـ زنية : بفتح الزاء وتشديد النون نوع من المحار مستطيل الشكل وجمعه زنى ويوجد به قليل من اللؤلؤ ولكنه ـ كما سمعت ـ لؤلؤ رديء .

٥ ـ خالوف : بفتح الخاء والجمع خواليف ويوجد به لؤلؤ قليل .

جميع هذه الانواع المذكورة يكون بداخلها (الخرط) الذي يكون في المحار وللخرط نفسه اسماء لدى الغواصين من



صورة تبين اطوار حياة المحار الزراعي الياباني من شهر حتى سنة وتبين ألوان اللآلىء الصناعية اليابانية ـ الاولى من اليمين لونها كريمي والثانية لونها اسود. والثالثة لونها فضي والرابعة لونها وردي.

ناحية موقعه في المحارة فمن انواعه (العمر) بضم العين والميم و(الكرش) بفتح الكاف . و(القب) بضم القاف .

الخرط - كما قلنا - هو الذى يكون اللؤلؤ . واحيانا يجد الغواصون لؤلؤة غير كاملة عبارة عن قطعة من اللحم اي في طور التكوين .

واحيانا يجدون لؤلؤة يابسة من الخارج ولكنها من الداخل لينة من الطين وهذه اللؤلؤة يسمونها (مجهولة) لجهل الناس حالها .. فبعض تجار اللؤلؤ يشتري مجهولة بثمن كبير لتكسد عليه ويخسر بها .. وبعضهم يشتري مجهولة ويعطيها الى احد الخبراء في اللؤلؤ وخاصة في البحرين فيعالجها له ويزيل قشرتها الخارجية فتكون لؤلؤة فريدة ويربح بها ..

وهناك لؤلؤة اخرى تكون لاصقة بالمحارة يسمونها (فص) بفتح الفاء والجمع (افصوص) ، هذه ايضا يعالجها الخبراء مثل المجهولة فأحيانا يخرجونها من المحار لؤلؤة فريدة تباع بمبالغ كبيرة .

اللؤلؤ الصناعي

تحدث الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره للقرآن الكريم في الجزء الرابع والعشرين صفحة ٨١ عن اللؤلؤ في تفسيره لسورة الرحمن عند قوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) .

يقول الشيخ طنطاوي بأن اللؤلؤ على ثلاثة انواع (طبيعية - ومولدة - وصناعية) .

اللؤلؤ الطبيعي معروف وهو أساس هذا البحث ، واما اللؤلؤ المولد فهو ان يدخلوا في جوف المحارة حبة صغيرة فتتكون لؤلؤة ، وفى الاخير اخذوا يضعون حبات اكبر لتخرج لؤلؤة كبيرة وفي مدة قصيرة . ويقول انه لولا العلم لما تمكنوا من ذلك لان العلم هو الذى جعلهم يعرفون سبب تكون اللؤلؤ كما سبق ان شرحنا .. ويقول انه لا يعرف اللؤلؤ الطبيعي من اللؤلؤ المولد الا بأشعة اكس .

وفي اليابان ظهرت صناعة اللؤلؤ الصناعي او الزراعي بالاحرى ، حيث قام احد اليابانيين في مطلع القرن العشرين بوضع جسم غريب داخل المحارة الصدفة بعد ان علم ان سبب تكون اللؤلؤ هو ان جسما غريبا يدخل داخل الصدفة ، فيقوم الحيوان الذى بداخلها بالدفاع عن نفسه فتتكون اللؤلؤة . كانت مفاجأة حين قام الحيوان داخل المحارة بالدفاع عن نفسه فتكونت من جراء ذلك لؤلؤة .. وركز اليابانيون جهودهم في صناعة اللؤلؤ زراعيا .. وفي عام ١٩١٢م خرجت الى العالم اول لؤلؤة مستديرة .. وكان لخروج هذه اللؤلؤة صداه المحمود . واثره البعيد في هذا العمل .

تحدث الدكتور عبدالرحمن زكي في كتابه الصغير ، من سلسلة المكتبة الثقافية في القاهرة سنة ١٩٦٤م واسم الكتاب (الاحجار الكريمة في الفن والتاريخ) من اصدارات كتابي ، فيقول في حديثه القصير عن اللؤلؤ صفحة ١٤٣ عندما تكلم عن اللؤلؤ الصناعي : (وقد مهر اليابانيون في هذه الصناعة ، صناعة تزريع اللؤلؤ . وخرجت اللآلىء المزروعة مستديرة اجمل استدارة . وخرجت اول لؤلؤة على هذه الاستدارة عام ١٩١٢) .

اما اللؤلؤ المصطنع وهو الذى تلبسه ٩٩٩ من الالف من النساء فيصنع من حبات مجوفة من الزجاج تغطي بالجيلاتين وهي مادة الغراء ، وتؤخذ من العظام ، ولكى يعطي هذا الغشاء اضواء كأضواء اللؤلؤ يخلط بقشور (فلوس) بعض الاسماك) .

تحدث الاستاذ انيس منصور في كتابه (حول العالم في مئتي يوم) الطبعة الثانية ، حديثا مستفيضا عن اللؤلؤ الزراعي من صفحة ٥٦٦ ـ ٥٨٥ ، وملخص حديثه ان طفلا عاديا من قرية اسمها (توبا) تبعد ١٣ ساعة (لابد وان تكون بواسطة السيارة أو القطار) عن العاصمة طوكيو واسم الطفل (ميكو موتو) وقد اشتغل بصيد الاسماك واشتغل ايضا بالغوص على اللؤلؤ . وكان هذا الطفل ذكيا جدا . فسأل احد اصحابه من المشتغلين بالاحياء المائية لماذا يوجد اللؤلؤ في بعض الاصداف وبعضها الأخر لا يوجد به لؤلؤ ؟ أجابه صديقه بأن بعض الطفيليات الصغيرة الموجودة في البحر تتسلل داخل الصدفة فيكون اللؤلؤ دفاعا من الصدفة بافراز مادة جيرية فسفورية .

اخذ ميكو موتو ـ بعد هذه الاجابة ـ يفكر تفكيرا عميقا .. لا بد وان يعمل في اخراج لؤلؤة مزروعة ، وهذه العملية تشبه عملية التلقيح الصناعي عند الاناث من الانسان والحيوان ، حيث يتم ادخال الحيوانات المنوية الى الرحم عن طريق الانابيب ، وتلقيح اللؤلؤ او زراعته لا تختلف عن التلقيح الانساني او الحيواني .

بعد جهود مضنية ، ومثابرة على العمل نجح ميكو موتو في الحصول على اول لؤلؤة مزروعة .

ويقول الاستاذ انيس منصور ان ذلك كان يوم ٢٨ سبتمبر ١٨٥٩م وأنا ارى بأن هذا التاريخ خطأ مطبعي لهذين السببين :

السبب الاول : ميكو موتو نفسه ـ كما ذكر الاستاذ انيس توفي سنة ١٩٥٤م وعمره ٩٦ ـ فاذا كان ميلاده سنة ١٨٥٨م فهل زرعها وهو رضيع ؟

السبب الثاني : ان اللآلىء المصنوعة او المزروعة خرجت الى العالم في اول القرن العشرين .. اذن كيف يكون خروجها او ظهورها في منتصف القرن التاسع عشر تقريبا ؟ ارى بأن التاريخ الصحيح هو سنة ١٨٩٥م آخر القرن التاسع عشر .. واول لؤلؤة مستديرة كاملة ظهرت الى العالم سنة ١٩١٢ .

اصبح يوم ٢٨ سبتمبر من كل عام اجازة في كل مصانع وشركات ميكو موتو . ذكرى اول لؤلؤة خرجت الى العالم زراعيا .

والآن لنستمع الى الاستاذ انيس منصور يحدثنا في كتابه صفحة ٥٧٣ حيث يقول :

(وكانت هذه هي بداية اللؤلؤ المزروع . او بداية زراعة اللؤلؤ وكان ميكو موتو هو اول انسان اخترع اللؤلؤ في العالم . وعندما ذهب ميكو موتو الى امريكا للدعاية لهذا اللؤلؤ وقابل المخترع الامريكي (اديسون) الذى اخترع المصباح الكهربائي وأضاء ظلام الدنيا ، قال له المخترع الامريكي «انك حققت معجزة عظيمة» .

ورد عليه ميكو موتو : «أنت أضأت العالم ، وأنا أضأت أعناق النساء . واذا كنت في دنيا الاختراع قمرا كاملا ، فانا احد النجوم التي ليس لها عدد» .. وعندما سمع اديسون هذه العبارة بكى .

وقال له ميكو موتو وهو ينظر الى دموع المخترع الكبير : (لقد رأيت أعظم لؤلؤتين على خد انسان) ..

لله در ميكو موتو على وصفه لدموع المخترع العظيم اديسون بأنها لآلىء ..

ولله دره أيضا على هذا الاختراع الفريد ، الذى كلفه جهدا وتعبا .. وكانت النتيجة عظيمة للغاية .. ومصانع ميكو موتو تنتج سنويا عشرين مليون لؤلؤة وعدد العمال في شركات ميكو موتو حوالى ١٨٠

الف عامل سكان مدينة كاملة .

يقول الاستاذ انيس بأنه بعد ان اصبح اللؤلؤ المزروع يشكل خطرا كبيرا على اللؤلؤ الطبيعي في كل انحاء العالم ، فقد رفعت قضايا ضد ميكو موتو في لندن وباريس وروما واصدرت المحاكم احكاما لصالحه ، وطلبوا اليه ان يكتب على لؤلؤه عبارة (لؤلؤ طبيعي) ولكنه رفض وكتب عبارة (لؤلؤ مزروع) وكان يسمى (ملك اللؤلؤ) .

يقول الاستاذ انيس منصور بأن النساء هن اللاتي يغصن لاستخراج الاصداف ليضعن بداخلها الاجسام الغريبة لزراعة اللؤلؤ .. ويقول ان النساء اقدر من الرجال على تحمل برودة ماء البحر ، وتغوص الغائصة او الغواصة الى اعماق بعيدة وتمكث دقيقة كاملة وترتدي جلبابا ابيض لكي ينفر منها سمك القرش ولا يؤذيها او يقضي عليها ، وتحمل معها صندوقا من الخشب تضع بداخله الاصداف .. وان البرد يتعبها فاذا خرجت تصطلى على النار .. تماما كما يفعل الغاصة عندنا حيث يصطلون على النار عندما يكون قاع البحر باردا . والغريب انها تكون في الزورق الصغير هي وزوجها الذى يسحبها من قاع البحر فهو (السيب) لها .. والغواصة لا تعمل في اليوم اكثر من ساعتين .. واجرها اليومي حوالي ثلاثين قرشا ، وثمن حبة اللؤلؤ في الجزيرة عشرة قروش .

العرب واللؤلؤ الصناعي

ارى بأن العرب في عهد الدولة العباسية لا بد وانهم توصلوا الى اللؤلؤ الصناعي لان العلوم كانت مزدهرة جدا في العهد العباس .. ونبغ عدد من العلماء الكبار في شتى العلوم . فاذا كان العرب في عهد الدولة العباسية ـ كما حدثنا البيروني في كتابه الجماهر ـ قد توصلوا الى اختراع جهاز الغوص على اللؤلؤ . فاذن من الممكن عمل اللؤلؤ الصناعي . ومع الاسف ان احدا من المؤلفين لم يشر الى ذلك .. بيد ان عالما جليلا هو (جلال الدين السيوطي) اشار الى اللآلىء المصنوعة في كتاب له عن الاحاديث النبوية الشريفة الموضوعة لغايات في النفوس ، واسمى كتابه هذا باسم مهم جدا بالنسبة لموضوعنا اسمه (اللآلىء المصنوعة ، في الاحاديث الموضوعة) ولو لم تكن اللآلىء المصنوعة عندهم لما ذكرها .. او يجوز ان السيوطي ذكرها من تلقاء نفسه .. فهو مؤرخ واديب وعالم جليل من علماء الدين توفى سنة ٩١١هـ .

بعد ان انتشر اللؤلؤ الزراعي الياباني في الكويت وبلدان الخليج العربي اصبح يشكل خطرا جسيما على اللؤلؤ الطبيعي من ناحيتين :

الاولى : انه اثر تاثيرا كبيرا على اسعار اللؤلؤ ، وكان من اسباب كساد تجارة اللؤلؤ الطبيعي .

الثانية : ان بعض تجار اللؤلؤ من ذوى النفوس الضعيفة كانوا يغشون اي يخلطون اللؤلؤ الزراعي باللؤلؤ الطبيعي للربح ، وحدثت حوادث مؤسفة في البحرين وعوقب الفاعل عقابا شديدا ليكون عبرة لغيره .

ويسمى اللؤلؤ الزراعي عندنا اللؤلؤ الياباني او اللؤلؤ التقليد .. وكان عبارة عن شبح مرعب بالنسبة للغواصين والطواشين تجار اللؤلؤ .. وكانوا يتابعون اخباره : ولدى بعض الرسائل عن اللؤلؤ الياباني . وفيها معلومات مفيدة عن اللؤلؤ الياباني من فضيلة الشيخ يوسف بن عيسى القناعي الى صديقه جدى المرحوم شملان بن علي آل سيف من تجار اللؤلؤ .. واليكم الاعلان بخط الشيخ يوسف :

اعلان عن لؤلؤ اليابان

١ ـ انه غير قابل للتغيير مع مرور السنين .
٢ ـ لدى استعماله ما يعتريه تغيير في لونه من عرق الجسم وغيره .
٣ ـ ما يظهر عليه التغير اذا وضع بالماء المالح او غيره .
٤ ـ اذا اردت غسله بالماء او بالسبيرتو ما يتغير بل يزداد جمالا .
٥ ـ لا يطلع عليه قشور او خدوش او تغيير لون اصلا .
٦ ـ يمكن تخرقه وتجعله عقودا للمصاغ .
٧ ـ اذا اختلط مع الاصلي لا يظهر عليه التغيير ولا يميزه اكبر جوهري .
٨ ـ اقيامه رخيصة تفرق عن الاصلي ٦٠ الى ٤٠ .

وهذا اعلان آخر عن اللؤلؤ الياباني .. وجدته ضمن اوراق جدي .. وكتابته ركيكة . ونفس الشروط التي ذكرها الشيخ يوسف في ملحق رسالته ، مع زيادة بعض الكلمات .. وذكر ست مواد .. والشيخ ذكر هذه المواد الست ..

وهناك مادتان اخريان في آخر الاعلان وهما : (واذا حصل اختلاط بينه وبين الحقيقي لا يظهر عليه التغيير بل اكبر جوهري غير ممكن يميزه او يعرفه انه مخلوط مع التقليدي .. ايضا اقيامه جدا رخيصة يفرق عن الاصلي ٦٠ ـ ٤٠ .لهذا نحن نقدم النصيحة للاصحاب ان يبادروا بالمطالبة فلا يتركون اهل الصنف الحقيقي خوفا من الغش عند المشتري .. ولهذا نعرض على الاصحاب ان يطلبوا منا لأننا بياعة باسم اللؤلؤ التقليدي عنوانا ميتويل راجنسني يرتسيسي استريت الـ٦٧ ـ ٦٩ بالطبقة الثانية) .

يظهر أن هذا الاعلان مترجم من احدى النشرات الاجنبية والمتعلقة باللؤلؤ الياباني . ولم افهم ماذا يعني بذكر العنوان . ولابد ان تكون هناك رسالة معه لم اجدها .

احصائيات عامة عن الغوص في الخليج العربي

جاء في كتاب (دليل الخليج العربي) الذي ترجمته وطبعته حكومة قطر في عدة اجزاء ، وهذا عمل مفيد لان في الكتاب معلومات عن بلدان الخليج العربي ، معلومات تاريخية وجغرافية مع احصائيات .. وانتهى الكاتب (لوريمر) من تاليف الكتاب عام ١٩٠٧م وكان ممنوعا طبعه الا بعد مرور خمسين عاما .

في الجزء السادس ، قسم التاريخ من صفحة ٣٠٥٠ ـ ٣١٥٣ معلومات مفيدة عن الغوص على اللؤلؤ ، وعن اللآلىء وحاصلات الغوص ، فيقول انه في سنة ١٨٣٣م كانت حاصلات الخليج العربي من اللؤلؤ ٣٠٠,٠٠٠ الف جنيه استرليني . وفي سنة ١٨٦٦م ٤٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني . وفي سنة ١٩٠٦م : ٤٣٤٣٩٩ جنيها .. وبلغ ثمن بيع اصداف اللؤلؤ المحار في سنة ١٩٠٤م : ٣٠٣٤٩ جنيها استرلينيا .

اورد احصائية عامة عن محصولات اللؤلؤ في الخليج العربي في الساحل العربي والساحل الفارسي من عام ١٨٧٣م ـ ١٩٠٥ فكانت حاصلات البحرين سنة ١٨٧٣ : ٢,١٠٠,٠٠٠ روبية وسنة ١٩٠٥ : ١٠,٤٨٨,٠٠٠ روبية .

يقول لوريمر صفحة ٣١٠٧ : (وقد ظهرت الكويت لاول مرة في سنة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦م) وفيما يلي احصائيات هذه السنة بالروبيات :

البحرين	١٢،٦٠٣،٠٠٠ روبية
عمان المتصالح	٨،٠٠٠،٠٠٠ روبية
لنجة	٦،٩٥٨،٦١٠ روبية
الكويت	١،٣٤٧،٠٠٠ روبية
مسقط	٢٢،٥٠٠ روبية

أورد لوريمر احصائية بعدد سفن الغوص في الكويت والبحرين وقطر والاحساء وساحل عمان وسواحل فارس . كما ذكر عدد بحارة الغوص واليكم الاحصائية .

مجموع سفن الغوص في عمان سنة ١٩٠٧م (١٢١٥) سفينة وعدد البحارة ٢٢٠٤٥ نسمة .

مجموع سفن الغوص في البحرين سنة ١٩٠٧م (٩١٧) سفينة وعدد البحارة ١٧٦٣٣ نسمة .

مجموع سفن الغوص في قطر سنة ١٩٠٧م (٨١٧) سفينة وعدد البحارة ١٢٨٩٠ نسمة .

مجموع سفن الغوص في الاحساء سنة ١٩٠٧م (١٦٧) سفينة وعدد البحارة ٣٤٤٤ نسمة .

مجموع سفن الغوص في الكويت سنة ١٩٠٧م (٤٦١) سفينة وعدد البحارة ٩٢٠٠ نسمة .

مجموع سفن الغوص في سواحل فارس سنة ١٩٠٧م (٩٢٤) سفينة وعدد البحارة ٨٨٤ نسمة .

عدد سفن الغوص في الخليج العربي (٤٥٠٠) سفينة كبيرة وصغيرة . وعدد الرجال العاملين في هذه السفن (٧٤٠٠٠) نسمة .

سفن الغوص

١ ـ البتيل : بفتح الباء وتشديد التاء وجمعه بتاتيل نوع من السفن القديمة وغير معروفة لدى العرب قديما .

٢ ـ بقارة : بفتح الباء وتشديد القاف وجمعها بقاقير نوع من السفن القديمة وغير معروفة لدى العرب قديما .

٣ ـ سنبوك : بفتح السين بضم الباء وجمعه سنابيك نوع من السفن القديمة وتعرف لدى العرب بهذا الاسم .

٤ ـ بوم : بضم الباء وجمعه ابوام او ابام . واليوم من أشهر سفن النقل التجاري .

٥ ـ جالبوت : بفتح الجيم وجمعها جواليت . وربما يكون اسمها محرفا والاصل الجلاب نوع من السفن القديمة والمعروفة لدى العرب .

٦ ـ شوعي : بضم الشين وجمعه شواعي : ولدى العرب قديما نوع من السفن اسمه الشلندي .

بحارة سفينة الغوص

١ ـ النواخذة : وهو الربان .. واللفظة غير عربية وانما فارسية اصلها ناخوذاه وهو المسئول عن السفينة ، وبيده الحل والعقد والجميع يطيعونه ، وله ثلاثة اسهم من محصول السفينة .

٢ ـ الجعدي : بكسر الجيم واسكان العين الشخص الذي يحل محل النوخذة في السفينة وتكون له ثلاثة اسهم .

٣ ـ المقدمي : رئيس البحارة وهو المسئول عن العمل في السفينة . ويسميه ابن ماجد في كتابه (التنديل) . والتنديل لفظة

دخيلة هندية وتعني رئيس العمال او المشرف على العمل . ولفظة (المجدمي) مشتقة من التقدم لأنه يتقدم البحارة في العمل . وجمع المجدمي (مجادمة) بكسر الميم . وجميع السفن الكبيرة يكون فيها المجدمي . كذلك في اكثر السفن الكبيرة يكون فيها « نهام » المطرب البحري .

٤ ـ الغيص : وهو الشخص الذي يغوص في البحر لجمع المحار وجمعه غاصة . وللغيص ثلاثة اسهم .

٥ ـ السيب : وهو الشخص الذي يسحب الغيص من قاع البحر . وجمعه اسيوب ، وللسيب سهمان .

جاء في اللغة العربية ان السيب مردي السفينة وساب البحر جرى . والسيب مجرى الماء جمعه سيوب . اذن للفظة السيب عندنا علاقة باللغة العربية من ناحيتي مردي السفينة العود الذي تدفع به السفينة . ومجرى الماء .

٦ ـ الغزال : يكون في بعض السفن الكبيرة شخص واحد يغوص على حسابه الخاص وله سيبه الذي يجره من قاع البحر . وسمي عزالا لأنه اعتزل من في السفينة وما يحصل عليه له سوى ان يؤخذ منه الخمس للسفينة وحصة السيب ومصروف الأكل .

٧ ـ الرضيف : تطلق هذه اللفظة على الصبيان الذين يقومون بالاعمال الخفيفة وللتدرب على العمل . للرضيف سهم واحد من المحصول .

هناك في بعض السفن يكون صبي صغير يسمونه « تباب » بفتح التاء وتشديد الباء وجمعه تبابه يخدم من في السفينة ، ويتدرب على العمل في البحر . وهذا ليس له سهم انما يعطي اكرامية من النواخذة وبعض البحارة . كذلك يبحث في المحار المفتوح عن صغار اللؤلؤ السحتيت ويبيعها على حسابه .

عدد البحارة في السفن

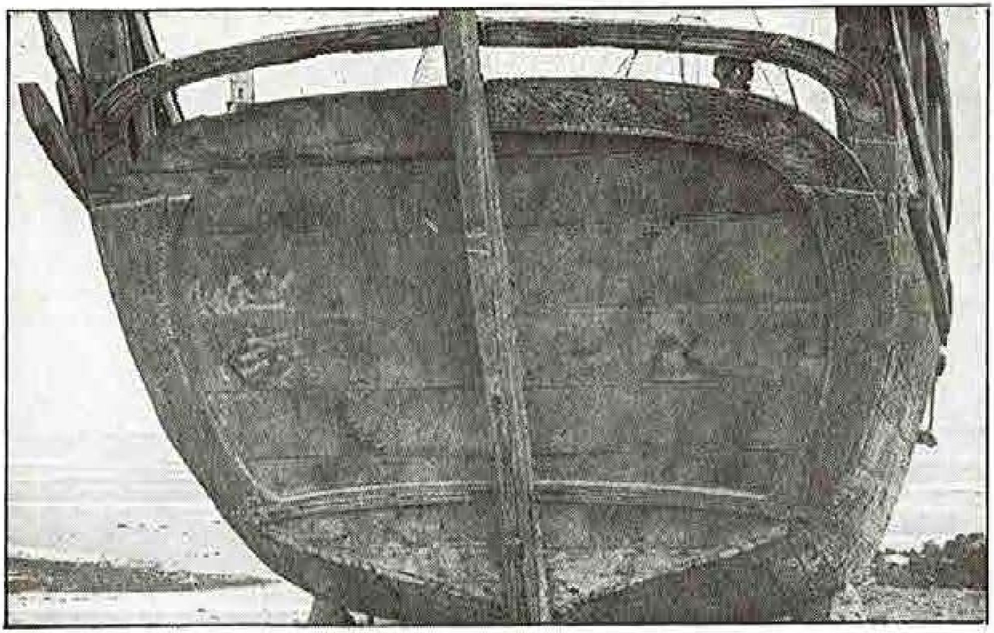
يختلف عدد البحارة في سفينة الغوص من اكثر من مئة شخص الى نحو ثلاثين شخصا او اقل او اكثر ، على حسب حجم السفينة ومقدرة النوخذة على جمع اكبر عدد من البحارة . وغالبا ما يضعون عدد السيوب اكثر من عدد الغاصة . كما يضعون في السفن الكبيرة نحو خمسة او سبعة اشخاص زيادة في العدد (أسبير) ويسمونهم (الجلاسة) بفتح الجيم وتشديد اللام . يحلون محل السيب المريض ، او الذي يكون مشغولا بأداء الصلاة ونحو ذلك حيث يجرون الخراب . ويجذفون بواسطة المجاديف ، ويفلقون المحار بفتحونه . والنهام (المطرب البحري) والطباخ يعملان عملهم .

انواع الغوص

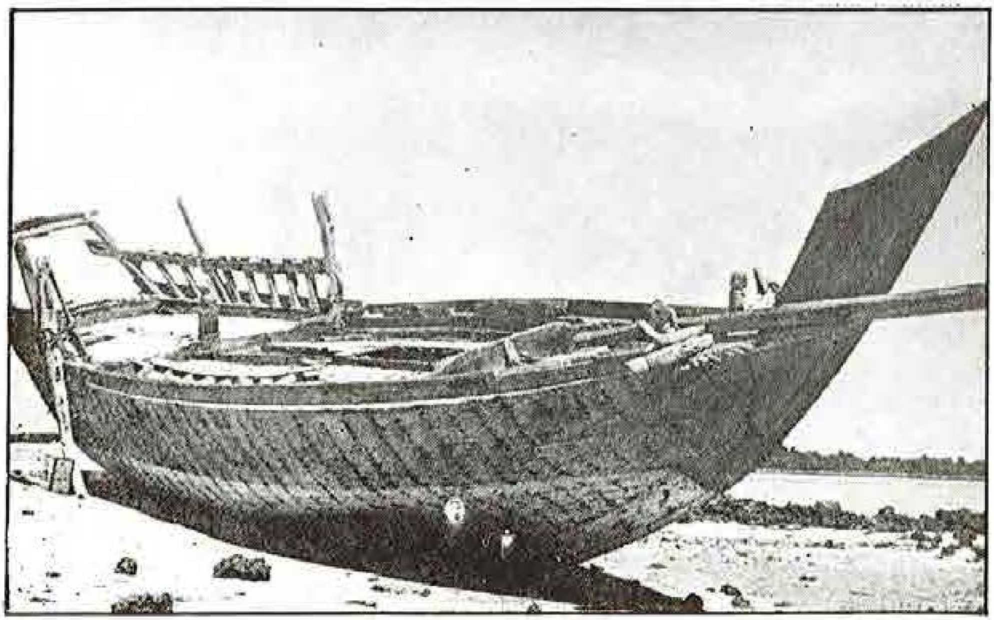
ينقسم الغوص على اللؤلؤ الى ثلاثة انواع او ثلاث فترات ، واليكم ذكرها مرتبة :

١ ـ الخانجية : بفتح الخاء وهي باكورة الغوص وذلك في آخر فصل الربيع في الشهر الرابع ابريل . وتكون من السفن الصغيرة . وقليلة العدد . ويغوصون قرب الساحل (ساحل العدان) (من الشعيبة حتى المشعاب تقريبا) .

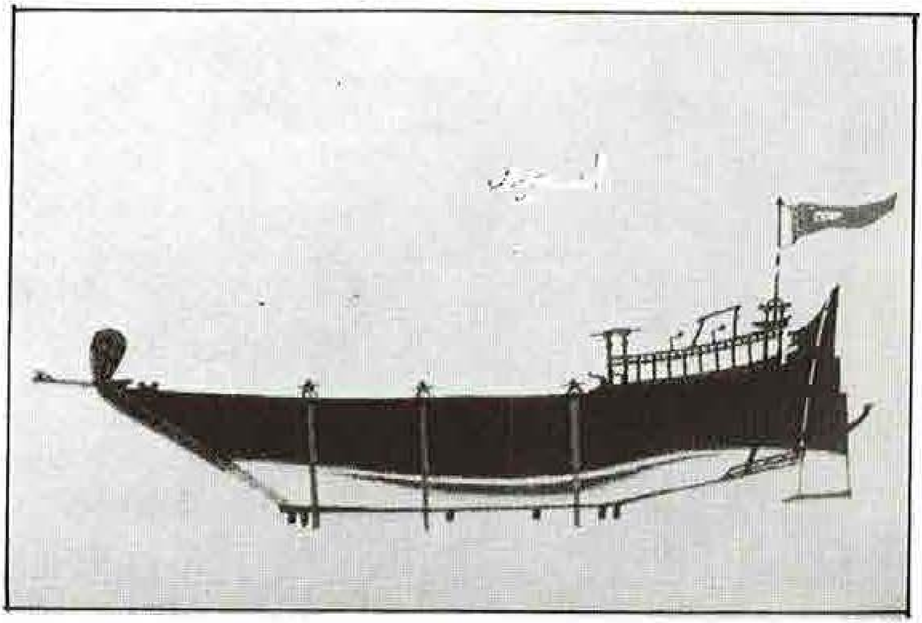
الخانجية والردة واردديه هذه لها وضع خاص متعارف عليه لدى الغواصين عامة . ولا تخضع لقانون الغوص وهو أن للبحار جميع ما يحصل عليه من نقود من الخانجية والردة واردديدة تكون الدراهم له ولا يأخذ



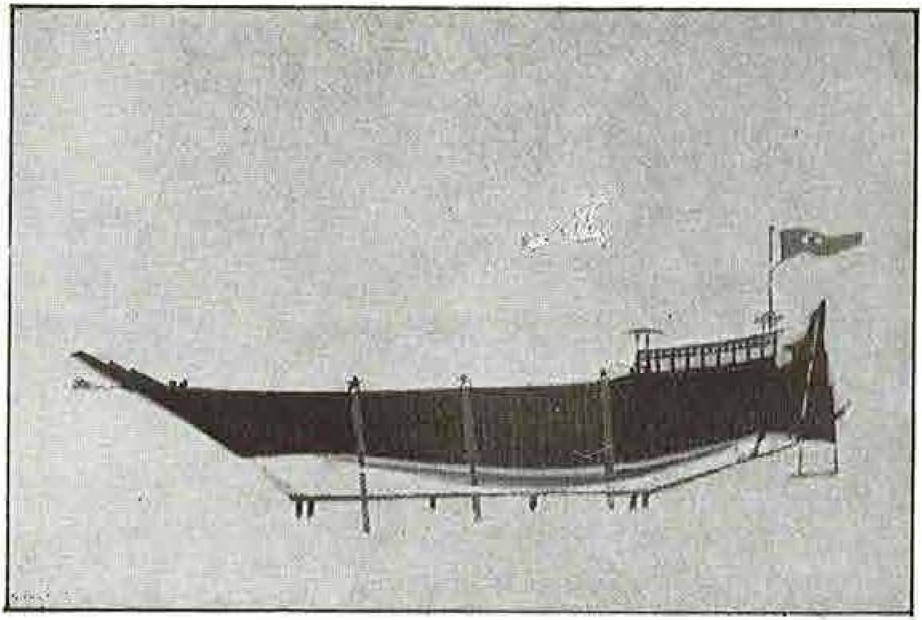
مؤخرة السنبوك (الرقعة)



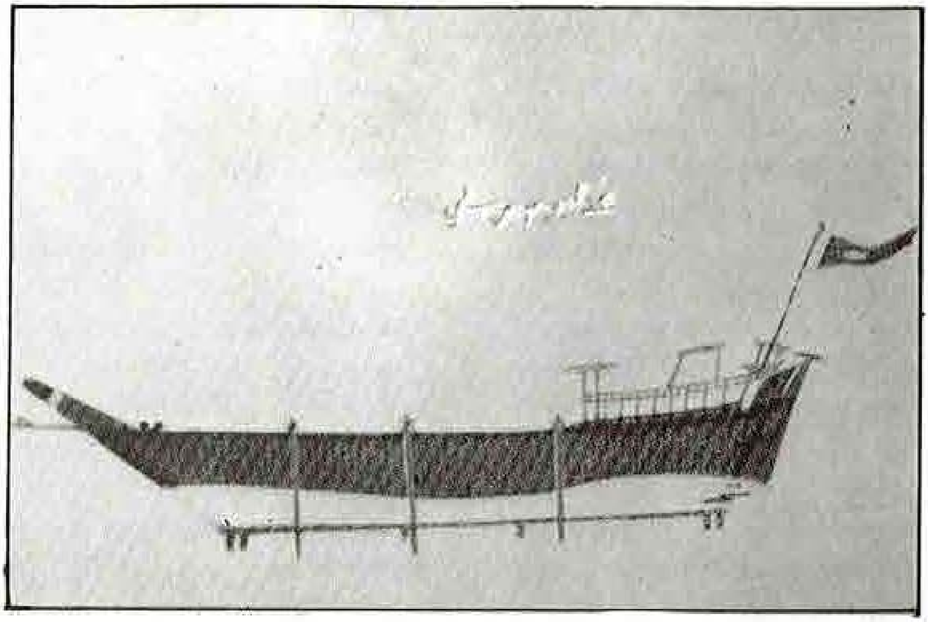
صورة آخر (سنبـوك) كبير في البحــرين وذلك عام ١٩٦٣م



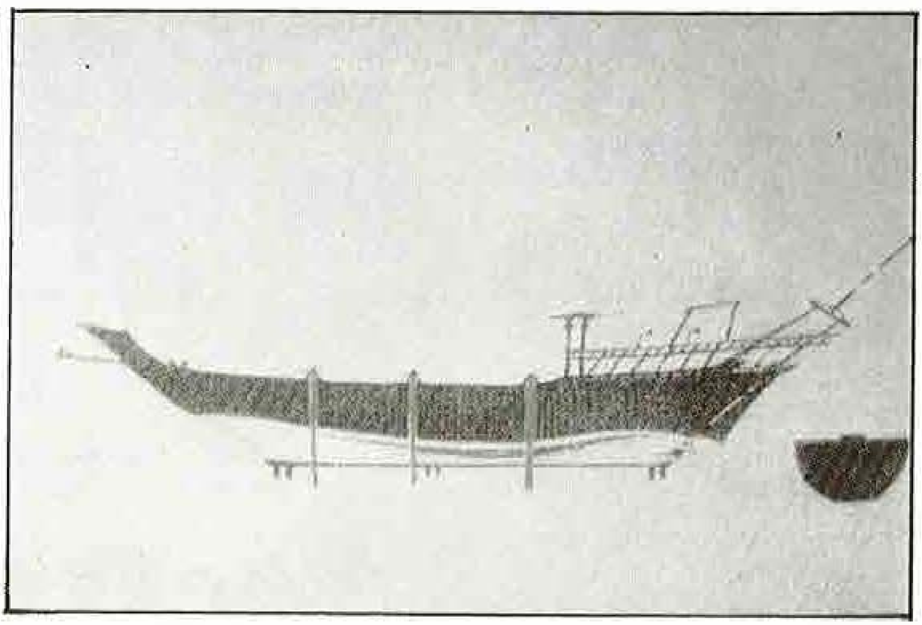
رسم بتيل



رسم بقارة



رسم بوم



رسم سنبوك

النوخذة او النواخذة الذين لهم عليه دراهم منه شيئا . وهناك قول معروف عبارة عن قانون وهو (دراهم الغوص على الغوص) اي على الغوص الكبير .

٢ ـ الغوص : وهو الذي نحن بصدده .. وتذهب السفن الكبيرة والصغيرة .. الكبيرة تغوص في المياه العميقة والبعيدة عن الساحل وتسمى اهيرات بكسر الهمزة مفردها هير بكسر الهاء ، والسفن الصغيرة تغوص قريبة من الساحل ، ومدة الغوص اربعة شهور ، وعشرة ايام ، وفي الكويت اذا غادرت سفينة الغوص الكويت لا تعود اليها الا بعد انتهاء الغوص . اما في البحرين فعلى عكس ذلك حيث ان سفن الغوص بعد ان تمكث في المغاصات نحو ٥٥ يوما او اقل تعود السفن الى البحرين للراحة وتمكث نحو اسبوع ثم تعود الى المغاصات وتسمى هذه العودة اول السنة السفرة . وبعد نحو شهر او اكثر تعود السفن ثانية الى البحرين في عز الصيف وتسمى الصيفية ثم تعود الى المغاصات ولا تعود الا اثناء القفال بعد انتهاء موسم الغوص .

٣ ـ الردة : أي الرجوع والعودة ثانية ، وتكون بعد انتهاء موسم الغوص الكبير في اخر الشهر التاسع سبتمبر . والردة تكون في الشهر العاشر اكتوبر .. ويكون البحر باردا والردة تشبه الخانجية تقريبا ، الاولى باكورته او بدايته والثانية نهايته .. والسفن التي تذهب الى الردة قليلة العدد وجلها من السفن الصغيرة .. ويظلون يغوصون حتى يشتد البرد عندئذ يرجعون الى البلاد .

ادوات الغوص على اللؤلؤ

قبل ان ابدأ في وصف عملية الغوص على اللؤلؤ أود ان اذكر الأدوات التي يستعملها الغواصون في عملهم للغوص في قاع البحر لجمع المحار وهي :

١ ـ الفطام : بضم الفاء قطعة صغيرة تصنع من عظام السلاحف طولها نحو اصبع وللفطام فتحة يضعها الغيص على أنفه لمنع تسرب الهواء ودخول الماء . ويحضره الغيص معه .

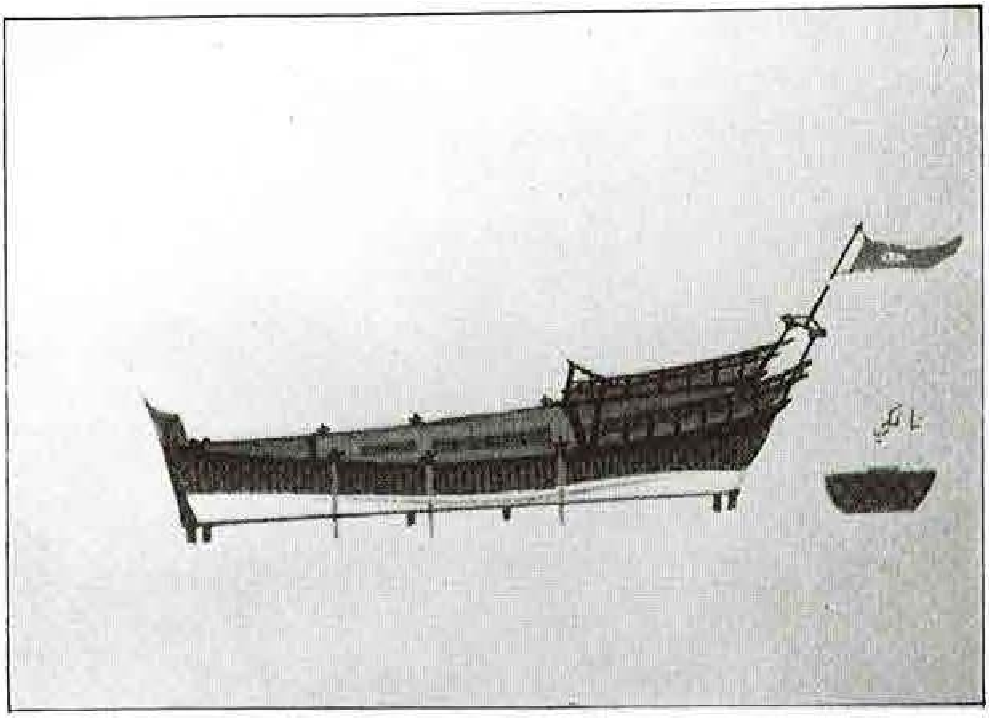
٢ ـ الديين : بتشديد الدال وجمعه دياين بكسر الدال وعاء يعمل من الحبال الرفيعة كهيئة الغربال وله من الاعلى قوس من الخشب ويضع الغيص المحار بداخله . ويحضره الغيص معه .

٣ ـ الخبط : بفتح الخاء وعاء صغير من الجلد يوضع على أطراف الاصابع يضعه الغيص احيانا لحفظ اصابعه من شر الجروح التي تحدث له من بعض انواع المحار المسمى (الفساقة) بكسر الفاء وبعض القواقع الأخرى . كذلك يستعمل الخبط عندما يكون المحار كثيرا جدا . ويحضره الغيص .

٤ ـ الحجر : بفتح الحاء قطعة من الرصاص لكي تنزل بالغيص الى قاع البحر بواسطة ثقلها . وهناك نوع آخر يعمل من الحجارة يسمى حجر لاصف يستعمله الغواصون في المياه الضحلة . واذا كان الغيص نحيفا وضعيفا يستعمله ـ كما سمعت ـ حتى في المياه العميقة لخفة وزنه . ويحضره الغيص .

٥ ـ الشمشول : بتشديد الشين والجمع شماشيل بكسر الشين وهو سروال قصير اسود اللون يلبسه الغيص ويغوص به بدلا من الوزار (الازار) لأن الشمشول يساعد على الحركة وعلى السباحة على عكس الازار الذي يلبسه دائما السيوب . والشمشول عبارة عن (المايوه) في الوقت الحاضر .

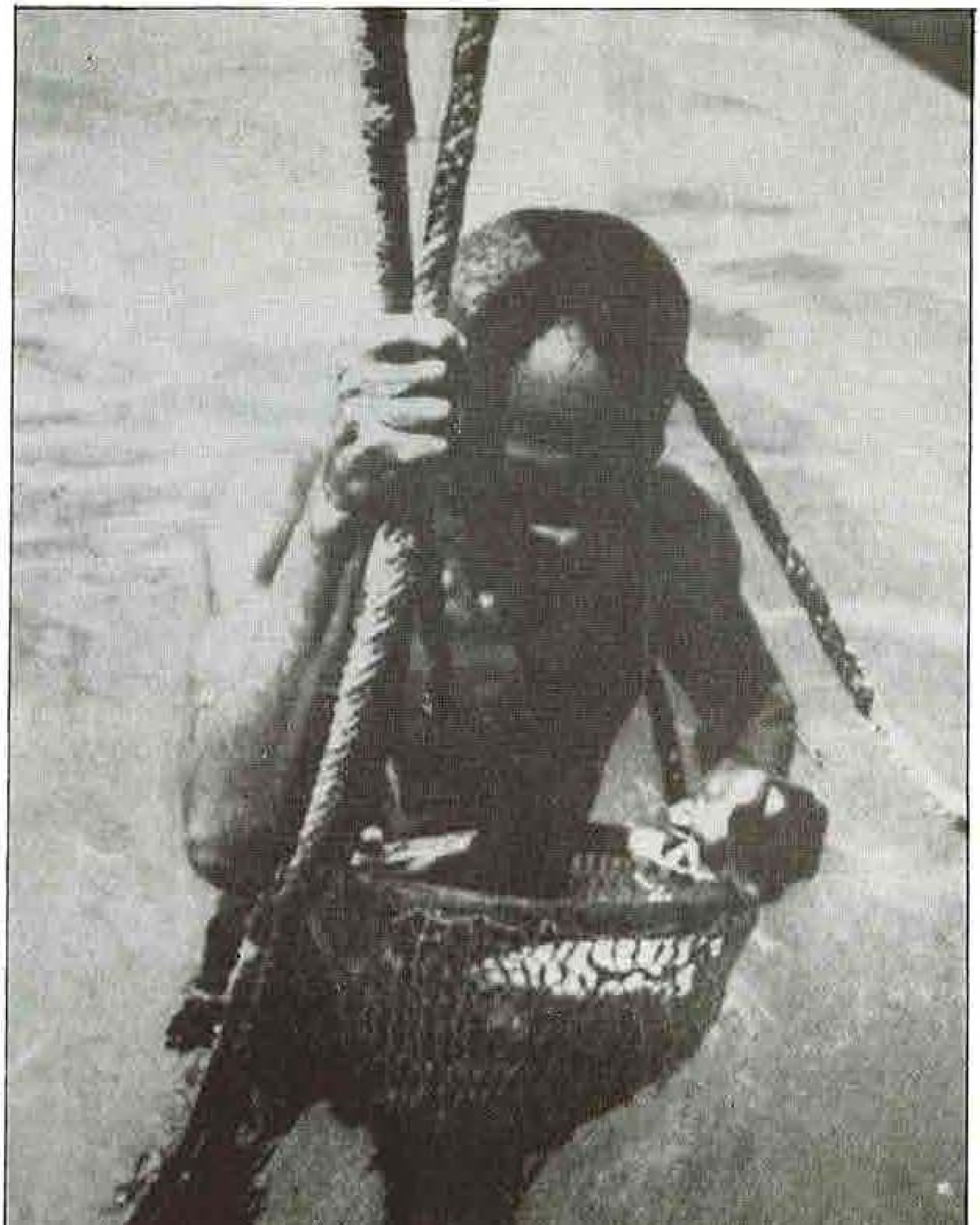
لم اجد في كتب اللغة العربية ذكرا



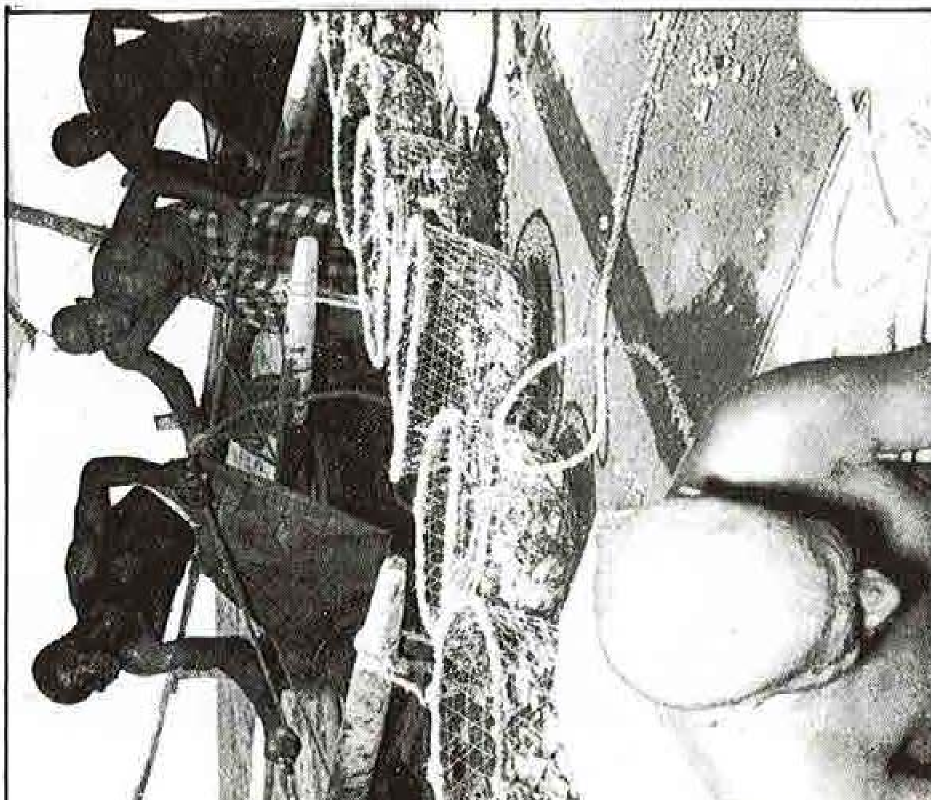
رسم جالبوت



رسم شوعي



الغيص خارجا من البحر وفي رقبته (الديين) وبداخله المحار



منظر (السيوب) وهم يسحبون (الغاصة) من قاع البحر



منظر البحارة وهم يفتحون المحار

للشمشـول في حين ان هنـاك ذكرا للشملة بتشديد الشين كساء من الصوف معروف عندنا .

٦ ـ لباس الغوص : من القماش الخفيف اسـود اللون يشبه البنـطلون وقميصه له اكمام طويلة يلبسه الغيص ليتقي شر الدول الحيوان الهلامي وسأتحدث عنه .

٧ ـ الايدة : بكسر الهمزة والجمع أيادي بفتـح الهمزة حبـل طويل ليسحب السيب الغيص من قاع البحر بواسطته . ويحضره الغيص وطوله من ٤٠ باعا الى ٤٥ باعا اي من ٧٢ مترا الى ٨١ مترا .

٨ ـ الزيبـل : بتشديـد الزال والجمـع زيابل بكسر الزال حبل طويل يسحب السيب بواسطته الحجر من قاع البحر بعد وصول الغيص الى قـاع البحر . يحضـره السيب وطوله نحو ٢٠ باعا اي ٣٦ مترا .

٩ ـ الطرطور : بتشـديـد الطاء جمعـه طراطير بفتح الطاء عبارة عن قلنسوة طويلة ويستعمـل الطرطور البدو لحفـظ شعورهم الطويلة عنـدما يغـوصون يضعـونـه عـلى رؤوسهم .

جاء في كتب اللغة العـربية ان الطرطور القلنسـوة الطويلة الدقيقـة . ويستعمـل الطرطور في سوريا ولبنان تضعه النساء على رؤوسهن .

١٠ ـ أزار (وزار) : يطلق على الرداء الذي يستـر أسفـل الجسم (أزار) بضم

الهمزة وفتح الزاء وجمعه (وزرة) بكسر الواو واسكان الزال . واحيانا نلفظه بالواو (وزار) بضم الواو . ويرتديه البحارة وغيرهم عبارة عن سروال وجاء في اللغة العربية ذكر لفظه ازار وهي لفظة عربية صحيحة ولكننا ننطقها محرفة بدلا من كسر الهمزة ونضع ضمة على الهمزة او نضع بدل الهمزة واوا .

اسماء سفن الغوص في البحرين

في البحرين وغيرها من بلدان الخليج العربي يطلقون الاسماء على عدد من السفن الكبيرة والصغيرة واحيانا يكون الاسم الواحد مكررا في بعض بلدان الخليج العربي كسمحان ومشهور ومساعد ومنصور ومزيعل .. وهذه بعض اسماء سفن الغوص على اللؤلؤ التي استطعت الحصول عليها في البحرين :

سمحان

اسم خمسة سنابيك لأصحابها محمد بن راشد بن هندي ـ سنان الشروقي ـ شاهين بن طوق ـ بدر بن محمد المناعي ـ محمد بن مجرن بن مقلة .

مشهور

اسم سنبوك علي بن هلال إمهيزع ـ خميس بن محمد ابوخميس .

مساعد

اسم اربعة سنابيك لاصحابها مبارك بن شاهين العماری ـ شاهين الجلاهمة ـ عبدالله الذوادی ـ جاسم بن امهيزع

سعيد

سنبوك خميس بن جمعة ابوخميس ـ سنبوك مهنا ابو عظم

مصارع

بتيل بدر بن محمد المناعی

الطيارة

جالبوت ناصر بن احمد الغضبان

امزيعل

سنبوك سعد بن عمران الجمری

مزيون

سنبوك ابراهيم بن حمد بن إزويد

كردم

سنبوك محمد بن عمر الرميحی .

منصور

سنبوك عيسى بن احمد الدوسری ـ مبارك بن شاهين العماری .

بشارة

جالبوت عبدالله بن عيسى الذوادی

القاهرة

لنج عبدالله بن علي الزايد الأديب والصحافي والشاعر .

ابوالكباب

بوم يوسف فخروه

فرحان

بوم سلمان بن جمعة الحای .

جوهر السفن

سنبوك مبارك بن يعقوب بن مقلة ـ محمد بن ماجد الرميحی

غليون

سنبوك علي بن صقر الجلاهمة .

الغضبان

سنبوك حسين بن احمد الجلاهمة

بعوان

سنبوك عيسى باحسين المسلم

حلاوی

بوم صقر بن شاهين الجلاهمة

برزان

سنبوك خالد بن عيسى المسلم

الطويل

سنبوك جبر بن عيسى باحسين المسلم

اسويلم

سنبوك جمعة بن فاضل

السباح

سنبوك علي بن احمد امهيزع

ابو فيس

سنبوك حجى علي بن حسن المـلا والفيس القبعة .

الصقلاوى

سنبوك عبدالله بن سيف النعيمى

دلال

جالبوت ناصر بن احمد الغضبان

معدى

سنبوك سالم الشـروقى ـ راشد بن سعـد النعيمى

دلى

جالبوت محمد بن دعلوج

الديو

سنبوك محمد بن صقر بن شناف ابوفلاسة

الصاروى

سنبـوك عـبـدالله بن راشـد الـنعـيـمى والصاروى لفظة تطلق على الاسمنت

البصرة

جالبوت ابراهيم ابو رشيد

بيروت

بوم ابراهيم ابورشيد

حلب

بوم رحمة بن على آل بن علي

الفرس

بقارة محمد بن عمر الرميحى

ابوطريف

سنبوك حجى جمعة بن علي .

حالول

سنبوك حسين العضب

الحسينى

سنبوك حجى جمعة بن صوار

البستان

بوم مهنا ابوعظم

الفلاحى

بتيل عبدالله بن حسن الدوسرى

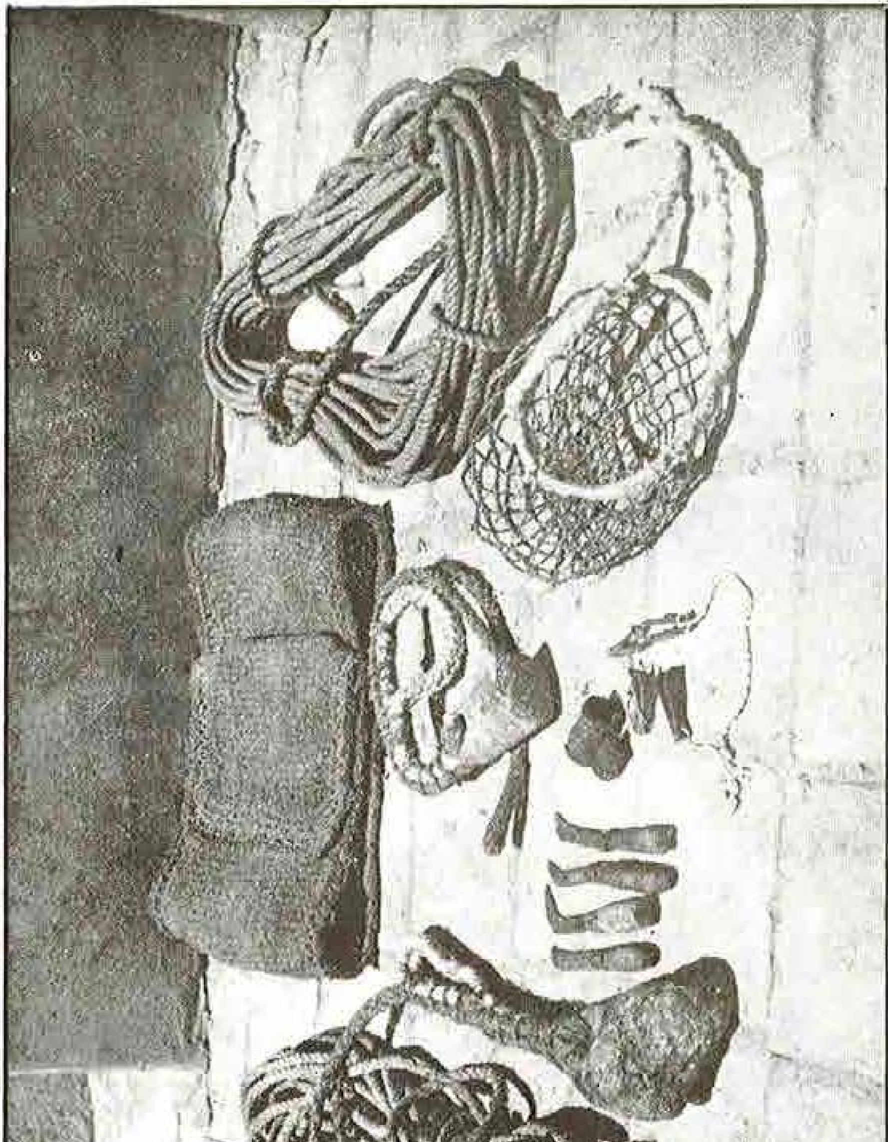
المحمدى

سنبوك علي بن احمد النعيمى

مغاصات اللؤلؤ « الهيرات » فى البحرين

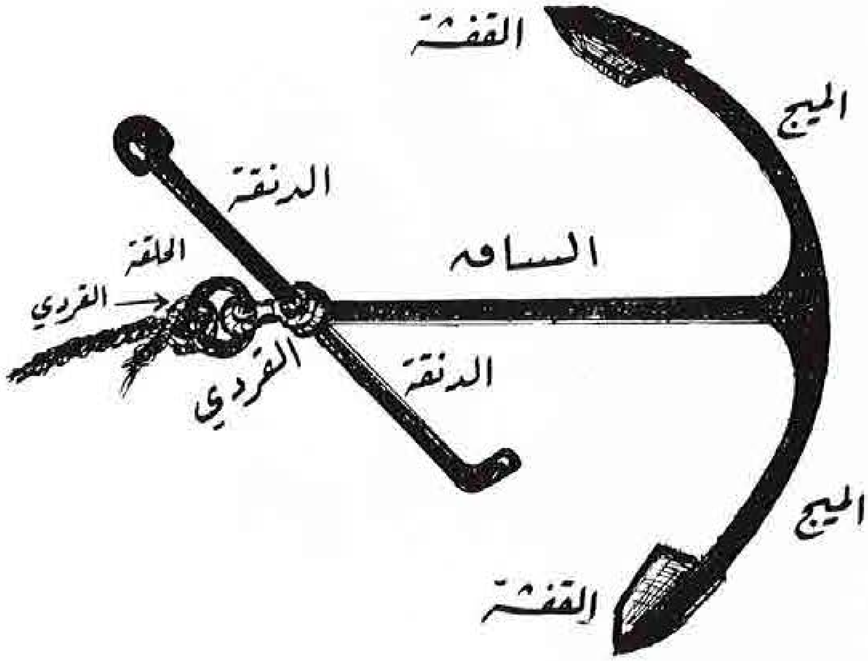
تحـدثت فى المـواضيـع السـابقـة عن الهيرات ومفردها هير بكسر الهـاء واسكان الراء ولم اجد فى كتب اللغة العربية ذكـرا للفـظة الهير بمعنى مغـاص اللؤلؤ . وذكر المرحوم عبدالوهاب بن عيسى القـطامى فى كتابه (الصيد والتنقل والتجارة فى البحار) الملحق فى نهاية كتـاب والده دليل المحتـار صفحة ٢٠٨ يقول :

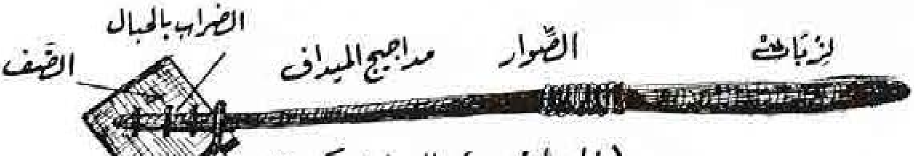
(المغاصات هى الاماكن التى يوجـد فيها المحار ويسمونها باصطلاحهم ـ الهيرات ـ والواحـد منها الهـير ـ وهى فى الفارسيـة (الهار) وهو محل اللؤلؤ والاحجار الكريمة ومنجم الذهب كمـا فى قـامـوس فـرهنـك عميد ... وتمتد هذه المغاصات من الكويت حتى مضيق هرمز محاذية الشاطىء العربى فى الجزيرة العربية او قريبة منه ، ولا يبعد ابعد هذه المغاصات عن الشاطىء اكثر من ثلاثين ميلا اما اكثرها فقريب من الساحل وحتى السواحل كلها مغاصات . وفى بعض الامـاكن يستطيـع البدو اثنـاء الجـزر ان يلتقطوا المحار من الاماكن التى انحسر عنها



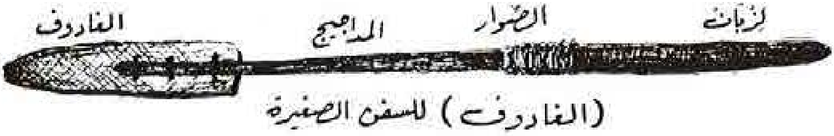
صورة أدوات الغوص من اليمين الى الشمال : حبل ابدة - ديين - جودري للنوم - حجر رصاص - فطام - خبط - مفالج - حجر لاصف - زبيل

(البـاورة)

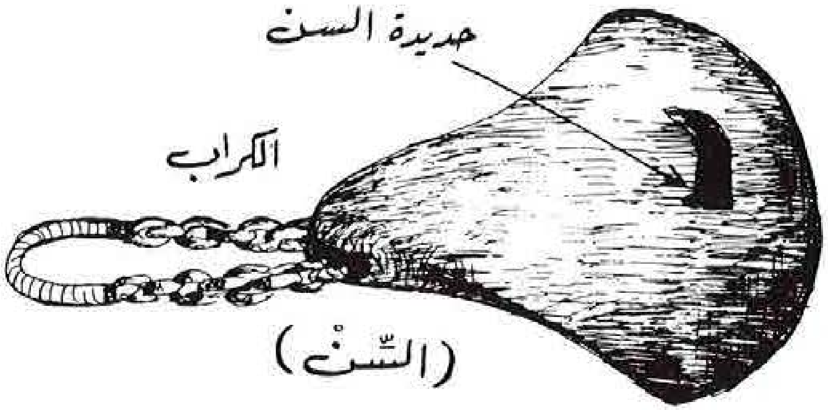


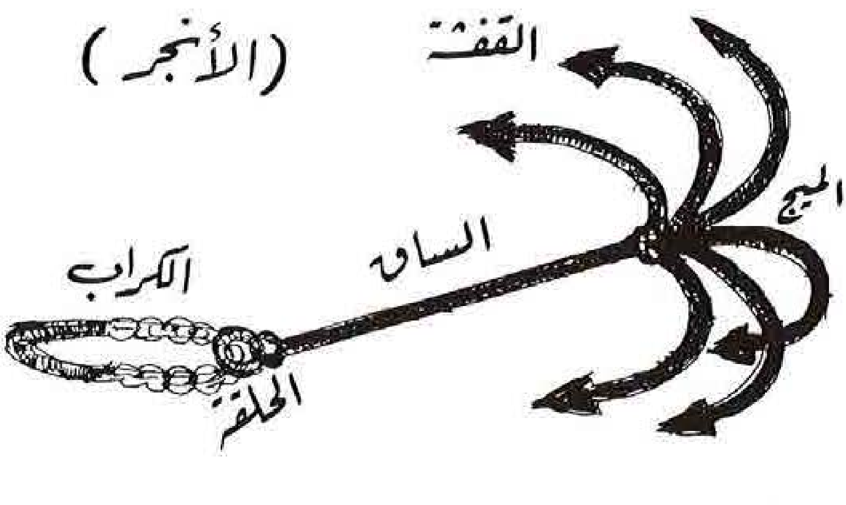


(الميداف) للسفن الكبيرة



(الغادوف) للسفن الصغيرة


حديدة السن
الكراب
(السّنْ)


(الأنجر)
القفة
الميج
الساق
الكراب
الحلقة

الماء ، وحدث كثيرا ان عثر هؤلاء البدو على لآلىء ثمينة .

وتنقسم المغاصات في عرف الغواصين الى خمسة اقسام وهى :

١ ـ مغاصات الكويت وهى المغاصات القريبة من سواحل الكويت .

٢ ـ مغاصات القطيف وهى التى تقع امام الجبيل او القطيف

٣ ـ مغاصات البحرين وهى المغاصات التى تقع شرقى جزر البحرين وشماليها .

٤ ـ مغاصات قطر وهى تقع امام شبه جزيرة قطر .

٥ ـ مغاصات عمان وهى المقابلة لساحل عمان والقريبة منه .

وليس هناك حدود بينة تفصل بين مغاصات القطيف مثلا ومغاصات البحرين ، او بين مغاصات قطر ومغاصات عمان . وانما جاء هذا التقسيم من عرف الغواصين وطبيعة قاع البحر . وليس هناك حواجز جغرافية بين هذه المغاصات . فللغواص البحرينى ان يباشر الغوص في اى مكان من الخليج وكذلك بقية الغواصين من المنطقة لهم الحق في ان يباشروا الغوص في اى جهة من جهات الخليج توجد فيها مغاصات . كما لم يسبق ان منع احد من مباشرة الغوص في جهة ما .

في موسم الغوص تنتشر السفن على مياه الخليج وفوق المغاصات من الكويت شمالا الى ساحل عمان جنوبا : فلا تخلو جهة من هذه السفن . والمغاصات متعددة الانواع والاسماء فلكل مغاص (هير) اسمه الخاص به . وهو يختلف عن باقى المغاصات . فقاع المغاص الواحد يختلف عن قاع المغاص الآخر اختلافا كليا فالاعشاب البحرية وانواعها ، والرمال والوانها ، والصخور واشكالها ، مختلفة في كل مغاص عنها في المغاص الآخر ، فاغلب الغواصين بمجرد نزولهم الى قاع المغاص يعرفونه بدون ادنى شك ، ولكل مغاص اسمه الخاص به وعمقه الثابت وتياراته المائية المعروفة ، وصفاء مائه او كدره ، وجودة انتاجه او رداءته . وشكل محاره . وفي الغالب لا يزيد عمق المغاص عن ١٣ باعا اى ٧٨ قدما الا في النادر ولا يغاص فيما يزيد عن هذا العمق الا للضرورات)

وحدة القياس عند اهل البحر (الباع) طول فتح اليدين اثناء فرجمها ويختلف طول الباع من شخص الى آخر . والثابت عندهم ان طول الباع ستة اقدام . والقدم يساوى ٣٠سم فيكون الباع اذن ١٨٠ سم . واعمق مغاص في الكويت مغاص حولى وعمقه ١٢ باعا ويعادل ٢١ مترا ونصف المتر . ومغاصات عمان عميقة وتصل ـ على ما سمعت ـ الى ١٣ باعا ويعادل ٢٣ مترا ونصف المتر . واحيانا الى ١٤ باعا اى ٢٥ مترا وعشرون سم ـ ومغاصات عمان مياهها صافية . وليست بها تيارات مائية قوية . ويقولون ان الجرجور اعداده قليلة بها . كذلك ليس بها دجاج البحر ولا غيره مما يؤذى الغاصة .

وهذه اسماء هيرات مغاصات البحرين وذكر عمقها كما سمعته من رجال البحر ، ووحدة القياس الباع :

إشتيه :اكبر هيرات البحرين مساحة وعمقه من ٧ ـ ٨ باعات .

خورة :من ٦ ـ ١٢ باعا

الواسعة : من ٩ ـ ١٢ باعا

خبابان : من ٩ ـ ١٢ باعا

ابودقل : من٨ ـ١٣باعا

إطرقة خبابان :

إطرقة ابودقل :

إطرقة إشتيه :

لويشير : من ٨ ـ١٢ باعا
شقته : من٦ ـ١٢ باعا
صلعته : من ٦ ـ ١٢ باعا
ابوحاقول : من ٨ ـ ١٢ باعا
الميانة : من ٨ ـ ١٤ باعا
مشبك الميانة : من ٨ ـ ١٣ باعا
ابوعمامة : من ٦ ـ ١٢ باعا
مشبك ابو عمامة : من ٦ ـ ١٢ باعا
ابولثامة : من ٩ ـ ١٢ باعا
الشاغية : من ١١ ـ ١٤ باعا
ابوصور : من ١١ ـ ١٤ باعا
ام القرم : من ١١ ـ ١٤ باعا
نجوة العماري : من ١١ ـ ١٤ باعا
نجوة لجدان : من ١١ ـ ١٤ باعا
قرمة ظاعن : من ١٠ ـ ١٢ باعا
ابا اليعل : من ٩ ـ ١٢ باعا
الواسعة :
اريلة :
اليسام :
خور ابن نصار من ٨ ـ ١١ باعا
لعضلة : عند فشت الجارم ماؤها ضحل رق
هير الديبل : ٨ باعات
الخريس : من ١١ ـ ١٢ باعا
ام القرص :
الصلعة : ٦ باعات
ابودقيل : من ٨ ـ ١٢ باعا .

ويستعمل الباع لقياس عمق البحر لدى جميع السفن الكبيرة والصغيرة بواسطة حبل عليه علامات بعدد الابواع وفي نهايته قطعة من الرصاص يسمونها (البلد) بكسر الباء لتنزل الى قاع البحر . ويسمى البلد عند العرب قديما (المرجاس) .

لم يدر في خلد الغواصين عندما كانوا يغوصون في هذه الهيرات ، وعندما كانوا في حالة يائسة من ناحية العمل الشاق وشظف العيش والمخاطر . ومن ناحية الفقر ، ان هذه الهيرات التي يستخرجون منها المحار للبحث بداخله عن اللؤلؤ ، سوف ينبع منها البترول (الذهب الاسود)

لو ان احدا تنبأ انذاك بهذا لزملائه لرموه بالجنون والخبل وكم كان يستغرب الانسان عندما يرى النيران مشتعلة في هذه الهيرات ولا سيما امام الخفجي والسفانية ومنيفة حيث حقول البترول منتشرة هنا وهناك تقول بنير انها المشتعلة ، وابراجها العالية انا هنا انا الذهب الاسود اتحدى اللؤلؤ والعاملين في استخراجه .

عمل الغوص على اللؤلؤ

ان العمل في الغوص على اللؤلؤ ، ومن ثم استخراج اللؤلؤ من المحار الاصداف عمل شاق متعب جدا جدا واليكم وصفه :

عندما تصل السفينة الى مكان الغوص ويسمى الهيرات والمفرد هير بكسر الهاء وتلقى المرساة (السن) قطعة من الحجارة مثلثة الشكل وفي وسطها تقريبا ثقب بداخله عمود من الحديد ليمسك بالأرض . يقول البحارة بصوت واحد :

نزلنا منزل وأبرك دار
على الهير والمحار
وفي رواية يقولون :
دار نزلنا وابرك دار
على الهير والمحار
ثم يقولون جميعا :
يا الله منزل مبارك
وانت خير المنزلين

يقولون هذا عندما يصلون الى الهير من مكان بعيد من البندر او من احد الموانيء كالبحرين ودارين .

تتراوح مدة العمل في الغوص ما بين

اثنتى عشرة ساعة الى اربع عشرة ساعة وتزيد ابان الصيف الى حوالى ست عشرة ساعة . ولدى الغواصين نظام للغاصة على حسب الوقت وهو :

اذا كان فى اول الغوص يكون الماء باردا فعندئذ يغوص الغيص ست تبات اى ست مرات ويستريح اثنتى عشرة تبة كأنما يغوص ساعة ويستريح ساعتين .

اذا مر على الغوص نحو شهر يبدلون النظام فيغوص عشر تبات ويستريح عشر تبات كأنما يغوص ساعة ويستريح ساعة .

فى ابان الصيف يتضاعف العمل لأن نهار الصيف طويل والبحر دافىء فيغوص الغيص اثنتى عشرة تبة ويستريح ست تبات كأنما يغوص ساعة ويستريح نصف ساعة ومنهم من يغوص اكثر من ذلك . وبعد ذهاب شدة الصيف حين يصبح البحر باردا ، والنهار قصيرا يغيرون النظام وهكذا .

يستيقظ الغواصون مبكرا فيصلون صلاة الصبح فى وقتها وبعد ذلك يتناولون الشاى والقهوة ويأكلون التمر (قدوع) بكسر القاف والغيص لا يأكل الا قليلا جدا حتى لا يمتلىء بطنه فلا يستطيع الغوص باستمرار .. واما السيب فيأكل التمر كما يشاء ..

بعد طلوع الشمس يغوصون فى البحر ويظلون يجمعون المحار طيلة يومهم وينتقلون فى الهير من محل الى آخر بحثا عن المحار حيث يكون حبل المرساة طويلا فبين كل مدة يطيلون الحبل فترجع السفينة الى الخلف .

بعد غروب الشمس مباشرة يقول النوخذة او من ينوب عنه (اطووا احبالكم) او يقول (هلل عليهم) عندئذ يقول الغاصة لا اله الا الله فيخرج الغاصة الى ظهر السفينة ويقولون عندئذ :

الغوص عادة
والصلاة اعبادة
كما انهم يقولون :
مول مول
خير يالله على التالى والاول .
ويقولون :
لا اله الا الله
رزق اليوم اخذناه ورزق باجر (بكرة) على الله .

يصلون صلاة المغرب وبعدها يتناولون طعام العشاء ويتكون من الأرز والسمك ويعملون احيانا من السمك (صالونة) اى مرق . وبعد صلاة العشاء ينامون ، وهم فى اشد الحاجة الى النوم والراحة . ينامون على المحار اذا كان كثيرا فالمحار رطب ويابس . وفراشهم خشن جدا عبارة عن (جودرى) قطعة مستطيلة من الحبال على شكل سجادة عرضها نحو ثلاثة أشبار وطولها طول الشخص تقريبا . زد على ذلك انهم يتلاصقون الواحد بجانب الآخر لأن سطح السفينة محدود . مع هذا كله تراهم ينامون نوما طويلا . ويستيقظون عند الفجر لصلاة الصبح وللعمل .

يتأهب الغاصة والسيوب جميعا لفتح المحار بواسطة المفالق السكاكين المعدة للفتح ، المفرد مفلقة بكسر الميم واذا طلعت الشمس يبدأون العمل بفتح المحار .

ويأخذ الجميع فى فتح المحار بحثا عن اللؤلؤ واحيانا يكون المحار كثيرا فيضعونه على جانب ويعمل فى فتحه بعض السيوب .

ويغوص الآخرون حتى لا تفوت عليهم فرصة الغوص . وعندما يكون البحارة منهمكين فى فتح المحار يقال عنهم (يفلقون) . واذا امتلأت السفينة بالمحار (يهلزون) اى يتركون الغوص

وصف كيفية الغوص على اللؤلؤ

فى الصباح الباكر وبعد طلوع الشمس يبدأ الغواصون العمل ، فينزل الغيص الى البحر ويمسك بحبل قصير اسمه (القلطة) بفتح القاف مربوط فى احد مجاديف السفينة والغيص هو الذى يحضر القلطة معه . ويضع الغيص (الفطام) على رقبته يمسكه خيط رفيع يلف على الرقبة . ويضع (الديين) على رقبته ، ويضع (الزيبل) الحبل الذى يربط به الحجر لانزال الغيص الى قاع البحر فى رجله . ويضع (الايدة) حبل الانقاذ الذى يجره السيب بواسطته . وبعد ان يأخذ الغيص النفس اى (يتنفس) يبربر الهواء حتى تنفتح اذناه يضع الفطام على انفه ثم يغوص .

عندما يصل الغيص الى قاع البحر يسحب الزيبل الذى به الحجر حيث لم يعد الغيص بحاجة اليه . ويأخذ الغيص فى جمع المحار . ويقلع المحار بيديه بدون الاستعانة بالسكين او بغيرها من الادوات الحادة كما يتوهم البعض كما ان الغيص لا يحمل معه اى شىء يدافع به عن نفسه ضد سمك القرش (الجرجور) . يضع الغيص المحار الذى يجمعه فى الديين .

قبل أن ينتهى نفس الغيص يجر الحبل الايدة ويكون السيب آنذاك متيقظا ينتظر هذه الاشارة من الغيص فيجره حالا بأقصى قوته ويضع الغيص الديين فى يده ويمسك حبل الايدة باليد الاخرى فيخرج الى سطح البحر قرب السفينة ويمسك بالقلطة ويتناول السيب منه الديين ويفرغ المحار الذى بداخله على سطح السفينة مع المحار ويكون له صوت وخاصة اذا كان المحار كثيرا . وكلما كثر المحار كان الغيص جيدا . ويستريح الغيص نحو خمس دقائق ثم يعود ثانية للغوص وهكذا حتى تنتهى نوبته بأن يغوص عشر مرات وتسمى (اقحمة) بكسر الهمزة والمرة الواحدة من الغوص فى البحر تسمى (تبة) بفتح التاء وتشديد الباء .

يختلف الغاصة من حيث المكوث فى قاع البحر . منهم من يكون نفسه طويلا فيمكث مدة طويلة . ومنهم من يكون نفسه قصيرا فيمكث مدة قصيرة وهكذا . وبعض الغاصة المتازين يمكثون ثلاث دقائق وهذا نادر . وبعضهم يمكث دقيقتين ونصف الدقيقة . والغالبية العظمى يمكثون دقيقتين . وهناك من يمكث دقيقة ونصفا . وفيهم من يكون نفسه قصيرا فيمكث دقيقة واحدة .

يقولون انه اذا كان البحر عميقا يطول هواء الغيص فإذا وصل قعر البحر يعود اليه نفسه ثانية

بعد ان يرتاح الغيص بعض الوقت وهو فى البحر ممسكا القلطة بيده يعود ثانية الى الغوص وهكذا حتى تنتهى نوبته عندئذ يصعد الى ظهر السفينة ليرتاح ويأكل حبات معدودة من التمر . ثم بعد ذلك **يعود إلى** الغوص هذا عمله طيلة اليوم حتى تغرب الشمس عندئذ ينتهى العمل الشاق والمتعب والمحفوف بالمخاطر . ويظل يعمل ويعمل فى الغوص مدة موسم الغوص كله .

احيانا ينتهى نفس الغيص وهو فى قاع البحر ، او بين القاع وسطح البحر ، فيخرج الى سطح البحر وهو فى الرمق الاخير وبحالة الغيبوبة عندئذ ينزل اليه زملاؤه فيمسكونه ويحملونه الى سطح السفينة ليرتاح . ويقولون فلان (سنا) اى اصيب بهذه الحالة ، واحيانا يموت احد الغاصة من هذا السبب .

لم اجد فى كتب اللغة ذكرا لفعل سنا

بالمعنى المعروف عندنا او ماشابـه ذلك ... فالسنا الرفعة .. واسناه رفعه . وقد سنى يسنى سناء اى ارتفع . وسنوت الدلو اذا جررتها من البئر . فيجوز ان يكـون معنى الفعل سنا عنـدنا من جـر الشيء ورفعه . فالغيص الذى يسنى يرفعـه اصحابـه الى سطح السفينة لانقاذه كما ان السيب يجره ويساعده اصحابه على جره بسرعة .

فى رأيى ان سبب سنيان الغيص يعود الى قاع البحر نفسه ، فقاع البحر ليس مستويا ففيه المرتفعات والمنخفضات .. فعندما يكون الغيص مستمرا فى عمله والسفينة راسيـة على قطعـة معينة من قـاع البحر ارضهـا مستـوية وعمق بحـرهـا معـروف يغـوص الغيص براحة . ويجوز ان تنحرف السفينة عنـدما يـرخون لهـا الحبل الطويـل الذى يمسكها ويسمونـه (الخراب) فتـأتى الى ارض منخفضة وهذه تكون عميقة تتـطلب نفسا طويلا فالغيص يغوص كالعادة دون ان يشعر بأن قاع البحر هنا عميق جدا فعندما يصل الى قاع البحر ويبدأ فى جمـع المحار ينتهى نفسه فيجر الحبـل ويسحبه السيب وهو فى الرمق الاخير .

الغـواصون الكبـار يغوصـون فى المياه العميقة فى الهيرات البعيدة عن الساحل . ويقـول المـرحـوم عبدالوهـاب بن عيسى القطامى فى كتابه (الصيد والتنقل والتجارة فى البحـار) الموصـول بذيـل كتـاب والده (دليل المحتار ، فى علم البحـار) بأنـه فى الغالب لا يزيد عمق المغاص عن ١٣ باعا اى ٧٨ قدما الا فى النادر ولا يغاص فيما يزيد عن هذا العمق الا للضرورات .

عمق (٧٨) قدما او (٧٠) قدما ليست بالأمر الهين . فهى صعبة جدا . وتساوى ٢٣ متـرا ونصف المتر والسبعـون قـدمـا تساوى ـ ٢١ مترا وفى بعض الاحيان يكون عمق الهير (١٥) باعا ويساوى ٢٧ مترا . ومن الهيـرات العميقـة التى غـاصـهـا الكويتيون هير يقع قريبا من سواحل فارس واسمه (ام القرص) وعمقـه ١٥ باعـا . وكذلك بعض مغاصات عمان العميقة .

الغواصون عندنا يغوصون على الطبيعة بـدون الات الغـوص المـعـروفـة والتى بواسطتها يستطيع الغواص ان يمكث مدة طويلة فى قـاع البحـر من جـراء الهـواء والاوكسجـين المحمول عـلى ظهره بخـزان خاص . ومن جراء الادوات التى يضعها على رجليه لتساعده على السباحة كما انه يضع عـلى عينيـه نـظارات خـاصـة يستـطيـع بواسطتها ان يبصر من بعيد دون ان تتعب عيناه من ملوحة البحـر . زد على ذلك انـه يحمل معه احيانا ادوات حادة يدافع بها عن نفسه . اما الغيص عندنا فلا يحمل من هذه شيئا . حيث يعتمد على نفسه وعلى شجاعته فى مواجهة الاخطار المحدقة به .

حياة الغيص تكون مرهونة بالسيب . فلو ان السيب غفـل عن الاشارة التى يعملهـا الغيص كما قلت سابقا ولم يسحبه بـوقته لربما توفى الغيص من جراء اهمال السيب وعدم انتباهه .

شظف العيش والمخاطر

يتحمـل الغواصـون صنـوفـا من شـظف العيش ، والمتاعب ، والمخاطر ، والامراض وغيرها وتتلخص هذه فيما يلى :

اولا :الطعام سبق وان تكلمت عنه وليس فيه من المواد الغذائية الاساسية ما يساعد اجسامهم الضعيفة على هذا العمل الشاق المتعب .. ويـأكلون الطعام حـارا ، وويـل للبحـار الذى لا يجـاريهم فى الاكـل حيث

يأكلون عنه .. ومما يزيد الامر صعوبة ان تكون الاسماك صغيرة وكثيرة الشوك فتحدث المتاعب للآكلين لا سيما والظلام يخيم عليهم .

ثانيا : الماء حار وكدر وتقع في الوعاء (الفنطاس) الصراصير وغيرها من الحشرات ، ولا يأخذون من الماء الا بمقدار كما سبق ان شرحت .

ثالثا : القذارة في المأكل والمشرب .. فالتمر تقع عليه الصراصير والحشرات الأخرى وتكون احيانا بداخله الديدان وطبعا يكون التمر من النوع الرخيص ..

رابعا : الضيق على سطح السفينة وخاصة اثناء النوم حيث يكون الواحد منهم ملاصقا للآخر .

خامسا : الفراش عبارة عن قطعة من نسيج الحبال الخشنة تسمى (جودري) بضم الجيم وعرضه ٥٢ سم وطوله ١٦٠ سم ، وعليه جادر قطني خفيف .. وليس هناك فراش بالمعنى المعروف وبعض البحارة لا يحملون معهم فراشا .

سادسا : النوم على سطح السفينة الرطب .. ومما يزيد الطين بلة انهم ينامون احيانا على المحار اذا كان كثيرا .. فالمحار يابس خشن ، وله رائحة كريهة ، كما أنه رطب ..

سابعا : العمل المتعب المرهق من اثنتى عشرة ساعة الى ست عشرة ساعة في اليوم . وهذه المدة الطويلة للعمل خارقة لا يحدها قانون .. في حين ان القانون يحتم على العامل ان يعمل ثماني ساعات في اليوم .. فهؤلاء البحارة المساكين يعملون ابان الصيف عمل يومين في اليوم الواحد

ثامنا : الأمراض والعلل التي تصيبهم ، والمخاطر التي يتعرض الغيص لها من اسماك البحر ، هذه وحدها تكفي بل وزيادة في صعوبة العمل في الغوص ومشقته وبؤسه .

هذه الامور المتعبة والمرهقة لا تعد شيئا بالنسبة للغوص في الماضي ، اى قبل نحو مائة عام ـ كما سمعت ـ والسبب قلة المحصول قديما ، وقلة الغواصين ايضا ، ففي الأخير اصبح عددهم كبيرا ، والمحصول وافرا من الدراهم ويوجد بون شاسع بين الغوص القديم والغوص الحديث والذي لفظ انفاسه الأخيرة منذ نحو ربع قرن ..

أكبر لؤلؤة عثر عليها الغواصون في البحرين

وفق النوخذة (عيسى الهولي) بالعثور على أكبر لؤلؤة عرفت في تاريخ البحرين بالعصر الحديث وذلك في اول العشرينات من هذا القرن في هير من هيرات مغاصات البحرين اسمه مشبك الميانة الشرقية . وكان عيسى الهولي يتبع تاجر اللؤلؤ المعروف المرحوم جبر المسلم فهو الذي دفع له الدراهم ليتمكن من الذهاب الى الغوص كما ذهب في احدى سفن جبر (جالبوت)

واكبر لؤلؤة تسمى في البحرين وبلدان الخليج العربي دانة والجمع دانات والتي اصغر منها تسمى حصباة والجمع حصابي . وكانت من اجود الانواع صافية وحجرها شفاف وزنها ١٠٦جو . اشتراها جبر المسلم مع التبابة بقية اللؤلؤ بستين الف روبية . وباعها جبر على اكبر تاجر لؤلؤ عربي في البحرين هو المرحوم عبدالرحمن القصيبي بمئتين وخمسين الف روبية (٢٥٠ الف روبية) وبعد سنتين من

شرائها باعها القصيبي على اكبر تاجر لؤلؤ اجنبي في البحرين هو روزنتال الفرنساوي بأربعمائة الف روبية (٤٠٠ الف روبية) وباعها روزنتال على مليونيرة امريكية بنحو خمسمائة الف روبية .

كانت هذه المليونيرة لديها اسهم في شركة نفط البحرين . فزارت البحرين مع زوجها ومعها اللؤلؤة وحلت في ضيافة الشركة وارادت ان تشاهد المكان في البحر الذي وجدت به اللؤلؤة وان يغوص به الغواصون ويستخرجوا المحار . ولما كان الوقت شتاء لم تتمكن من ذلك . انما غاص لها بعض الغواصين في الاماكن القريبة من البحرين عند السابة .

واكبر لؤلؤة عثر عليها الغواصون في الكويت كان ذلك سنة ١٩٣٥م وعثر عليها النوخذة السيد علي مبارك الدوب وهي من اجود الانواع وكبيرة الحجم ووزنها ٣٠٠ جو وكان العثور عليها في ايام كساد تجارة اللؤلؤ وايام الضائقة المالية الشديدة . اشتراها الشيخ احمد الجابر الصباح حاكم الكويت في ذلك الوقت بعشرين الف روبية (٢٠ الفا) ولو كان ظهورها ايام ازدهار تجارة اللؤلؤ لما قومت بثمن . ودانة الدوب هذه لها شهرتها في الكويت .

سفينة الطبيب الى المغاصات

البحرين اول بلدة في الخليج العربي كانت ترسل سفينة شراعية من نوع (البوم) الى مغاصات البحرين لمعالجة المرضى من الغواصين وتسمى هذه السفينة بوم الدختر اى الطبيب . وتطلى باللون الابيض لتعرف من بعيد . وبدأ ارسال هذه السفينة سنة ١٩٢٩م . وفي سنة ١٩٣٣م وضع بدلا منها سفينة بخارية (لنج) ظلت تعمل الى سنة ١٩٤١م حيث قل عدد الغواصين كثيرا فلم يعد هناك حاجة لها . وكانت ترفع العلم للدلالة عليها .

في سنة ١٩٧٥م اخذت معلومات كثيرة من النواخذة والبحارة في البحرين ومن الطواويش تجار اللؤلؤ عن الغوص في البحرين . كما اخذت معلومات وافية عن بوم الدختر من السيد محمد عبدالله حسن . وهو اول بحريني توظف في الدائرة الطبية الصحة العامة سنة ١٩٣٣م وكان عمله مضمدا . وظل يعمل الى سنة ١٩٧٣م حيث تقاعد . يقول :

الطبيب الذي يذهب بالبوم لمعالجة المرضى من الغواصين هو الدكتور بندركار طبيب هندي عمل في البحرين مدة طويلة الى سنة ١٩٥٤م وتوفي بالبحرين سنة ١٩٦٣م ومن ابنائه طبيبان يعملان في البحرين في مستشفى السلمانية . واول مضمد ذهب في البوم اسمه (محمد ساتر) وبعده السيد محمد عبدالله حسن سنة ١٩٣٣م . ويذهب معهم كاتب واثنان من الشرطة . لحفظ النظام . وبحارة اللنج خمسة اشخاص . وظل الدكتور بندركار يعمل في البوم ثم في اللنج حتى آخر سفره سنة ١٩٤١م . وفي سنة ١٩٣٣ م عالجوا نحو ١٥٠ سفينة . وفي سنة ١٩٤١م عالجوا نحو عشر سفن .

كان البوم ومن ثم اللنج يذهب الى المغاصات ويطابق السفن التي بها مرضى اى يلاصقها ، واذا كانت سفينة بعيدة عن البوم يأتون بالمريض الى البوم ويعالجون يوميا عددا كبيرا من المرضى والمرضى المتعبون يبقونهم عندهم بالبوم او باللنج والمريض الذي حالته سيئة يذهبون به الى البحرين . ويمكثون بضعة ايام بين الغواصين في شتى مغاصات البحرين يعالجون كل المرضى بلا استثناء المتواجدين

في مغاصات البحرين . وكان الطبيب يفحص بالسماعة ويشخص المرض ويحيل المريض الى السيد محمد لاعطائه الدواء او وضع الضمادات او ما شابه ذلك .

يقول السيد محمد انهم كانوا في احد المغاصات . وكان غيص من اهل الدير يغوص فضربه الجرجور برجله اليمنى فجرحه جرحا بليغا وسالت دماؤه وصار به نزيف وليس له من علاج سوى الخياطة . وليس عندهم خيط جراحة ولا ابرة . فاستعملوا خيطا عاديا بعد ما عقموه وكذلك ابرة عادية . واجرى الدكتور بندركار العملية ببنج موضعي وظل المصاب عندهم في اللنج للعناية به ثم ذهبوا به الى البحرين وظل نحو اربعة شهور يعالجونه حتى شفي مما اصابه ولا يزال الرجل حيا يرزق حتى ١٩٧٥م .

الأمراض التي تصيب الغواصين

يصاب الغواصون على اللؤلؤ بأمراض كثيرة يودي بعضها بحياتهم في بعض الاحيان، والامراض التي تصيبهم هي من سوء التغذية، ومن القذارة في المأكل والمشرب والسكن وهي :

١ ـ **ابو قشاش** : مرض غالبا ما يصيب الغاصة نتيجة لسوء التغذية وعدم النظافة فتتداعي بعض أسنانهم وتخرج من افواههم رائحة كريهة.. ويعالج بالحوامض ونحوها، واذا لم يبرأ المريض يرسل الى البلد للمعالجة والراحة ويسمى في هذه الحالة (عبري) بكسر العين والراء واسكان الباء.

٢ ـ **انفجار الاذن** : احيانا تنفجر اذان بعض الغاصة بسبب الضغط القوي في قاع البحر فيخرج الدم منها.. ويرتاح الغيص أياما حتى تبرأ أذنه ثم يعود الى الغوص، ويعالجونه بالكي بالنار والادوية.

٣ ـ **السمط** : مرض جلدي يصيب الغاصة لمكوثهم الطويل في البحر فتخيس جلودهم ويظهر عليها الطفح والقروح كقروح الجدري، فيتعب الغاصة منها. واذا استفحل أمر السمط فانه يؤثر على العينين عندما يصل اليهما فيضعف بصر المصاب حتى انه يقوده اصحابه عندما يخرج من البحر الى سطح السفينة.. ويعالجون السمط بوضع (اليفت) عبارة عن الشب حجر الزاج وقشور الرمان والفرط مسحوقة مع بعضها ناعمة يضعها المصاب على جسمه بعد مزجها بالماء الحلو قبيل النوم.. كما ان الغواصين يرتاحون كثيرا عندما يزورون ميناء دارين بالاحساء قرب القطيف فيسبحون بالماء الحلو مدة طويلة في قرية تاروت ويرتاحون بها.

٤ ـ **ام زليقة** : مرض جلدي يصيب الغاصة وعدد من السيوب في أماكن حساسة من أجسامهم من جراء القذارة وماء البحر، ويعالجونه بوضع الجفت عليه ليلا كعلاجهم للسمط.. ولولا الجفت ويسمى اليفت بالياء لما استطاعوا العمل حيث تخيس أجسامهم.

٥ ـ **الطنان** : مرض يصيب الغاصة في آذانهم فيحدث بها ألما وطنينا فلا يستطيع الغيص ان يغوص، ويحدث ان يجبر الغيص نفسه على الغوص وفي قعر البحر تنفجر أذنه فيخرج منها الدم واحيانا يكون دما غزيرا وبعد ذلك تبرأ.. واحيانا لا يستطيع الغيص ان يغوص بالمرة فيصبح سيبا.

٦ ـ **الشاقة** : بتشديد الشين مرض يصيب الغاصة فيحدث ألما شديدا في جبهة الرأس.. ولهم طريقتهم في علاج الشاقة. وهناك مرض معروف عند العرب قديما يسمى (الشقيقة) وهو ألم يحدث في منتصف الرأس.

٧ ـ **الصــرع** : يصــاب بعض الغــاصــة بالصرع من جراء ما يشاهده في قعر البحر من منــاظر موحشــة ومفزعــة ولا سيما في البحــار العميقة.. ويكــون في بعض السفن الكبيرة (ملا) يقرأ القرآن الكريم والتعاويذ على المصروع وداء الصرع معروف عنــد العــرب وهو شــديد الخــطورة عــلى حيــاة المصاب به.

٨ ـ **السعال** : في بعض الاوقات يصاب أكثر من في السفينة بالسعال الشديد (الكحة)، ويعــزون ذلك الى ماء الشــرب حيث يكون ممزوجا بالماء المالح نوعا ما الذي يحصلون عليه من الآبار. والعلاج هو ان يرتاحوا في البر نحو يومين ويشتــرى النوخــذة ذبيحة فيشــربون من مــائها بعــد طبخها ويسمى (الصفو) كما يأكلون اللحم مع الراحة.

٩ ـ **حشوة** : حشرجة ـ في الصدر تصيب الغيص فقط بسبب الغوص في قاع البحر. واحيانا لا يستطيع ان يغــوص ويعالجــونه بالادوية الشعبية. واذا لم يبرأ يــرسل الى البلد للراحة والعلاج.

١٠ ـ **الجروح والصدمات** : يصاب بهــا الغيص عندما تكون السفن مجتمعة كلهــا عــلى هير مغــاص طيب (تبراة) ومــلاصقة بعضها البعض. فيحدث ان يصاب برأسه بالحجر الذي ينزل الغيص الى قاع البحر، أو أن يضربه أسفل السفينة عند خروجه من قــاع البحر، اضف الى هــذا انــه في بعض الاحيــان اذا كــانت السفن كثيــرة العــدد ومتشــابكة مــع بعضها البعض فــان حبل الانقاذ (الايدة) يشتبك مع حبــل أخر وفي هذا خطورة على حياة الغيص.

١١ ـ **الم الضــرس** : يعالجــونه بــالادوية الشعبية واذا لم يبرأ يخلع بطريقة صعبــة تفتقر الى النظافة.

١٢ ـ **القبض (الامساك)** : يعالجونه بشرب المسهل وهو محلول العشرج.

١٣ ـ **ألم الصدر** : يعالجــونــه بــالادويــة الشعبية.

١٤ ـ **ألم البــطن** : يعالجــونــه بــالادويــة الشعبية.

١٥ ـ **ألم العــين** : يعالجــونــه بــالادويــة الشعبية.

١٦ ـ **الحمى** : يعالجونها بالادوية الشعبية.

١٧ ـ **الاسهال** : يعالجونه بالادوية الشعبية.

١٨ ـ **الرومــاتيزم** : يعــالجونــه بالادويــة الشعبية.

١٩ ـ **الغــولنج** : يعــالجــونــه بــطريقتهم الخاصة.

الغــواصون يعــالجون هــذه الامــراض وغيرها بالادوية العربية القديمة وأهمهــا : (الصبر ـ صمغة الريح ـ المر ـ العشرج ـ السنامكي ـ ماء الورد ـ الزعفران ـ الشب حجر الزاج ـ الجفت ـ اللبان ـ الزعتــر ـ الجعيــرة).. وغيــرهــا من الوصــفــات، واعتمادهم بالدرجة الاولى على الكي بالنار.. واحيانا يبرأ المريض، وهناك الحجامة.

الأخطار التي يتعرض لها الغواصون

يتعرض الغواصون على اللؤلؤ لعدد من الاخطار يودى بعضها بحياتهم من اسماك البحر المفترسة والسامة وهي :

١ ـ **القرش** : بكسر القاف ويسمى عنــدنا الجــرجور وهــو كلب البحر، ويسمى عنــد العرب قديما القرش وجاء ذكره في أخبارهم واشعــارهم، والجرجــور في البحر كــالذئب الشرس على الارض شره مستطير، وكم له من ضحايا وخــاصة من بــين الغواصــين، فاحيانا يقضى على الانسان أو يصيبه بعاهة او جراح.

٢ ـ **اللخمة** : سمكة معروفة عند العرب قديما بهذا الاسم.. ولها ذكرها في اخبارهم واشعارهم، وتسمى عندنا بهذا الاسم لخمة بضم الخاء، وهي مستديرة الشكل ولها ذيل طويل كالسوط.. وبها شوكة سامة في مؤخرتها، واللخمة تحيض وتلد.. وفي اعماق البحر تكون اللخمة كبيرة الحجم واحيانا يكون الغيص في قاع البحر يجمع المحار واذا باللخمة الكبيرة تجثم على ظهره واذا ظلت مدة طويلة جاثمة فانها تقضي عليه.. وسمعت ان بعض الغاصة اذا جثمت عليهم يتحرشون بها بأن يضعوا اصبعهم في فرجها فتنفر.. واحيانا تلحق بالغيص وهو خارج من قاع البحر فتضربه بشوكتها السامة، وطريقة ضربها انها ترجع الى الخلف بسرعة.

٣ ـ **الدجاجة** : سمكة سامة وعندما تكون في قعر البحر تشبه الدجاجة العادية الجالسة على بيضها، ولها زعانف كالجناح وفمها كفم السمكة، واذا خرجت من البحر تكون أشبه شيء بالسمكة العادية وهي نوعان ديك ودجاجة، والديك يكون له في قعر البحر شبه العرعور التاج.

وفي جسم الدجاجة أشواك سامة تضرب بها، أما الديك فيهجم على الغيص، وتعالج ضربة الدجاجة والديك بدواء العقرب وقراءة التعاويذ ونحوها، احيانا تضرب الدجاجة الغيص وهو في قعر البحر يجمع المحار فتكسر شوكتها في جسمه وذلك أشد حيث يتأذى كثيرا.. واحيانا تصاب يده بالشلل اذا كانت الضربة قوية.

٤ ـ **الدول** : بتشديد الدال مع الضم حيوان هلامي مستدير له زعانف طويلة وجسمه شفاف أشبه شيء بقطعة الجيلي.. وأشد انواع الدول الاحمر ويسمى (الديثي) بكسر الهمزة وضربته شديدة كالحريق.. ويعالجون ضربة الدول بالصل، الدهن المستخرج من الاسماك الكبيرة لطلاء السفينة. وكذلك يعالجونها بمريس التمر، واحيانا تكون ضربة الدول شديدة فتحدث قروحا في الجسم ويضطر المصاب الى العودة الى البلاد للعلاج.. ويسير الدول سيرا بطيئا على وجه البحر والتيار يدفعه. وفي بعض السنين يكثر الدول وفي بعضها يقل او ينعدم بالمرة.. ويتقى الغاصة شر لسعات الدول بأن يلبسوا لباسا أسود اللون كالبيجاما يسمونه لباس الغوص.

٥ ـ **القروص** : بفتح القاف وتشديد الراء نوع من الحيوانات الهلامية صغير الحجم على قدر الحمصة الصغيرة أو اصغر من ذلك يضرب كالدول ولكن ضربته خفيفة وتعالج بمريس التمر، ولفظة القروص مشتقة من فعل قرص لحمه أخذه ولوى عليه بأصبعه، ونلفظها فرصة بالفاء.

٦ ـ **أبو زيزى** : سمكة صغيرة الحجم وتسمى فرس البحر، وسميت ابو زيزى لان لها صوتا خفيفا يشبه الأزيز عندما تدخل في معركة مع الغيص أو مع غيره، ويخشى الغيص على عينيه من ان يضربه ابو زيزى على إحديهما فيصاب بضرر كبير.. وابو زيزى يضرب الغيص عندما يقترب من بيته لقلع المحار.. واحيانا يترك الغيص المحار اتقاء شره، وبعض الغاصة يصطادون ابو زيزى.

٧ ـ **أبو لجين** : ثعبان البحر وهو غير سام ويكون في قاع البحر، ويطفو عليه ويسبح كالسمكة. ولا يحدث ضررا للغاصة سوى انه يفزعهم في قاع البحر في بعض الاحيان فيصيبهم من جرائه الفزع والخوف حيث انه ينتصب واقفا في القاع فيمسكه الغيص ظنا منه انه يمسك عرقا ليثبت في القاع أمام التيار واذا به يضربه، فمن هول المفاجئة

يفزع الغيص خاصة في الماء العكر.

٨ ـ **الرماي** : بتشديد الراء والميم من قواقع البحر صغير الحجم مستدير الشكل لونه اسود وعليه شوك غليظ، ويصادف ان يمسكه الغيص اذا كان البحر كدرا فيضربه باشواكه.

النهمه (الطرب البحري)

يسمى الطرب البحرى (النهمة) بتشديد النون مع الكسر واسكان الهاء. ويسمى المطرب البحري (النهام) بتشديد النون والهاء.

بحثت في كتب اللغة ولا سيما لسان العرب لابن منظور، فلم اجد ان النهمة تطلق على الطرب البحري أو اي طرب كان، يقول ابن منظور :

(النهمة بلوغ الهمة ، ونهم ينهم بالكسر نهما وهو صوت كأنه زحير، والنهام الأسد لصوته، والناهم الصارخ، ونهمت الابل انهمتها بالفتح نهما اذا زجرتها لتجد في سيرها، والمنهام من الابل التى تطيع على النهم وهو الزحير، والنهم زجر الابل تصيح بها لتمضي..).

يظهر لنا من معنى النهمة معنى قريب من الحداء الغناء للابل كي تجد في سيرها. واذا كان الحادى حسن الصوت فان الابل تسير سيرا حثيثا، بل ان بعضها ـ كما قرأت ـ يموت من تأثير الحداء عليها فتسير سيرا متعبا دون ان تشعر. فاذن من سبب هذا المعني استطيع ان اقول بأن لفظة النهمة عندنا مشتقة من النهم زجر الابل تصيح بها لتجد في سيرها.

يكون في اكثر سفن الغوص على اللؤلؤ، وسفن النقل البحري التجاري (السفر) نهام، ويتنافس النواخذة على النهامة المتازين فتراهم يكرمونهم ويكون للنهام في سفينة النقل البحري سهم وربع السهم في حين ان للبحار سهما واحدا، وللنهمة تأثير على البحارة، فتراهم يقومون بأعمالهم الشاقة بقوة ونشاط ناسين المتاعب لا سيما اذا كان النهام عذب الصوت، والغناء العذب له تأثيره على الانسان والحيوان، والشعر الذي يغني به النهامة على نوعين :

١ ـ **الزهيري**

٢ ـ **المواليا ويسمونه اميلي.**

يحرف النهامة في المواليا فبدلا من ان يقولوا يا مواليا يا مواليا نراهم يقولون يا مال يا مال أو هوب يا مال مثلما يبتدىء المغني بياليل يا ليل ثم بعد ذلك يشرع النهام في القصيدة أو الاغنية والبحارة يردون عليه بوحوحة كوحوحة أهل الطرق الصوفية حتى تنتهى النهمة واذا لم يتم العمل يغنى النهام غيرها وهكذا، وتنقسم النهمة لدى الغواصين على اللؤلؤ الى اقسام لان لكل عمل في السفينة نهمة خاصة به.. واشتهر عدد من النهامة الكبار في البحرين وبلدان الخليج العربي.

ضريبة الغوص (اقلاطة الشيوخ)

حكام بلدان الخليج العربي يأخذون ضريبة على كل سفينة غوص، وتختلف هذه الضريبة في بلدان الخليج العربي، ففي الكويت يأخذ الحاكم الشيخ سهم غيص من كل سفينة على موجب الربح واذا لم تربح السفينة فان الحاكم لا يأخذ شيئا، واما في البحرين فكان الحاكم يأخذ عن كل سفينة غوص كبيرة مائتى روبية والسفينة الاصغر اقل وهكذا سواء اربحت السفينة أم لم تربح.

وتسمى هذه الضريبة اقلاطة الشيوخ الحكام بكسر الهمزة أي سهمهم وحصتهم.

أكبر سفن الغوص في البحرين

أكبر بوم في البحرين هو بوم مهنا ابو عظم من اكبر نواخذة الغوص في المنامة واسم البوم (البستان) وثاني بوم بعده بوم يوسف فخروه واسم البوم (ابو الكباب) واكبر جالبوت في البحرين جالبوت اسمها (دلي) للنوخذة سلطان بن دعلول الجبسة من نواخذة الحد بالمحرق.. واكبر سنبوك في البحرين سنبوك مبارك بن شاهين العماري من اكبر نواخذة الغوص في المحرق واسم السنبوك (مساعد) ويسمى الفوت لكبر حجمه.

قانون الغوص

صدر في البحرين قانون خاص بالغوص عن اللؤلؤ لتنظيم العمل بين البحارة والنواخذة، وقانون الغوص في الكويت طبع سنة ١٩٤٠م الى جانب قانون الغوص فهناك (السالفة) بتشديد السين لفظة تطلق على الشخص المطلع بأمور الغوص وصاحب الخبرة والتجربة.. فهو عبارة عن حكم يفض خلافات الغواصين والجميع يوافقون على ما يصدر عنه من احكام.. ولفظة السالفة هذه شائعة في بلدان الخليج العربي.. واشهر سالفة في البحرين هو المرحوم محمد بن فاضل الفاضل.

اللنجات (الزوارق البخارية)

تجار الؤلؤ في البحرين (الطواشون) هم أول من استعمل اللنجات الزوارق البخارية في أول العشرينات، وسمعت أن أول تاجر لؤلؤ اقتنى لنجا هو المرحوم جبر المسلم.. وكان وكيل مكينة كلون التى تستعمل لدفع السفينة هو خليل كانو، وبعض تجار الكويت كانوا يشترون مكينة كلون منه وكذلك قطع الغيار. كما ان بعض التجار في الكويت اشتروا سيارتهم بواسطة خليل كانو، واول تاجر لؤلؤ من الكويت استأجر لنجا صغيرا من البحرين سنة ١٩٢٥ هو المرحوم عبدالوهاب بن حسين آل سيف.

كان للنجات دورها الكبير في ذلك الوقت، فكان بامكان من يقتنيها ان يصل الى المكان المراد بسرعة وعلى عكس السفن الشراعية، فاذا ما سمع ان أحد النواخذة حصل على لؤلؤة كريمة فانه يصل اليه قبل ان يصل غيره ممن سفنهم شراعية.

تجار اللؤلؤ الاجانب في البحرين

البحرين مركز مهم لتجارة اللؤلؤ في الخليج العربي فعدد من تجار اللؤلؤ في الكويت وقطر وعمان وسواحل فارس كانوا يقصدون البحرين لبيع اللؤلؤ. كما كان يوجد في البحرين بعض العاملين الماهرين بتثقيب اللؤلؤ أو ازالة القشور العالقة على وجه اللؤلؤة، او اخراج اللؤلؤ (الفص من المحارة اللاصقة بها). وهكذا، وفي البحرين عدد من كبار الدلالين من أهل البحرين والتجار الاجانب لدى اكثرهم محلات في البحرين، ويقصدون البحرين قبل القفال بقليل اي في منتصف الشهر التاسع تقريبا. وهذه أسماء التجار الاجانب والصغار :

١ ـ **فكتور روزنتال** : تاجر كبير وهو يهودي فرنسي يتكلم العربية وكان له محلات في البحرين وبومباي وباريس ولندن، يشترى



صورة طواش (تاجر لؤلؤ) وهو يغربل اللآلىء الكبيرة

اللؤلؤ بنحو اربعة ملايين روبية.. ويسكن في البحرين في عمارة القصيبي، ودلاله في البحرين المرحوم عبدالرحمن القصيبي من اكبر تجار اللؤلؤ في البحرين ودلاله الثاني المرحوم على بن ابراهيم الزياني من أكبر تجار اللؤلؤ في البحرين.

٢ ـ البرت حبيب : تاجر كبير وهو يهودي فرنسي يتكلم العربية وله محلات في البحرين وبومباي وباريس وهو ابن أخت فكتور روزنتال، ويشترى اللؤلؤ بنحو ثلاثة ملايين روبية. ودلاله في البحرين المرحوم عبدالرحمن القصيبي ويسكن عنده، ودلاله الثاني المرحوم علي بن ابراهيم الزياني والدلال الثالث السيد جاسم بن محمد الشيراوى

٣ ـ مستر باك : ويسمى البيك تاجر كبير وهو فرنسي يشترى اللؤلؤ بنحو مليون روبية، وكان يأتى الى البحرين مع روزنتال وحبيب ولكنه بعد ذلك انفرد عنهما واخذ يحضر وحده وآخر مرة زار البحرين سنة ١٩٣٧ وعنده محل في بومباي.

٤ ـ يعقوب صوفير واخوانه : تاجر

يهودي عنده محل في البحرين .

٥ ـ **دململ داس** : تاجر هندي كبير عنده محل في البحرين.

٦ ـ **قيلمي** : تاجر هندي كبير يزور البحرين ويشترى اللؤلؤ بنحو ثلاثة ملايين روبية .

٧ ـ **زيتاه دواسر** : تاجر هندي عنده محل في البحرين.

٨ ـ **وش البانيان** : تاجر هندي عنده محل في البحرين.

٩ ـ **فقيرو سركال** : تاجر هندي يزور البحرين.

١٠ ـ **جندولال شاه** : تاجر هندى كبير عنده محلات في باريس وبومباى وله اتصال مع عدد من التجار العرب وخاصة في باريس .

تجار اللؤلؤ الذين سافروا الى باريس ولندن

في منتصف فصل الخريف تقريبا وبعد انتهاء موسم الغوص بنحو شهر او اكثر كان يسافر الى مدينة بومباي بالهند عدد من تجار اللؤلؤ في البحرين والكويت وقطر وعمان وبلدة لنجة بسواحل فارس. وكل واحد من هؤلاء التجار له ارتباطه مع أحد التجار العرب أو مع التجار الهنود لبيع اللؤلؤ. كذلك لهم دلالوهم للبيع. والتجار العرب يبيعون اللآلىء للتجار الاجانب، وهؤلاء بدورهم يبيعون اللآلىء في باريس ولندن، والتجار العرب الكبار في بومباي سافر بعضهم الى باريس ولندن ومنهم المرحوم قاسم آل ابراهيم، والمرحوم الشيخ محمد علي زينل.

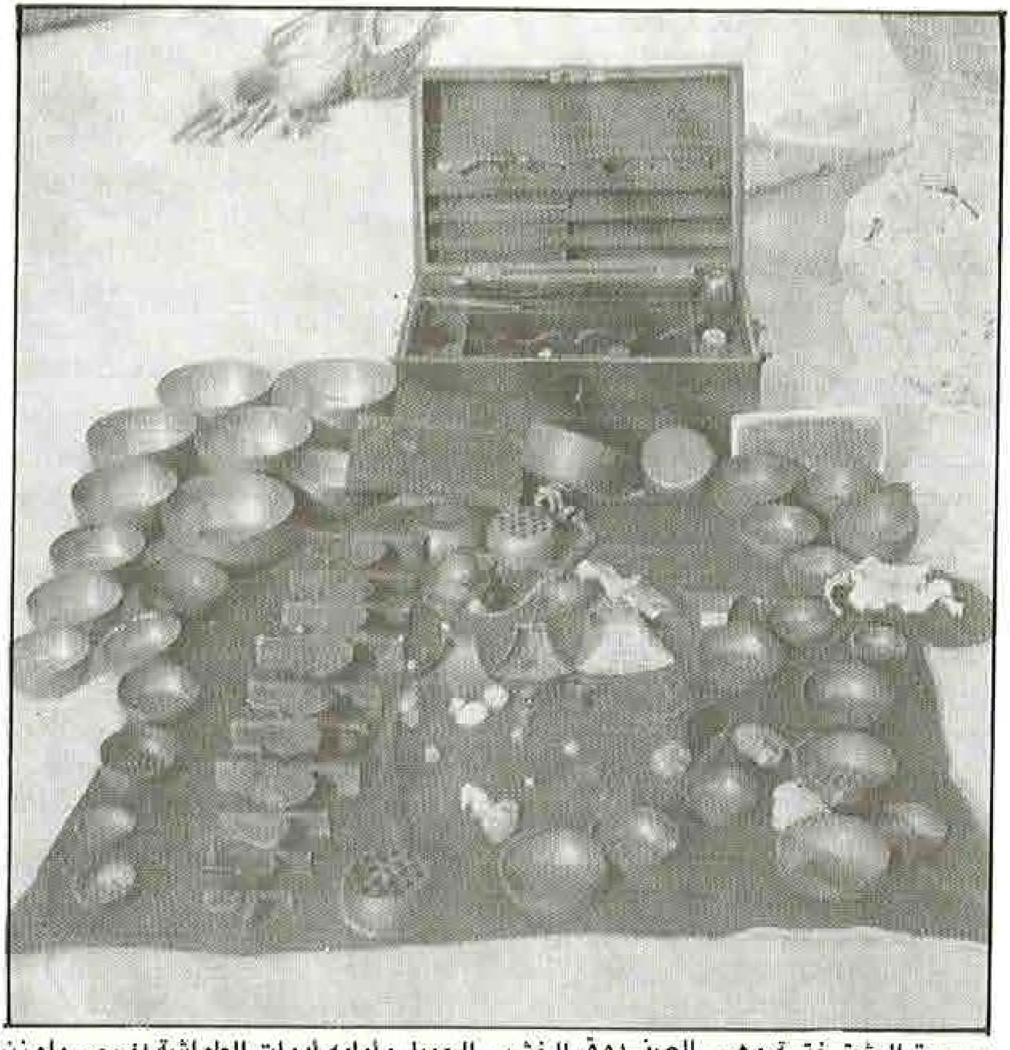
وهذه اسماء تجار اللؤلؤ في بلدان الخليج العربي الذين سافروا الى باريس ولندن لبيع اللؤلؤ.

أول تاجر سافر الى باريس ثم الى لندن المرحوم عبدالرحمن بن حسن القصيبي سافر حوالى سنة ١٩٢٢م وبعده سافر المرحوم الشيخ مصطفى بن عبداللطيف البستكي من أكبر تجار اللؤلؤ في البحرين الى باريس سنة ١٩٢٤م والمرحوم صالح بن هندي المناعي من اكبر تجار اللؤلؤ في البحرين سافر الى باريس حوالى سنة ١٩٣٠م والمرحوم عبدالله بن علي الزايد من شعراء البحرين وأدبائها، وهو أول صحفي من أهل البحرين سافر الى باريس سنة ١٩٣٢م وسافر الى باريس المرحوم الشيخ عبدالجليل بن محمد البستكي.

من الكويت أول من سافر الى باريس المرحوم علي بن حسين آل سيف سنة ١٩٣٠م وبعده سافر الى باريس والده المرحوم حسين بن علي آل سيف من اكبر تجار اللؤلؤ في الكويت وابنه المرحوم يوسف بن حسين سنة ١٩٣١م وفي سنة ١٩٣٢م سافر الى باريس مرة ثانية المرحوم حسين بن علي آل سيف مع ابن أخيه المرحوم محمد بن شملان آل سيف.

ومن بلدة الشارقة بساحل عمان سافر الى باريس المرحوم حميد بن جامل واستقام بها مدة طويلة، وهو من اكبر تجار اللؤلؤ في ساحل عمان.

ومن بلدة لنجة في سواحل فارس بايران وهي من أكبر مراكز تجارة اللؤلؤ في الخليج العربي سافر عدد من تجارها الى باريس لبيع اللؤلؤ ومنهم المرحوم يوسف بهزاد، والمرحوم محمد فاروق البستكي، والمرحوم عباس بن عبدالله بن عباس البستكي، والمرحوم عبدالله بن عباس، والسيد عبدالواحد بن محمد صديق، ومحمد فاروق بن محمد عقيل وأخوه المرحوم محمد صديق وكان عندهما محلات في بومباي ودبي



صـورة البشـتخـتـة وهـي الصنـدوق الخشبي الجميل وأمامه أدوات الطواشة لفحص ولوزن ولغـربلة اللؤلؤ. وتـرى مختلف الادوات التى يستعملها الطواش ومنهـا الاوزان والمكبـرات ونـحـوهـا مـوضوعـة على الخـرجة الحمـراء التى يوضع عليها اللؤلؤ

وباريس ، وابن محمد فاروق كان مقيما في بـاريس ومكث بها مـدة طويلة وتـزوج من فرنسية .

مجازفات تجار اللؤلؤ

يقـدم الطواشون ـ تجـار اللؤلؤ ـ على مجازفات في تجارتهم فأحيانا يربحون ربحا وفيرا، واحيانا يخسرون خسائر فادحة، وانا اذكر على سبيل المثال بعض هذه المجازفات التى قام بها تجار من الكويت والبحرين.

الذين ربحوا :

● اشترى ناصر البدر من تجار اللؤلؤ في الكويت (مجهولة) من انـواع اللآلىء بمبلغ ١٨٠٠٠ روبيـــة ، وارسلها الى البحرين

لتباع هناك وساموها بربع ثمنها فاعطاها لأحد الاخصائيين في اللؤلؤ فعجالها بخبرته حتى ظهرت لؤلؤة فريدة في شبه اناء، وباعها في بومباي بالهند بمبلغ كبير جدا بثمانين الف روبية ٨٠٠٠٠ روبية.

● اشترى علي بن حسين آل سيف من تجار اللؤلؤ في الكويت لؤلؤتين كل واحدة بخمسة وعشرين الف روبية فباع الاولى بسبعين الف روبية، وباع الثانية بستين الف روبية.

الذين خسروا :

● اشترى صالح بن هندي المناعي من تجار اللؤلؤ في البحرين من أحد غواصي الكويت مجهولة بأربعين الف روبية، ولما أزال الاخصائيون في البحرين غلافها الخارجي لتكون لؤلؤة فريدة اذ الحظ يعاكسه فكسرت لديه وخسر الاربعين الف روبية.

● اشترى علي بن حسين البحراني من تجار اللؤلؤ في البحرين مجهولة بأربعين الف روبية فخسر بها ثلاثين الف روبية.

اسماء أشهر نواخذة الغوص في البحرين

هذه قائمة باسماء المعروفين من نواخذة الغوص على اللؤلؤ في البحرين الكبار والصغار وقد حصلت على هذه الاسماء الكريمة من الرجال المطلعين في البحرين من النواخذة والبحارة اثناء زياراتي للبحرين . وطبعا فان هناك بعض الاسماء لم أتمكن من معرفتها فمعذرة والغالبية العظمى من هؤلاء النواخذة انتقلوا الى رحمة الله تعالى واسجل اسماءهم الكريمة للذكرى والتاريخ . وهذه اسماء نواخذة الغوص في المحرق :

خميس بن جمعة ابو خميس
خميس بن محمد ابو خميس
عبد الرحمن بن راشد « الفدك » البنعلي
خليفة بن عيسى الصقاع
سالم بن حمد آل بن علي .
صالح صويفه
مهنا العسم
عبدالله بن الحادى
نجم الخيل
محمد بن رشدان
مبارك بن شاهين العماري
سعد بن عمران الجميري
محمد بن عبدالله المناعي
محمد بن راشد بن هندي
جاسم بن علي بن عجاج
علي بن عبدالله
علي بن منصور
احمد بن ابراهيم الخلفان .
سليمان بن جمعة الحادي
خليل بن ابراهيم
نجم بن عبدالله المناعي
جاسم بن عبدالله المناعي
علي بن صقر الجلاهمة
ابراهيم بن حمد بن زويد
علي بن حمد بن زويد
شاهين بن صقر الجلاهمة
سلطان بن علي بن حبل
صقر بن شاهين الجلاهمة
حسين بن احمد الجلاهمة
عيسى باحسين المسلم
خالد بن عيسى باحسين المسلم
جبر بن محمد المسلم
جمعة بن فاضل
فاضل بن جاسم
مبارك بن يعقوب
علي بن جهام
محمد بن مجرن بن مقلة

علي بن هلال مهيزع
علي بن احمد مهيزع
جاسم بن محمد ابو هلول مهيزع
جاسم بن عيد مهيزع
سالم بن محمد ابو سلوم
عيد بن احمد مبارك
حسين بن عبد الرحمن ابو خليف
جبر بن محمد العماري
سعيد بن سعد السعدوني
سعد ابو سعود
ملا غيث
يعقوب بن يوسف
شملان بن احمد الجلاهمة
جهام بن عيسى ابو كواره
نجم ابو نوده
حمد بن عبدالله العليوي
محمد بن عتيق
محمد بن فاضل الفاضل
عيسى بن حمد بن زويد
ابراهيم عثمان ابو دهيش
احمد سيادي

البسيتين

علي بن جمعة المضاحكة
عبد العزيز بن جمعة المضاحكة
غانم يوسف ابو تمام المضاحكة
محمد بن عبدالله العليوي
فهد بن جبر المضاحكة
فهد بن جمعة المضاحكة
عبدالله بن جمعة المضاحكة
علي بن جمعة المضاحكة
محمد بن سلمان المضاحكة
شاهر بن جمعة المضاحكة

الدير

حجي علي بن حسن الملا

سماهيج

حجي حسين بن حجي علي
حجي محمد بن حجي علي
حجي حمزة البحراني

قلالي

شمسان المناعي
بدر المناعي

حالة نعيم

عبدالله بن سيف النعيمي
ابراهيم بن عبدالله بن سيف
حمد بن هندي النعيمي
علي بن احمد النعيمي
عجلان بن حمد النعيمي
مهنا بن فضل النعيمي
جبر بن مهنا النعيمي
صالح بن خنفر النعيمي
على بن خنفر
احمد ابو خديج النعيمي

حالة سلطة

حمد بن مدهش السليطي
الشيخ حسين السليطي
بطي بن هادي الهاجري
وافي بن سعد الهاجري
ناصر بن احمد الغضبان
محمد بن هادي الهاجرى

الحد

عبدالله عيسى الذوادي
جبر المسلم
حسين بن عيسى المناعي
جاسم المطوع
يوسف بن يعقوب
حسن بن راشد الذوادي
احمد بن علي آل بن علي

سالم الشروقي
سنان الشروقي
محمد بن صقر بن شناف ابو فلاسة
سيف بن مصبح ابو فلاسة
عبدالله بن جليجل ابو فلاسة
حمد بن جبران
محمد بن خليل
ملا احمد بن ابراهيم الملا
ابراهيم ابو رشيد
محمد بن دعلوج
محمد ابو رشيد
خميس الشروقي
خميس بن سيف

ام الشجر

راشد بن سعد النعيمي
احمد بن عيسى النعيمي
غانم بن سلطان ابو عينين .

الطواشون في المحرق

هذه هي اسماء الطواشين تجار اللؤلؤ في المحرق وطبعا فأن هناك بعض الاسماء الكريمة من الطواشين لم اتمكن من معرفتها .

يوسف بو حجي
محمد بن راشد بن هندي المناعي وابنه صالح
عبدالله بن خليفة المناعي
سلمان بن حسين بن مطر
شاهين بن صقر الجلاهمة
خليفة بن خميس الغرير
خليفة بن عبدالله العابر
محمد بن راشد العابر
عبد الرحمن بن محمد الزياني
الشيخ عبد الوهاب بن حجي الزياني
راشد بن خميس الزياني
احمد بن راشد الزياني
حمد بن عبدالله المناعي
محمد بن علي الزياني
علي بن ابراهيم الزياني
فهد باحسين المسلم
علي بن ظاعن
احمد بن ظاعن
علي بن صقر الجلاهمة
محمد بن عبد الرحمن بن جودر
ابراهيم بن علي جودر
عبدالله الحداد
محمد بن موسى الصايغ
سالم بن يوسف البوعينين واخوانه
علي بن عثمان
احمد بن جاسم مراد
علي بن علي المعاودة
علي بن علي آل زايد
جاسم بن محمد الشيراوي
زايد آل زايد
عبدالله مشاري
عبد اللطيف بن عبدالله المشاري
عبدالله بن سيار
السيد بدر بن نور الدين واخوانه
يوسف بن محمد بن خاطر البوعينين واخوه راشد
محمد بن عبد الرحمن مسيح
حجي منصور بن ثايم
عبدالله سيادي

حالة نعيم

راشد بن مهنا النعيمي
احمد بن راشد بن مهنا النعيمي
سيد هزيم وسيد احمد
فضل بن مهنا النعيمي

حالة سلطة

غانم بن سلمان السليطي

الشيخ محمد ابو حسين
بطي ومحمد ابناء هادي الهاجري
مهنا السليطي

الحد

عبدالله بن ابراهيم وابنه ابراهيم
السيد خليفة
السيد احمد اليوشع واخوانه
احمد بن الشيخ عبد اللطيف المحمود
ابراهيم وعبد الحميد آل محمود
محمد بن شناف السويدي
سعيد بن سيف السويدي
سيد صالح بن احمد
جبر بن محمد المسلم
مهنا بن جبر المسلم
صالح بن سيف المسلم
محمد بن صباح آل بن علي
السيد خليفة بن عبد الغفور
السيد ابراهيم بن خليفة بن عبد الغفور
راشد بن خليفة آل بن علي

قلالي

حسين بن علي المناعي
عيسى بن علي المناعي
احمد بن جاسم بن جودر
عبدالله بن أحمد المناعي

الدير

عيسى البحراني
جاسم بن خلف

اسماء الطواشين في المنامة

هـذه اسماء الطواشـين تجار اللؤلؤ في المنامة وطبعا فان هنـاك بعض الاسماء لم اتوصل الى معرفتها .

عبد الرحمن بن حسن القصيبي واخوانه
حجي عيسى بن احمد التاجر
عبدالله محمود
عبدالله فخرية
خليل بن ابراهيم الباكر واخوه محمد
محمد بن مبارك الفاضل
فهـد وناصر ابنـاء جاسم بن عبـد الوهاب الفيحاني
منصور العريض
حسن بن علي مديفع
عبد الرسول محمد عبد الرسول
عبد علي بن رجب

حجي يوسف

حجي علي بن محسن بن زبر
حجي سلمان بن خلف
خليل بن ابراهيم المؤيد واخوه احمد
سيد احمد بن سيد علوي
سيد ناصر بن سيد علوي
سيد حسن بن سيد علوي
حجي محمد بن ابراهيم النوخذة
السيد علوي بن سيد جواد العلوي
الشيخ مصطفى بن عبد اللطيف
احمد بن سلمان
منصور المحروس
سالم العريض

سنابس

حجي احمد بن خميس
حجي يوسف بن رستم

دراز

عبد المحسن بن شهاب

البديع

عبدالله بن حسن الدوسري
خميس بن شاهين الدوسري
عيس بن احمد الدوسري
عبد اللطيف بن ابراهيم الدوسري
احمد بن عبدالله بن حسن الدوسري
محمد بن راشد الدوسري

محمد الخان واخوانه .

الزلاق

رحمة بن عبد الله الدوسرى

ام الحصم

سعد بن شملان

الجفير

حجى عيسى المطوع

نواخذة الغوص في المنامة

مع الأسف الشديد فان الأسماء الكريمة لنواخذة الغـوص في المنامـة لم أتمكن من العثور عليها . وأعرف من نواخذة الغوص في المنامة :

حجى محمد بن صوار
مهنا أبو حمود أبو عظم
ولد ماجد

البديع :

عبدالله بن حسن الدوسرى
علي بن أحمد سعد الدوسرى
محمد بن سيف الدوسرى
عيسى أحمد الدوسرى
عبداللطيف بن ابراهيم الدوسرى
خميس بن شاهين الدوسرى

عسكر :

مبارك بن راشد أبو خماس واخوانه
شاهين بن طوق
محمد بن شاهين بن طوق
جاسم بن محمد بن شاهين
ابراهيم بن مبارك أبو خماس
علي بن سالم بن طوق
سالم بن صالح
راشد بن سعود
خميس بن راشد أبو خماس
أحمد بن عيسى بن سالم
ثانى الحسين

جـــو

علي بن غانم الرميحى
محمد بن عمر بن جبر الرميحى
حمد بن ماجد الرميحى
محمد بن سيف الرميحى
خليفة بن هلال الرميحى
ماجد بن سلمان الرميحى
محمد بن حاتم الرميحى
محمد بن هاشل الرميحى
ناصر بن رحمة الرميحى
جاسم بن حمد أبو جسوم الرميحى
راشد بن متعب الرميحى
راشد بن شبيب الرميحى
خليفة بن خميس الرميحى
محمد بن مبارك الرميحى

الـــدور

محمد بن خليفة الكعبى
محمد بن صقر الكعبى
علي بن محمد المبروك الكعبى
صالح بن عرفج الكعبى
حسن أبو مجيرن النعيمى

سنابس

حجى ناصر بن عبد الحى
حجى جمعة بن علي أبو طريف
حجى محمد بن مهدى
حجى علي بن عبدالله عبدالحى
حجى أحمد بن علي بن عبدالحى
حجى محمد بن طريف
حجى حبيب بن محمد بن طريف
حجى أحمد بن سلمان بن طريف
حجى مكى بن حجى سلمان بن طريف
حجى علي بن سلمان بن طريف

حجى علي بن حسن بن علي
حجى يوسف بن حسن بن علي
حجى حاتم بن حسن بن علي
حسن بن سلمان مرهون
حجى منصور بن أحمد بن مرهون
حجى عبدالله بن أحمد بن مرهون
راشد بن علي بن راشد
عبدالرسول بن حجى حسين الحماليات
علي بن حسن
حجى أحمد بن مال الله
حجى أحمد بن علي العرج
حجى ناصر بن عبدالله الموت
يوسف داغر
عيسى بن يوسف داغر
علي بن عيسى بن يوسف
سلمان بن عيسى السكاني
حجى محمد بن كايد
مهدى وأحمد المختار
علي بن جمعة أبو طريف
الشيخ على بن محمد آل خليفة
الشيخ علي بن ناصر الموت
حجى عيسى بن راشد الموت
أحمد بن سيد علي الشرخات
حجى رضا بن حجى أحمد العرج

باربار

حجى أحمد الجوكم

الـــــدية

يوسف بن رستم
حجى صالح بن فخر
محمد بن مشعل

الكـــرانه

علي بن صالح
حجى حسن بن علي

كرباباد

سيد أحمد بن سيد علي
عيسى بن أحمد الدجاج
كاظم الكربابادى

الشـروقى ومعرفته الخارقة بالمجارى البحرية

يعتمد النواخذة في تنقلاتهم من مغاص الى مغـاص ، ومن بندر (مـرسى) الى بندر بـواسطة البـوصلة (الديـرة) وبـواسـطة خبـرتهم وتجاربهم . علما بـأن الهيـرات «مغاصات اللؤلؤ» في وسط البحر وبعيدة عن الساحل وليست هناك علامة بارزة في البحر ترشد اليها . وهناك عـامل أخـر الى جانب البوصلة يتيح لهم معرفة المغاص او المكان المراد . هذا العامل هـو (البلد) بكسر الباء واسكان اللام وهو حبل طويل به علامـات صغيرة يفصل بين الباع والباع وفي طرف الحبل قطعة من الرصاص يطلق عليها اسم البلد .

فأهل البحر يعرفون عمق البحر ونوعية قـاعه بـواسـطة البلد . ووحـدة الطول أو القياس في البلد هي الباع وهي المسافة بين اصابع اليدين مبسوطتين .

اشهر نوخذة في البحرين بل وفي الخليج يضرب المثل به في معرفة المجارى البحرية هو المرحـوم سالم الشـروقي من نواخـذة الغوص في الحد بالمحرق وكان عنده سنبوك كبير اسمه معدى . وكان سـالم الشروقى ضريرا ومع هذا كله فهو ربان مـاهر بكـل معنى الكلمة واسمه على كل لسان . واليكم الحادثة التى تدل على مهارته الفـائقة بـل والغريبة في بابها :

كان يغوص في هير الديبل فوقع فنجـان للقهوة بالبحر . وبعد ذلك توجه الى البحرين

للراحة وبعد كم يوم غادر البحرين الى الغوص ورأسا توجه الى هير الديبل للبحث عن الفنجان . فطرح على الهير وقال للغاصة هدوا (غوصوا) فغاصوا وفي المرة الثانية قال لأحد الغاصة هد وتجد الفنجان أمامك وفعلا وجده أمامه فأخرجه .

الحادثة الثانية في امتحان معرفته هي ان بحارته بعد حادثة الفنجان قالوا لا بد أن نختبره وهم في الغوص . وبعد ان توجهوا الى البحرين للراحة أخذوا طينا من نخل بالمحرق قرب المطار يسمى (رية) وعندما ذهبوا الى الغوص وصلوا الى هير كبير اسمه إشتيه بكسر الهمزة واسكان الشين وتشديد الياء ، وقال لهم غوصوا فقالوا له بوابس أى أرض يابسة ليس بها محار . وقال غيص آخر الأرض نخية ليست شديدة . وقال غيص ثالث الأرض طينية فتعجب من قولهم وهو متأكد في قرارة نفسه انه طارح أى ملقى مرساته على هير إشتيه وليس كما يقولون . عندئذ قال لهم اعطوني قطعة من طين الأرض لأعرف ما هو الهير . فما كان منهم الا ان غمسوا طينة رية بالبحر ليكون بها ملوحة وجاءوا بها اليه . فأخذ يشمها حتى عرفها وقال لهم يا عيال الهير هير إشتيه ، والطينة طينة رية . ياالله غوصوا واجمعوا المحار وخلوا عنا الكذب . فأسقط في يد البحارة فغاصوا وجمعوا المحار .

القفال (عودة الغواصين)

القفال لفظة مشهورة في بلدان الخليج العربي وتعني عودة الغواصين من مغاصات اللؤلؤ بعد ان مكثوا بها أربعة شهور وعشرة أيام . والقفال لفظة عربية مشتقة من القفول العودة الى الديار . والقفال عبارة عن عيد في بلدان الخليج العربي فالكبير والصغير ينتظر حلوله . ويستقبل الأهالي العائدين بالشوق والمحبة . والناس عامة يستبشرون بحلول القفال .

موعد القفال في آخر الشهر التاسع سبتمبر يوم ٢٨ تقريبا حيث يكون البحر باردا . ويعرف النوخذة حلول القفال بعد ان تهب الرياح السابعة وهي معروفة لدى اهل البحر . ويعرفون ان الجو أصبح باردا بواسطة الماء الذى ينزل من سطح السفينة الى البحر يكون قبل ذلك حارا فيصبح باردا . كذلك يعرفون حلول القفال عندما يتساوى الليل مع النهار يوم ٢٧ سبتمبر .

بعد عودة الغواصين تعود الحركة والنشاط في أوصال بلدان الخليج العربي بعد ان توقفت ابان موسم الغوص . وفي موسم الغوص تكون بلدان الخليج العربي شبه خالية حيث لا يمكث بها الا الحاكم ورجاله والشيوخ والمرتبطون بالعمل في المدينة كالبنائين والنجارين والحدادين ونحوهم .

في البحرين يسمح لمن يشاء من الغواصين أن يصل اليها قبل حلول موعد القفال . وأما في الكويت فيمنع منعا باتا قدوم اى غواص الى الكويت الا بعد انتهاء مدة الغوص التى يحددها الحاكم أو من ينوب عنه .

في البحرين ليس هناك رئيس للغواصين يعلن أثناء عمل السفينة بالغوص على اللؤلؤ عن حلول القفال كما هو الحال في الكويت حيث للغواصين أمير يسمى السردال (القائد) يعلن حلول القفال باطلاق طلقة من مدفعه الصغير ويرفع العلم فترفع السفن كلها الاعلام وترفع بعد ذلك أشرعتها متجهة الى الكويت بموكب مهيب اما في البحرين فإن أحد النواخذة الكبار يعلن حلول القفال باطلاق البندقية ورفع العلم . ويتفق النواخذة فيما بينهم ان الذى يعلن حلول

القفال هذا العام أحدهم وهكذا كل عام .

توب توب يا بحر

مظهر شعبى كبير في بلدان الخليج العربى يتعلق بالقفال علاقة وطيدة . ويلفظ بضم الياء واسكان الباء . وهذه اللفظة محرفة والأصل تب فعل أمر بمعنى إترك ، إرجع الى الله تعالى من المعصية . فكأن النسوة يطلبن من البحر ان يتوب عن أهلهن وذويهن وان يرجعوا سالمين ، كما انهن ايضا يعاتبن البحر ليعجل بعودة الغواصين .

قبل القفال تجتمع النسوة ليلا ويذهبن الى البحر وهن يغنين ويصفقن فاحدى النسوة تغنى والنساء يرددن فتقول :

توب توب يا بحر
اربعة والخامس دخل
ما تخاف من الله يا بحر
جيبهم
خاطفين بجيبهم

جيبهم أحضرهم . خاطفين بجيبهم رافعين الجيب أصغر أشرعة السفينة مثلث الشكل . وبعد ذلك تقول لفظة تعنى بها احد النوخذة والمجموعة تذكر اسم النوخذة كأن تقول يا الليان ـ فتقول المجموعة هات أبونيان وهات أحضر . وفي البحرين كان يوجد أيام الغوص هذا المظهر الشعبى الكبير .

نكبة الغوص على اللؤلؤ

كل شيء له نهاية .. ودوام الحال من المحال .. ومنذ حوالى عام ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م اخذت تجارة اللؤلؤ في الانحطاط .. وبعد سنوات قليلة حلت الطامة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، نكبة الغوص على اللؤلؤ في بلدان الخليج العربى .. وكان الاعتماد الكلى في العيش على الغوص على اللؤلؤ .. وبعد حلول النكبة ضاقت السبل أمام الغواصين على اللؤلؤ .

تعود نكبة الغوص على اللؤلؤ .. وكساد تجارة اللؤلؤ الى هذه الأسباب :

(أ) ظهور اللؤلؤ الصناعى اليابانى ، ومنافسته اللؤلؤ الطبيعى نظرا لرخص ثمنه وتناسق شكله .. فبدلا من ان يشترى الرجل عقدا من اللؤلؤ الطبيعى يكلفه مبلغا طائلا من المال أصبح بامكانه ان يشترى عقدا واحدا بمبلغ زهيد .

كان لظهور اللؤلؤ الصناعى في ذلك الحين تأثيره الخطير على تجارة اللؤلؤ .. فكان بمثابة الشبح المرعب الذى أقض مضاجع الطواشين والغواصين ولدى مجموعة من الرسائل تتعلق باللؤلؤ الصناعى والأضرار الكبيرة التى ستحل بتجارة اللؤلؤ من جرائه .. زد على ذلك ان بعض ضعاف النفوس من تجار اللؤلؤ كانوا يغشون أى يخلطون اللؤلؤ الصناعى باللؤلؤ الطبيعى وقد انكشفت أعمالهم غير الحسنة ونالوا عقابهم .

(ب) حصول الضائقة المالية ، الشديدة التى اجتاحت العالم بعد الحرب العظمى بسنوات ، فانصرف الناس عن اقتناء الكماليات ومنها اللؤلؤ .

(جـ) كثرة ما يستخرجه الغواصون في بلدان الخليج العربى من الكميات الكبيرة من اللؤلؤ كل عام ، وهذا ما سبب البلاء .. فلو كانوا ـ مثلا ـ يستخرجون كل سنة كمية يتفق عليها كما يستخرج أصحاب مناجم الماس كمية معلومة منه كل عام فلهذا نرى ثمن الماس باهظا جدا .. لأن كل شيء اذا كثر قلت قيمته . واذا قل ترتفع وهكذا وعندنا

مثل معروف « الشيء اذا قل زباد ، واذا كثر سماد » .

(د) عدم اتفاق تجار اللؤلؤ على سعر معين لأنواع اللؤلؤ .. وعدم اتفاقهم على سياسة معينة .. والتلاعب في البيع والشراء والمجازفات .

عانى الطواشون والغواصون المتاعب بعد كساد تجارة اللؤلؤ ، حيث اناخ الدهر عليهم بكلكله فطحنهم طحن الرحى بثفالها . زد على ذلك انه لم تكن انذاك أعمال أخرى يعملون بها غير عمل الغوص في الخليج العربي كله .

بعد هذه النكبة الفادحة من الله سبحانه وتعالى على بلدان الخليج العربي بالنفط (الذهب الأسود) .. فالنفط غير مجرى الحياة كثيرا في الكويت وبلدان الخليج العربي ، وأول بلدة من بلدان الخليج العربي عثر فيها على النفط هي البحرين وذلك عام ١٩٣٢ ولكن النفط الذى عثر عليه في البحرين كمياته قليلة .

حساب الغوص

للغوص على اللؤلؤ حساب خاص به معروف لدى الجميع . وقبل ان اتحدث عنه أحب أن أوضح هذه الأمور وهي:

١ ـ **السلف** : بتشديد السين وفتح اللام لفظة عربية معروفة . وقبل موسم الغوص تنشر حكومة الكويت بواسطة رئيس المحكمة الشيخ عبدالله الجابر الصباح اعلانا يوضع على الجدران في السوق وفي الأحياء على ساحل البحر ليطلع عليه الجميع يعين مقدار السلف للغيص والسيب . ومتى يبدا الغوص ومتى يكون القفال .

قبيل السفر للغوص (الدشة) بتشديد الدال والشين يوزع النوخذة السلف الدراهم على البحارة . فيعطى الغيص مثلا ١٠٠ روبية ويعطى السيب أقل منه نحو ٧٥ روبية . وصدر اعلان سنة ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ يحدد السلف للغيص وللسيب وموعد السفر للغوص وموعد القفال . وهذا الاعلان كما علمت هو آخر اعلان تنشره الحكومة على المواطنين بصدد الغوص . حيث بعد ذلك لم يعد هناك غوص في الكويت .

٢ ـ **التسقام** : بتشديد التاء واسكان السين اصطلاح لدى أهل الغوص عن مبلغ من الدراهم يعطى للبحارة في الشتاء ويعطى البحار المبلغ الذى يريده واذا كان البحار جيدا يفضل عن الآخرين . وهذا المبلغ يحسب على البحار .

في أثناء الضائقة المالية الشديدة من حوالى ١٩٣٠ الى حوالى ١٩٤٠ لم يعد في استطاعة الكثير من النواخذة اعطاء البحارة التسقام . ولا زلت اذكر عندما كنت طفلا حوالى عام ١٩٣٦ م ان الأولاد من ابناء فريجنا كانوا يغنون (ها السنة سنة الكراكو . ها السنة تسقام ماكو) . ومعنى لفظة ماكو لا يوجد . اما لفظة الكراكو فلا اعرف ماذا يعنون بها ربما يعنون الافلاس .

٣ ـ **الخرجية** : بفتح الخاء واسكان الراء وكسر الجيم وتشديد الياء لفظة تطلق على الدراهم التى تعطى للبحارة عندما يصلون الى احد البنادر كالبحرين ودارين . وهذه الدراهم . تحسب عليهم . ولفظة الخرجية عندنا تعنى الدراهم أو المصروف الشخصى .

٤ ـ **البروة** : بفتح الباء واسكان الراء لفظة تطلق على ورقة صغيرة جدا تعطى للبحارة من قبل النوخذة بأن هذا البحار حر التصرف في أن يذهب مع من يشاء من النواخذة ويذكرون في البروة المبلغ الذى عليه الدين . وهناك بعض الشروط تكتب في

البروة . والبروة لفظة محرفة الأصل من «براءة» . وهذا أسلوبها المتعارف عليه لدى الغواصين غالبا (الى من يرى من كافة النواخذة بأن لنا على فلان مبلغ كذا من طرف الغوص فمن أراد يضمه يضمه كي لا يجفى) وتذيل باسم النوخذة وختمه .

بعد الحديث عن هذه الأمور اليكم كيفية حساب الغوص نقلا عن كتاب (الصيد والتنقل والتجارة في البحار) للمرحوم عبدالوهاب بن عيسى القطامي ص ٢١٣ وجعله تحت عنوان (تقسيم أرباح السفينة) يقول : (فلو فرضنا ان سفينة غوص يتكون بحارتها من ٢٥ غواصا و٢٩ سيبا ورضيفين . وكان مجموع محصول السفينة (٨٥) الف روبية . وكانت مصاريف الأكل خلال مدة الغوص ٩٠٦٢ روبية . فان أول ما نعمله هو استخراج حصة السفينة وهى خمس المحصول وبما ان خمس المذكور اعلاه (١٧) الف روبية فان الباقى بعد استخراجه هو (٦٨) الف روبية وبعد اسقاط مصاريف الأكل فالمبلغ المتبقى هو ٥٨٩٣٨ روبية ولما كان عدد الغواصين في السفينة هو ٢٥ غيصا ولكل واحد منهم ثلاثة أسهم ٢٥ × ٣ = ٧٥ عدد أسهم الغواصين ولربان السفينة ثلاثة أسهم كالغواص ومثلها ضريبة الحكومة أى ثلاثة أسهم أيضا فان هذه الأسهم الستة تضاف الى عدد أسهم الغواصين التى هى ٧٥ فيصبح عدد الأسهم ٨١ سهما . وحيث ان عدد السيوب ٢٩ سيبا ولكل منهم سهمان فان عدد أسهم السيوب تصبح ٥٨ سهما . أما الرضيفان ولكل منهما سهم واحد فقط فلهما سهمان وعليه فتكون ٨١ سهما للغواصين و٥٨ سهما للسيوب وسهمان للرضيفين يصير مجموع الأسهم ١٤١ سهما فنقسم المبلغ المتبقى عليها بعد اسقاط مصاريف الأكل وخمس السفينة وهو ٥٨٩٣٨ روبية .

فاذا قسمنا المبلغ ٥٨٩٣٨ روبية على ١٤١ فان الناتج يكون ٤١٨ روبية وهو مقدار السهم الواحد . وبما ان للغواص ثلاثة اسهم فان استحقاقه يكون :

٤١٨ × ٣ = ١٢٥٤ روبية للغيص
٤١٨ × ٢ = ٧٣٦ روبية للسيب
٤١٨ × ١ = ٤١٨ روبية للرضيف

وعلى أساس هذه الطريقة تجرى جميع سفن الخليج المشتغلة في الغوص حساباتها باستثناء بعض الحالات النادرة والتى يكون فيها الاختلاف طفيفا لا يؤبه به) .

الغوص بجهاز الغوص

على موجب المعلومات التى نقلتها من الرجال المطلعين في البحرين من نواخذة وبحارة فإن أول من استعمل آلة الغوص الحديثة «الجهاز» هو السيد «هلال بن راشد الذوادى» من نواخذة الغوص في البحرين ، ولم اتوصل الى معرفة السنة انما هي ـ كما سمعت ـ في آخر عهد المرحوم الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البحرين السابق المتوفى في شهر نوفمبر ١٩٦١ م . وأن الشيخ سلمان شجعه على ذلك ودفع عنه مصاريف العمل ، وأرسل معه كاتبا من قبله هو السيد « جاسم بن محمد بن خلف » .

الشخص الذى غاص بواسطة الجهاز هو المرحوم مصطفى من اهل فارس بسواحل ايران وكان يعمل لدى شركة نفط البحرين ، وجهز النوخذة هلال مع اربعة عشر شخصا في اللنج لفتح المحار ، وغاص هلال في هير إشتيه ١٤ باعا وفي غيره . وكل ربع ساعة يخرج مصطفى من قاع البحر نحو سبعمائة محارة يضعها داخل كيس معلق في رقبته . وحدث ان ماكنة الجهاز أصابها العطل ،

فوضع هلال الجهاز على ماكنة اللنج فغاص مصطفى تسعة أيام ، وطول هوز الجهاز ١٨٠ قدما .

في سنة ١٩٥٩ م اتفق النوخذة السيد خليفة النعيمي مع غائص انجليزي للغوص بواسطة جهاز الغوص ، فغاص بهيرات البحرين في لنجه ويرافقه السيد أحمد النعيمي يغوص بواسطة الغاصة العاديين والنتيجة ان السيد خليفة خسر من هذا العمل .

في سنة ١٩٦١ م اتفق السيد راشد العبسي من نواخذة الغوص المعروفين في البحرين والمرحوم محمد بن جبر المسلم والسيد هلال بن راشد الذوادي والسيد أحمد بن جاسم على الغوص بواسطة جهاز الغوص فعقدوا اتفاقية مع غائص يعمل في شركة نفط البحرين براتب شهري الف روبية ، واستأجروا لنج السيد هلال بألف وخمسمائة روبية في الشهر . ومعهم ثلاثة بحارة لفتح المحار . فغاصوا هيرات البحرين فحصلوا على كمية وافرة من المحار . والذي شجعهم على هذا العمل هو المرحوم الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البحرين آنذاك وقال لهم لو تخسرون انا أعوضكم .

حدث ان اختلت ماكنة جهاز الغوص ، فركب السيد هلال الجهاز على ماكنة اللنج وغاص بنفسه وحصل على المحار ، وبعد نحو شهر عادوا الى البحرين ، وباعوا اللؤلؤ الذي حصلوا عليه بـ ٣٨٠٠ روبية وكانت الخسارة نحو ٦٧٠٠ روبية وقد عوضهم سمو المرحوم الشيخ سلمان عن خسارتهم كما وعد . وبعد ذلك لم يغص أحد بواسطة جهاز الغوص .

السومريون جاءوا من دلمون وفيها تعلموا الكتابة

بقلم : على أكبر حبيب بوشهرى

تعتبر الاختام الدلمونية التي عثر عليها في التنقيبات أو وسط الحفر أو في المقابر أو تحت القباب سواء في البحرين أو في المنطقة المجاورة ، أحد المصادر الموثوقة لتلمس الكثير من جوانب الحياة في دلمون القديمة .. فقد حملت الاختام رموزا تقدم الكثير من المعلومات بل والصور عن طبيعة الحياة واساليب العيش في زمن سحيق يعود للالف الثالث قبل الميلاد .. والاختام الدلمونية التي تطالعها تحت العدسات المكبرة في خزائنها الزجاجية بمتحف البحرين الوطني يمكن ان تتحول الى نبع خصب يساعد الذهن على تلمس الكثير من طبائع الاشياء والعلاقات في تلك الحضارة الغابرة .. أدوات الموسيقى .. شكل الازياء .. نوع السفن .. طبيعة الارقام التي كانوا يتعاملون بها .. نوع السلع .. أسماء وصور الحيوانات

التي كانت موجودة في ذلك الزمان وهل كانت من نفس البيئة أو حملت من بلاد مجاورة ومن الذي جملها أو نقلها .. ولماذا ؟ .. وكيف صنع الدلمونيون وسائل النقل وعلى أي صورة كان اتصالهم بالحضارات المجاورة وأي الحضارات أخذت عن الاخرى وكيف كان ابناء دلمون يقضون وقتهم .. كل هذه التساؤلات وغيرها يمكن للاختام ان تجيب عليها وكأنها نافذة « لصندوق الدنيا » تطل منها العين لتطالع صورا وراء صور عن ذلك التاريخ البعيد والعالم المجهول .

و« الوثيقة » تواصل على هذه الصفحات تقديم ما بدأته في أعدادها السابقة من صور عن الحياة في دلمون القديمة وخاصة عن السفن والرياضيات ولكن قبل ان نتعرض لهذين الموضوعين لا بد أن تكون لنا جولة مع الاختام نفسها وهو ما نبدأ به هذه الدراسة .

أجمع المؤرخون في مؤتمر الآثار الاسيوي الذي عقد بالبحرين عام ١٩٧٠ م على أن حضارة جديدة عريقة قد عادت للحياة من جديد . وظهرت دلمون كحضارة متطورة يرجع تاريخها الى ما قبل عام ١٨٥٠ ق.م. وطبقا لاكثر الاحتمالات الى ٣٢٠٠ ق.م. (وهو تاريخ بناء مدينتها الاولى والتي كانت من غير اسوار) وعاشت هذه الحضارة لحوالى ٢٥٠٠ عام واتخذت جزيرة البحرين وجزيرة فيلكة (على الساحل الشرقي للكويت) بصفة خاصة مركزا لها . وتأسست لها مستعمرات او مواقع للتبادل التجاري في اماكن مختلفة مثل الجزء الشرقي للجزيرة العربية (بالقرب من شواطىء الخليج) وقطر وساحل عمان وجنوب العراق (اور) وجنوب شرقي ايران (تب يحيى) ولوثال في جنوب وادي الاندوس ويحتمل ايضا على ساحل البحر الاحمر .

ان الظن الذى كان يقرن اسم دلمون بالبحرين يتفق مع الحقائق ويجب ان نأخذ في اعتبارنا ان دلمون كانت تشمل رقعة اكبر من البحرين أي ان الاسم كان يشمل كذلك جزءا غير محدد وغير معروف كلية على الساحل الشرقي للجزيرة العربية . ووردت الاشارة الى دلمون لاول مرة في لوحة لـ « أورنانشي UR-NANSHE » ملك مدينة لجاش في بابل الذى عاش حوالى عام ٢٥٢٠ ق.م.

ولعل دلمون هي البلاد التى جاء اليها جلجامش بحثا عن الخلود ولكن لماذا كانت دلمون بالذات مأوى الانسان الذى انقذ من الطوفان ؟

احتلت دلمون مكانا مرموقا في ديانة الرافدين وكانت مكانا مقدسا لدى السومريين .

ومن الممكن ان حضارة

دلمون كانت تمثل شعبا وحضارة قائمة بذاتها ولم تكن مجموعة من المستعمرين أو التابعين لحضارة أخرى . ولكنها في الحقيقة حضارة مفقودة .

وقد ذكر اسم دلمون مرات عديدة في النقوش السومرية والبابلية والاشورية كميناء هام تتوقف عنده السفن المارة بالخليج العربي للتجارة بين حضارة الرافدين وحضارة الهند (وادي الاندوس) ووصفت كميناء ترسو فيه العديد من السفن ويلتقى فيه تجار الصوف والنحاس والذهب والعاج والاخشاب النادرة والاحجار الكريمة . ويوجد نص سومري يشير الى ان دلمون ارض تأتي منها سفن الزيت ، وذكرت دلمون في أساطير الرافدين على انها ارض الحياة الابدية وانها الملتقى المفضل للآلهة وقد زارها البطل جلجامش اثناء بحثه عن الحياة الخالدة . وتشير النقوش الى ان السومريين جاءوا في الاصل من أرض دلمون وانهم تعلموا الكتابة من هناك .

ومن اهم النتائج لتنقيبات بعثات الآثار الاخيرة في البحرين هو الكشف عن اقتران هذه الجزر بدلمون الاسطورية في أساطير حضارة الرافدين .

وفي ترنيمة سومرية يرجع تاريخها الى ٢٠٠٠ ق.م. اشارة الى دلمون بأنها أرض مقدسة « باركها الاله انكي» اله المياه العذبة[1] .

« ان المدن المقدسة - اهداء اليه (الى انكي)

أرض دلمون مقدسة

سومر المقدسة - اهداء اليه

أرض دلمون مقدسة - ارض دلمون نقية

ارض دلمون نظيفة - ارض دلمون مقدسة[2] .

وهناك الكثير من السجلات عن التجارة مع دلمون في نصوص حضارة الرافدين يرد فيها «جلبت لي سفن دلمون أخشاب من بلدان أجنبية » وذكر سرجون الاكادي بأن سفنا من دلمون رست في عاصمته ومن المحتمل انه هو الذى أحرق المدينة الثانية الواقعة بالقلعة حوالى ٢٣٠٠ ق.م. وذكرت وثيقة يرجع تاريخها الى ١٨٠٠ ق.م. ان اسطولا ذهب الى دلمون لشراء النحاس وتتهم وثيقة أخرى في نفس التاريخ أحد تجار النحاس الدلمونيين بسوء النية .



الغزلان على هيئة نجم رمز اله الشمس - اتو - الصندوق الذى يظهر في قلب الرمز اشارة الى معبد اله الشمس ويرمز في نفس الوقت الى جدول ضرب .

وهناك تعليق هام نسب الى سرجون الاشوري في عام ٧١٠ ق.م. يقول : بأنه تلقى هدايا من ملك دلمون وهي بلاد منبسطة مثل السمكة تقع على مسافة ٦٠ ساعة وسط بحر الشمس المشرقة (الخليج العربي) وأحدث نص يشير الى دلمون يرجع اكتشافه الى عام ٥٤٤ ق.م. بعدها طوى النسيان اسم دلمون[٣] .

وسوف نستعين في هذه الدراسة بأختام دلمون الدائرية كمصدر للمعلومات والبيانات ونستطيع ان نطلق على الاختام اسم الموسوعة الدلمونية فالرموز والنقوش تحكي لنا قصة انماط الحياة اليومية والمعتقدات السائدة والتقاليد المتبعة في حضارة دلمون كما تعطينا كل تفاصيل الحياة اليومية للسكان .

وليس هناك أي سجل رسمي بعدد الاختام التي عثر عليها ولكن يعتقد ان هناك حوالى ٤٠٠ ختم في الكويت[٤] وحوالى ١٥٠ بالبحرين في عام ١٩٧٧ بلغت في نهاية ١٩٨١ اكثر من ٢٠٠ ختم .

وهناك خمسة أختام في ايران و٣٥ في العراق اي ان المجموع حوالى ٦٤٠ ختما وهو عدد تقديري لعدم وجود احصاء رسمي وقد استخدمت ٨١ ختما في هذه الدراسة .

ان حضارة دلمون هي الحضارة الوحيدة التى استخدمت اختاما دائرية . ومعظمها منحوت من جانب واحد بينما يوجد على الجانب الآخر ثلاثة خطوط وبجانبها أربع نقاط داخل دوائر (تمثل عين الهة الشمس) انظر الرسم رقم ١[٥] .

عموما يوجد ثقب في كل ختم ومعظم الاختام مصنوعة من الحجر الصابوني الاسود وتتراوح أقطارها بين ١٨ ملليمترا و٣٦ ملليمترا باستثناء واحد منها قطره ٦٥ ملليمترا وهو اكبرها قطرا في العالم[٦] .

عدد الاختام ٦٤٠

عدد الاختام المستخدمة في هذه الدراسة ٨١

عدد الاختام التى تحمل رموز آلهة الشمس ٣٨

عدد الاختام التى تحمل رموزا مختلفة ٤١

مجموع انواع الرموز ٧٣

وقد اكتشفت الاختام في الحفريات في «أور» بجنوب الرافدين وفي مدن حضارة وادي الاندوس بما فيها منطقة «لوثال» في جنوب «تب يحيى» جنوب شرقي ايران والكويت



الرسم رقم (١)



رمز اله الشمس مع رمز آلهة الحب - انانا - زوجته والغزال وغصن النخلة هما رمز آلهة الحب

(جزيرة فيلكة) ومنطقة غرب الخليج (قطر - الامارات - والمملكة العربية السعودية) وجزر البحرين . وتعتبر هذه الاختام شهادة رئيسية على وجود علاقات تجارية بين سومر ووادي الاندوس ، وهناك احتمال قوى بأنه ليس هناك اي ختم دلموني أو حتى دائري لدى حضارة الاندوس - باكستان[٧] .

وتوجد ٤١ طرازا مختلفا منقوشة على الاختام الموجودة في الكويت والبحرين وتختلف هذه الرموز كليا أو جزئيا عن بعضها البعض ويتكرر بعضها على بعض الاختام مرتين وحتى سبع مرات ومجموع عدد الرموز التي وجدت فيها نقوش لعين إله الشمس تصل الى ٧٣ موزعة على ٤١ نوعا مختلفا . وتحتل آلهة الشمس نسبة كبيرة من الرموز يؤكد ذلك :

ا : انني استخدمت حوالى ١٣٪ من كافة الاختام المكتشفة في هذا البحث اي ٨١ من ٦٤٠

ب : أكثر من نصف الاختام في هذا البحث (أي ٦,٥٪ من مجموع الاختام المكتشفة) نحتت عليها الصناديق - وهي رموز معبد آلهة الشمس .

جـ - يوجد ٤١ نوعا مختلفا لرمز آلهة الشمس في الاختام تكرر ٧٣ مرة وفي بعضها تكرر الرمز مرتين او حتى ٧ مرات على الختم الواحد وهي نسبة كبيرة جدا تكفي لتؤكد ان اله الشمس كانت له مكانة كبيرة عند مثقفي دلمون .

د : توجد رموز مماثلة في حضارات اخرى ارتبطت بدلمون وكانت تستخدم لنفس الهدف - إله الشمس - (الاقتباس وتبادل التأثير بين الثقافات القديمة أو حتى المعاصرة شيء لا بد منه . فالحضارة كائن حي لا بد ان يقتات ويقتبس من الحضارات الاخرى وان يهضم ما يقتبس لكي تعيش الحضارة في نماء وازدهار مستمر وأبدي) [٨] .

وتشير الاختام الى احتمال

وجود ترابط تجاري بين دلمون ومصر الفرعونية في عهد الاسرة الخامسة على أكثر تقدير ومن ثم وجود ترابط واقتباس فكري وعقائدي بين الحضارتين « قشور بيض النعام المستخدمة على شكل كؤوس فنية تذكرنا بكسر لقشر بيض النعام عثر عليها داخل مقبرة كبيرة في هجر بن حميد في العربية الجنوبية (اليمن) ولكن على الرغم من الفارق الزمني الطويل بين مقابر البحرين التى يرجع تاريخها الى ٣٠٠٠ ق.م. وبين مقبرة هجر بن حميد يبقى موضوع استخدام قشر بيض النعام في المواد الدفنية يمثل طقسا دينيا مشتركا بين سكان الخليج العربي القدماء (دلمون واخوانهم سكان العربية الجنوبية - اليمن) ومما يجدر التنويه به استخدام قشر بيض النعام على شكل اوان دفنية في المقبرة الملكية في أور[٩]

وظهور رموز إله الشمس في أكثر من مكان واحد يؤكد وجود ترابط بين دلمون وهذه الاماكن في ذلك الزمن السحيق .

١ - **مصر** : استخدمت مصر ٣ رموز من رموز الهة الشمس التي كانت دلمون تستخدمها كمركز لعين الاله رع إله الشمس[١٠] وعدد ملحوظ منها متشابه الى حد كبير والاخر متشابه مع وجود بعض التعديلات الملحوظة وتشبه الخطوط المنقوشة الصناديق التي تمثل آمون - رع تماما الخطوط المنقوشة على اختام دلمون [١١و١٢] ولقد قامت بعثة آثار عربية تضم ٢٨ عالما بالتنقيب في منطقة كرزكان عام ١٩٧٨ ونقبوا في مقبرة كبيرة وجد فيها حجر (ختم) خنفس مصري اسود (جعران) كان يستخدم بكثرة في مصر القديمة ووجدت عليه كتابة بالهيروغليفية يرجع تاريخها الى العهد البابلي الاخير ووجدت البعثة في نفس المكان بعض الفخار وأحجار الجعارين المصرية . ويربط عالم آثار عربي متخصص في هذا الموضوع بين اكتشاف احجار الجعارين (الخنافس) ووجود علاقات تجارية متينة بين مصر القديمة ودلمون ويؤكد ان هذا يثبت ان سفن دلمون اجتازت البحار الى مصر القديمة وقد قام متحف البحرين الوطني في عام ١٩٧٨ ببعض التنقيبات بموقع قرية المقشع في شمال البحرين وادت هذه التنقيبات الى اكتشاف جعران مصري في مقبرة بموقع عالي مما يبرهن على وجود علاقات متينة بين حضارة دلمون وحضارة مصر القديمة .

ويرجع تاريخ أقدم الجعارين المصرية الى ١٥٠٠ ق.م. أي الى عهد تحتمس الثالث وامينوفيس الثالث بينما يرجع تاريخ الجعارين الاخرى الى ١٤٠٠ ق.م. أي الى عهد السلالة التاسعة عشرة[١٣] .

٢ - **الرافدين** :

وتشبه رموز الاله « شمش » في أغلب الحالات الرموز التي توجد على اختام دلمون مع بعض التعديلات التي تظهر في بعض النماذج[١٤] وتتشابه النقوش المخططة (الصناديق) لدلمون بمثيلاتها في الرافدين تشابها كبيرا [١٥] وتجدر الملاحظة بأن العلاقة بين الحضارتين كانت وثيقة ومتينة وهذا ساعد على التقارب الديني والفكري وتبادل الثقافة عن طريق الاقتباس وان لوحظ ان اقتباس دلمون من الرافدين والعكس كان كبيرا جدا وبشكل ملحوظ .

٣ - **وادي الاندوس** :

ان خمسة من رموز دلمون تظهر تشابها كبيرا مع رموز حضارة وادي الاندوس كما تتشابه الغالبية الباقية تشابها ملحوظا مع تعديلات بسيطة .

كما تبدو النقوش المخططة الصناديق متماثلة الى حد كبير . وتدلل البراهين على وجود علاقات تجارية وثيقة بين الثقافتين[١٦] واثناء التنقيب عن الآثار الذى أجرى في البحرين عام ١٩٧٨ تم اكتشاف قبر وجد فيه فخار بارباري للفترة القديمة لحضارة وادي الاندوس ويرجع تاريخ القبور التى تم فحصها الى الفترات ٣٠٠٠ و١٩٠٠ و١٧٠٠ ق.م.[١٧] .

٤ ـ فينيقيا :

نقوش عين آلهة الشمس الفينيقية دBEL1والخطوط المنقوشة ـ الصناديق ـ في معابد آلهة الشمس هي كمثيلاتها في دلمون في اغلب الحالات والوضع مماثل لرموز الرافدين[١٨] ويمكن استخدام هذه المعلومات في اثبات ان موطن الفينيقيين الاصلي أو مسقط راسهم كان الساحل الغربي للخليج العربي كما أورده المؤرخ اليوناني هيرودوتس وهذا يضعهم بقرب دلمون أو في دلمون .

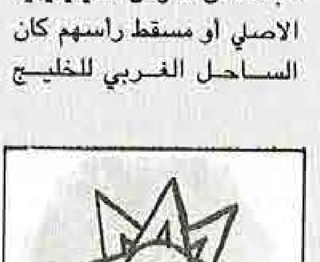
٥ ـ **حضارات اخرى** :

ويوجد تشابه بين الثقافات الاخرى ودلمون في النقوش والصناديق بالرغم من انه لا تتوافر اية معلومات عن أي علاقة ـ كانت لدلمون مع الشعوب الاخرى كهنود امريكا الشمالية او شعوب الكلت بأوروبا الغربية[١٩] .

وفي رأيي ان الدلمونيين لم يكونوا على المام بالمهارات الملاحية ليصلوا الى امريكا الشمالية أو أوروبا من الخليج العربي . وليس من الممكن قدر معرفتنا ان يذهب بنا الخيال الى درجة تصور وصول الدلمونيين الى هذه الاماكن البعيدة . ويرجع التشابه بين رموزهم والنقوش المخططة الى علاقتهم القائمة مع الفينيقيين من آيبيريا والجزر البريطانية والعقائد الدينية المتماثلة التى اعتنقوها[٢٠] وأيضا لكون بعض الرموز والنقوش هي رموز عالمية استخدمت من قبل معظم الثقافات وثالثا وجود تشابه بسيط جدا مع بعض النقوش الصينية .

هـ ـ وقد وجدت رموز عديدة لآلهة الشمس ونقوش على الاختام فيها صور لرجل أو رجلين وهما يعبدان الشمس فوق راسيهما[٢١] (انظر الرسوم ٢ـ٣ـ٤) .

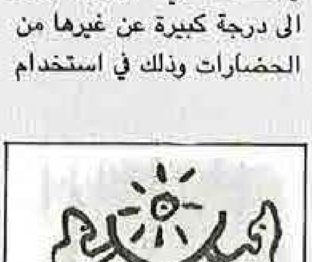
و ـ وجود العلاقات المتينة بين دلمون والحضارات الكبرى الاخرى في الشرق الاوسط ـ الرافدين وتشترك معها في الكثير من رموز إله الشمس والنقوش المخططة بسبب التأثير الذى تركته أساطير الرافدين على دلون ونجد ان الفينيقيين يشتركون مع دلمون في الثقافة التي تظهر في الرموز الى درجة كبيرة عن غيرها من الحضارات وذلك في استخدام



الرسم رقم ٢



الرسم رقم ٣



الرسم رقم ٤



رمز اله الشمس بالقرص مع اشارة الى معبد وجدول الضرب ويلاحظ صورة البط .



رمزان لاله الشمس عين اله الشمس (القرص) والشمس نفسها ـ الصندوق اشارة الى المعبد

رموز آلهة الشمس ويعزى ذلك الى أصل الفينيقيين الذي يرجع الى الساحل الغربي للخليج حضارة وادي الاندوس وكانت لها علاقة تجارية قوية وفكرية مع دلمون دامت قرونا طويلة من ٢٥٠٠ ق.م. الى ١٨٠٠ ق.م.

العلاقات مع مصر

تظهر رموز آلهة الشمس مشابهة ورغم أن عين إله الشمس رع ظهرت على اختام دلمون ثلاث مرات فقط الا ان الدليل على وجود علاقات تجارية بينهما عن طريق البحر قوي مع ان هذه العلاقات لم تنشأ الا بعد الاسرة الخامسة . ونذكر على سبيل المثال بأن ختما اكتشف اثناء التنقيبات التى اجريت في البحرين والكويت وهذا الختم يشبه الجعران المصري (الخنفس) وقد تم نحته على طراز ختم فيلكة[٣٢] كما اكتشفت نفس بعثة التنقيب عام ١٩٧٨ فخارا مصريا في معبد سار يعود الى الاسرة الخامسة .

★★★

بعد هذه الجولة مع الاختام التي سجلت لحياة دلمون ولتاريخها وللعقائد التي سادت تفكير حضارة دلمون ووجدانها نعرض في الدراسة الى جانبين آخرين من جوانب الحياة في هذه الحضارة هما السفن الدلمونية والحساب والرياضة في الحياة التجارية ..

سفن دلمون

يرجع استخدام البحر والملاحة في ربط حضارات العالم القديم واعتبارها وسيلة المواصلات الرئيسية الى عهد أقدم بكثير مما كان يعتقد . وكانت المواصلات البحرية هي ابرز وسائل النقل التي استخدمها القدماء للاتصال بالشعوب والثقافات الاخرى القريبة والبعيدة .

وقد عثر على بعض النماذج الاثرية التى تنسب الى الحضارة السومرية وحضارة وادي الاندوس والحضارة المصرية للاسرة الخامسة في

سكان دلمون صنعوا سفنهم من القصب والأخشاب

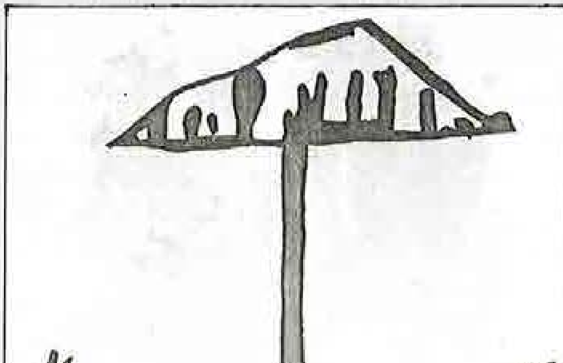
حفريات دلمون البحرين . كما ثبت تأثر حضارة دلمون بالحضارات السومرية ووادي الاندوس ووجدت آثار سومرية في وادي الاندوس كما وجدت آثار لوادي الاندوس في سومر وعثر على سلع من عمان (مجان) مثل النحاس في كل من دلمون وسومر .

وهناك قرائن قوية تشير الى وجود تأثيرات دينية على معتقدات السكان في كل من دلمون ومصر خاصة فيما يتعلق بطقوس دفن الموتى (القبور المقببة) والتي اقتبستها مصر وكانت موجودة في دلمون .

وليس الغرض من ذكر ذلك هو اثبات قيام رحلات بحرية مباشرة بين البحرين والبحر الاحمر . فقد ثبت ذلك بالفعل ولكن الهدف الرئيسي هو اثبات ان الزوارق المصنوعة من القصب كانت منتشرة بكثرة على الشواطىء العربية وساحل البحر الاحمر . والمعتقد ان هذه القوارب أو الزوارق الخشبية - التي اعقبتها في الاستعمال بعد ذلك - اجتذبت انتباه المسافرين عبر الطرق البحرية من البحر الاحمر الى النيل(٢٣) .

ويجب علينا عند دراسة الحضارات العريقة الا ننظر اليها على انها كانت لشعوب تعيش في عزلة عن بعضها البعض منذ آلاف السنين ولكن على اساس انها كانت شعوبا متطورة للغاية بالنسبة لعصرها وحتى بالنسبة لعصرنا في بعض النواحي وانه كانت لديها معلومات كافية لكي يقوموا برحلات بحرية طويلة .

« لقد جاء السومريون بالسفن عن طريق الخليج .. وجاءوا كملاحين الى سواحل الرافدين وهناك انشأوا حضارتهم .. والنصوص الكتابية التى عثر عليها تكشف لنا النقاب عن ماهية الاراضي الشرقية لدلمون التى جاء منها



الرسم رقم ٥
سفينة مصنوعة من الواح الخشب وذات شراع مثلث الشكل

البحارة السومريون »(٢٤) .

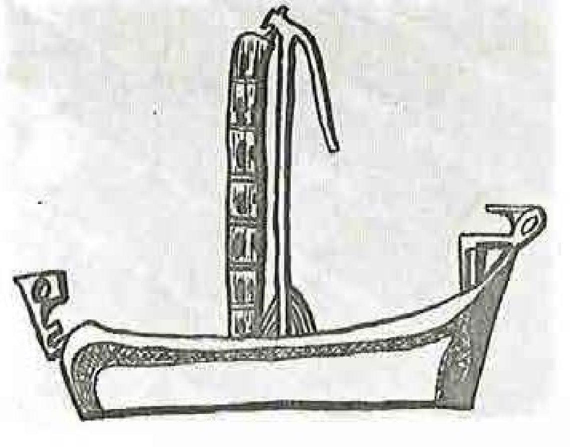
كما تقدم لنا هذه الكتابات صورة عن البحر باعتباره وسيلة مواصلات « تقع دلمون في الخليج العربي في ملتقى الطرق البحرية بين الثقافات العريقة الاولى المعروفة بين سومر في الشمال ووادي الاندوس في الجنوب الشرقي وماجان (عمان) بلاد النحاس في الجنوب ومصر في الشرق . وأسسوا مركزا يتوسط الطرق التجارية(٢٥) وتجارتهم كانت عبارة عن بيع وشراء سلع مختلفة ذات جودة عالية باهظة الاثمان وكثيرة الارباح ومرغوب فيها الى حد كبير . وكانت هذه السلع مكونة من النحاس والاخشاب والاحجار النارية والحيوانات من ماجان والاقمشة وزيت السمسم والفضة من سومر والملاحين من ارض البحار والعاج والاحجار الكريمة والاخشاب من وادي الاندوس والذهب والمنتجات البحرية والاحجار والاخشاب من بلدان أخرى واضافوا منتجاتهم كالتمر والآلئ ضمن هذا النشاط (٢٦)

السفن

أ - كانت السفينة تصنع من القصب وكانت ذات رأسين يطفو جزء كبير منها وكان لها صاري في الوسط ودفة في طرفها . ولم تكن بها أربطة . وكان شكلها العام يوحي بأنها مصنوعة من الاخشاب وان كانت في الحقيقة مصنوعة من القصب (٢٧) .

وتوجد نقوش هذه السفينة على ختم واحد فقط من أختام دلمون يرجع تاريخه الى نهاية الالف الثالث قبل الميلاد ويؤيد هذا الختم الفكرة التي تقول ان الشراع كان مستخدما في منطقة الخليج في ذلك الوقت (الرسم التوضيحي رقم ٥) ولعل راس الحيوان الموجود في القوس يمثل حيوانا من فصيلة الماعز .

ب - وعثر على نقوش هذه السفينة مرة واحدة فقط على ختم من اختام دلمون يرجع تاريخه الى نهاية الالف الثالث ق.م. (انظر الرسم التوضيحي رقم ٦)



الرسم رقم ٦

وهذه السفينة مصنوعة من الاخشاب مثل السفينة الاولى وتشبهها بصفة عامة . فالهيكل يشبه هيكل السفينة الاولى كما يطفو فوق الماء ولها قوسان ومؤخرة وصارية في الوسط مع وجود نقوش لطائرين بدل رأس وذيل الحيوان الموجود في النوع الاول ويدلل وجود الطيور على مواقع السفن في البحر ومن المعروف ان الطيور هي من اصدقاء الملاحين في أسفارهم . وتوجد صارية قائمة بالمؤخرة يمر فيها حبل متجها الى راس الصارية الرئيسية (٢٨) .



الرسم رقم ٧
سفينة مصنوعة من القصب يرجع تاريخها الى ٢٤٠٠ ق . م

جـ ـ وجدت هذه السفينة ايضا منقوشة مرة واحدة فقط على ختم دلموني معاصر لنفس الحقبة الزمنية للسفينتين الاخريين (الرسم التوضيحي رقم ٧) . ويبدو أن أنواع السفن البدائية كانت ذات مقدمة ومؤخرة عموديتين يحملان شعارا كرأس حيوان وحبال السفينة تدل على انها مصنوعة من رزم القصب[٢٩] ، ويحتمل ان تكون هذه القوارب قد صنعت من سعف النخيل بعد تجريده من الخوص ويستخدم هذا النوع من القوارب في البحرين وبعض المناطق المجاورة الى الآن .

الحساب البسيط في دلمون

كانت حضارة دلمون حضارة تجارية تقوم على عمليات الاستيراد والتصدير بين المراكز التجارية المعروفة في ذلك الحين . وبسبب هذا النشاط ظهرت الحاجة لنظام حسابي لاستخدامه في شراء وبيع السلع من والى حضارات أخرى كحضارة الرافدين ووادي الاندوس وماجان . كما ظهرت لدى دلمون الحاجة الماسة للعلوم الدقيقة كالرياضيات وعلى رأسها مبادىء الحساب مثل جدول الضرب كذلك ظهرت الحاجة للانظمة الحسابية اللازمة لمختلف اجراءات البيع والشراء مثل الجمع والضرب واستنتاج اعداد ضخمة في بعض الاحيان وهي الاعداد التي كانت مطلوبة في الصفقات التجارية الضخمة . ونظرة واحدة على الاختام الدلمونية تؤكد ان « علم الرياضيات علم قديم لم يسبقه أي علم من العلوم الطبيعية ولا فن من الفنون الجميلة في الاقدمية [٣٠] .

وتحتوى الاشكال الرياضية التي امكن ملاحظتها على اختام دلمون على عدد من الصور :

(١) : **شبكات الضرب** :

وتضم المربعات

خنفس حجرى فى مقبرة بالبحرين

يؤكد وجود علاقة بين دلمون ومصر الفرعونية

(الصناديق) أو الخطوط المنقوشة التى وجدت على اختام دلمون ٢٢ مقياسا ونوعا[٣١] وتبين هذه المربعات قوانين الرياضيات[٣٢] وتتكون لوحة المربعات من ٦ مربعات عمودية و٤ مربعات أفقية وتقرأ ٦ ضرب ٤ وتساوي ٢٤ (٦ × ٤ = ٢٤ أو ٥ ضرب ٥ وتساوي ٢٥ (٥ × ٥ = ٢٥) وهكذا مع بقية الـ ٢٠ مربعا الاخرى وبنفس الاسلوب[٣٣] ويحتمل ان الشبكة كانت تستخدم كوسيلة او كنظام لعمليات الضرب وأداة لمعرفة الاسس الحسابية .

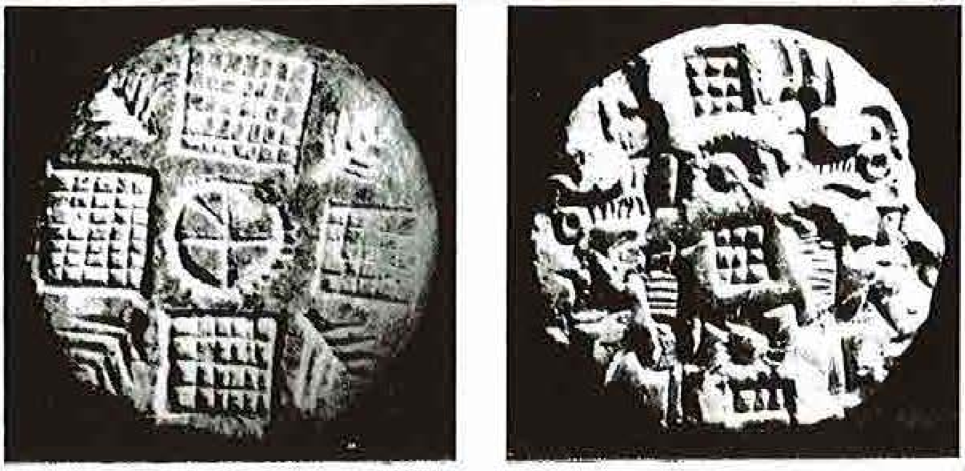
نماذج لشبكات الضرب

.. ويظهر نظام الارقام المستخدمة في نيفادا القديمة تشابها بالنظام الذى استخدمته المكسيك بعد القرن الاول الميلادي ويبدو ان هناك علاقة بين النظامين وانهما اشتقا من الارقام التي كانت سائدة بين سكان شمال افريقيا وشبه الجزيرة الايبيرية قبل مجيء الاسلام[٣٤] .

وكان الفينيقيون على اتصال تجاري وطيد مع بلدان شمال أفريقيا وشبه جزيرة ايبيريا وهم ينتمون الى الساحل الغربي لمنطقة الخليج العربي حسب معرفتنا وهي نفس المنطقة التى نشأت فيها حضارة دلمون ايضا . ونحن نعلم بأن الفينيقيين كانوا يستخدمون المربعات (الصناديق) بأحجام واشكال مختلفة . الا ان مربعاتهم كانت مستخدمة لدى حضارة دلمون ومنذ زمن طويل . لذلك يمكننا ان نقول ان مربعات الفينيقيين كانت لها صلة قوية بمربعات دلمون[٣٥] وهناك احتمال قوي بأن الفينيقيين قد نقلوا معرفتهم عن نظام المربعات الحسابية الى الحضارات الاخرى المعاصرة لهم كحضارة شمال افريقيا وحضارة شبه جزيرة ايبيريا .

(ب) المعداد :

كان للمعداد القديم القدرة على العد حتى ٢٤ وكانت توجد في العمود الايمن خوابير صغيرة يمكن ادخالها في الثقوب الواحد تلو الآخر وكان كل خابور يمثل وحدة وهكذا . وكل عمود يعد حتى ٤ وعند الوصول الى رقم ٥ تزال الخوابير من العمود الاول ويدخل بدلا منها خابور واحد في العمود الثاني حتى يصل المجموع الى ٢٠ وعندما نصل الى العدد ٢٠ تستعمل الخوابير الاربعة للعمود الاول لتحصل على العدد ٢٤ وعندما نصل الى العدد ٢٥ نزيل الخوابير من العمود الثاني ونبدأ في استعمال العمود الثالث حتى يصل العدد الى ١٠٠ وعندما يكون كل خابور في موضعه يصبح العدد ١٢٤ واستفاد هذا النوع من المعداد من اسلوب العد على الاصابع متخذا الرقم ٥ لقاعدته ويوجد هذا النظام بتعديلات لدى



نماذج لشبكات الضرب التي وجدت على الاختام الدلمونية

البرتغاليين القدماء في بتروغليفية بنيفادا وفي نظام مايا للارقام في المكسيك[٢٦] .

وكان لدى دلمون بالفعل مثل هذا النوع من المربعات ومن المحتمل ان هذه المربعات كانت تستخدم في دلمون لنفس الغرض أي كمعداد وكان لديهم سبعة أنواع كل نوع منها له طاقة اكبر على تسجيل المجاميع العددية لعمليات الضرب وكانت لديهم مربعات بعمود واحد وعمودين وثلاثة أعمدة واربعة أعمدة و٥ اعمدة و٦ اعمدة و٧ اعمدة وكانت مجموعات الارقام المسجلة ٤ و٢٤ و١٢٤ و٦٢٤ و٣١٢٤ و١٥٦٢٤ و٧٨١٢٤ ويمثل أعلى عدد عندهم .

الهوامش

١ - آثار البحرين - صفحات ١٦ - ١٧
٢ - صفحة ٩٥ Looking for Dilmun
٣ - آثار البحرين صفحة ١٧
٤ - آثار البحرين صفحة ١٧
٥ - التنقيبات الأثرية في جزيرة فيلكة صفحة ٢٥
٦ - حديث للمسئول بمتحف البحرين الوطني عام ١٩٧٧
٧ - التنقيبات الاثرية في جزيرة فيلكة صفحة ١٤١
٨ - نفس المرجع
٩ - سومر / مجلة المجلد ٣٦ - صفحة ٢٣
١٠- المجلد ٤ الجزء الثاني رقم ٨٦/ صفحة ١ و٦ E. S. O. p.
١١- نفس المرجع السابق المجلد ٣ - الجزء الاول رقم ٥٩
١٢- نفس المرجع المجلد ٤ - الجزء الثاني رقم ٨٦/ صفحة ٦
١٣- المجلد ٢٤ صفحة ٣٥٤ - The Encyclopedia American
١٤- قصة الحضارة في سومر وبابل - صفحة ٣٦ و٩٦
١٥- نفس المرجع - صفحة ٣٦ و٩٦
١٦- المجلد ٤ - الجزء الثاني رقم ٨٦ صفحة ٣ و٨ E. S. O. P.
١٧- جريدة - عدد ١٩٧٨/٩/٣٠ - صفحة ٤ Gulf Weekly Mirror
١٨- صفحة ٥٦ وصفحات ٦٩ - ٧٢ America B. C.
١٩- المجلد ٤ - الجزء الثاني رقم ٨٦ صفحة ٤ و٩ E. S. O. P.
٢٠- المجلد ٤ الجزء الثاني - رقم ٨٦ صفحات ٣ - ٤
E. S. O. P.
٢١- التنقيبات الاثرية في جزيرة فيلكة صفحة ١٤٣ - ١٤٨ - ١٤٩
٢٢- نفس المرجع صفحة ١٢٧
٢٣- صفحة ١٧٥ SEA CRAFT OF PREHISTORY
٢٤- صفحة ١٤ The Titoris Expeditions
٢٥- مجلد ٩ - الجزء الثاني رقم ٢٢٧ E. S. O. P.
٢٦- مجلد ٩ - الجزء الثاني رقم ٢٢٧ E. S. O. P.
٢٧- صفحة ١٧٦ The Sea Craft of Prehistory
٢٨- صفحات ١٧٦ - ١٧٧ The Sea Craft of Prehistory

٢٩- صفحة ١٧٤ The Sea Craft of Prehistory
٣٠- صفحة ٤٣١ Emcyclopedia Americana Volume 18
٣١- E. S. O. P - 8 VOLUME - Part 2No. 183
٣٢- صفحة ٣١٥ Saga America
٣٣- الرسومات التوضيحية رقم ١ : ١٩
٣٤- صفحة ٣٢٠ Saga America
٣٥- E. S. O. P. - 8 Volume - Part 2 No. : 183
٣٦- صفحة ٣٢٥ Saga America

المراجع

المراجع العربية

١ - العلاقات بين تونس وايران عبر التاريخ/ عثمان الكعاك/ الشركة التونسية للتوزيع/ تونس ١٩٧٢

٢ - فنون بحرينية / راشد العريفي/ البحرين ١٩٧٣

٣ - قصة الحضارة في سومر وبابل/ مارشل وزارة التعليم/ بغداد (عراق) ١٩٧١ «مترجم»

٤ - مجموعة الاختام المعروضة بمتحف البحرين الوطني

٥ - الهلال/ مجلة اسبوعية ١٩٧٨ البحرين

٦ - دليل المتحف الكويتي / وزارة الارشاد والاعلام/ ادارة الاثار والمتاحف/ الكويت ١٩٧٠

٧ - اختام دلمون

٨ - اثار البحرين/ وزارة التربية والتعليم/ ادارة الاثار والمتاحف/ ابريل ١٩٧١